شاعر الأطلال

إبراهيم ناجي

حياته وشعره وقصائده المجهولة

محمد رضوان



بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد

اســـم الكتاب : شاعر الأطلال .. إبراهيم ناجي

المـــــــــؤلف : محمد رضوان

رقـــم الإيداع :

الطبعة الأولى ٢٠١٨

مكتبة جزيرة الورد

القاهرة : ٤ ميـــدان حليـــم خلـــف بنـــك فيصـــل

ش ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا ت : ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦ ـ ٢٧٨٧٧٥٧٤

Tokoboko_٥@yahoo.com



هـذه الـدنـيـا هـجـيـر كـلـهـا — أين في الرمضاء ظل من ظلالك

ر بـما تز خر با لحســـن و ما — في الدمى مهما غلت سر جمالك

ربــمــا تــزخــر بــالــنـور وكــم — من ضــياء وهو من غيرك حالك

لو جرت في خاطري أقصى المنى — لتمنيت خيالًا من خيالك

ناجي

لماذا «شاعر الأطلال» ؟

بقلم : محمد رضوان [1] .

ما زال شعر إبراهيم ناجي (١٨٩٨ ــ ١٩٥٣) ينبض بالحرارة والصدق ، واشتهر بشعره الوجداني الذي أجمع النقاد على أنه شعر رومانسي لشاعر عاطفي شغفته المرأة حبًا ، فأحالت حياته إلى قصيدة حب عاطفية طويلة ، فيها الوصال والهجر ، والنجوى الهامسة والاحتراق والعذاب ، كأنه سيمفونية للحب العاطفي بكل تموجاته وصوره وألوانه .

وإذا كان بعض النقاد يرى أن شعر ناجي ينزع نحو الرومانسية الإبداعية ، إلا أن شعره الوجداني لم يقتصر على الشعر العاطفي وحده ، بل واكب أحداث مصر وانفعل بها ، وكانت مصر عنده هي الغاية الكبرى والأمل المنشود لكل وطني .

وقد جدد ناجي في شعره : في موسيقاه ، وفي خياله ، وفي أفكاره ، وأساليبه .

وقد فتح مجالًا جديدًا في الغزل العربي بشعره الذي تغنى فيه بالجمال ، ورتل في محراب الحبيبة أجمل أناشيد الحب والنجوى وأعذبها ، فكان بحق «شاعر الوجدان» الذي يصدر عن عاطفة متقدة ، ويسمو بفكره وفنه ، فيخرج لنا شعرًا صادقًا يتسم بالحرارة والصدق ، لأنه مزجه بذات نفسه ، فصار شعره عنوانًا عليه ، بعد أن وقف معظم شعره على عاطفة الحب والتغني أمام محراب المرأة ، عاشقة وهاجرة ، وشقية وسعيدة ، تعكس قصائده مشاركته الوجدانية للمرأة في جميع حالاتها في السراء والضراء .

وقد وضع د. سعد دعبيس في دراسته عن الغزل في الشعر العربي الحديث في مصر ، ناجي ضمن شعراء الغزل الرومانسي الهروبي ، ولم يكن ذلك الاتجاه نتيجة قراءاته وثقافته ، بل كان صدى لنفسية انطوائية شديدة الشفافية ، مفرطة الحساسية ، فيها الكثير من الانطواء المقادم ، والحياء المغالب ، والذي رافقه منذ طفولته ، حيث كان شديد الإحساس بمظاهر الطبيعة حوله ، غارقًا في الوهم والتخيلات ، محولًا واقعه إلى حلم ، وأحداث الحياة من حوله إلى خفقات قلب ، وسبحات خيال .

---

[1] محمد محمود رضوان : ولد بالدقهلية في ١٥ سبتمبر ١٩٤٨ وتخرج في كلية دار العلوم جامعة القاهرة (١٩٧١) وعمل كاتبًا صحفيًا بمجلة الهلال (١٩٧٢) ، أديب وناقد ، من مؤلفاته : شاعر الجندول ، علي محمود طه شاعر النيل والنحيل ، صالح جودت ، اعترافات شاعر الكرنك ، أحمد فتحي ، مأساة شاعر البؤس عبد الحميد الديب ، جمع وحقق عددًا من دواوين الشعراء المعاصرين مثل: عبد الحميد الديب ، صالح جودت ، أحمد فتحي ، علي محمود طه .

وقد كانت شخصيته أقرب إلى الطابع الرومانسي الذي تجسم في روحه الحائرة القلقة وطهارة قلبه ، ورقة إحساسه .

وكانت معظم أحزانه العاطفية راجعة إلى هذا التكوين النفسي الحالم الحائر ، المشتعل بالأحاسيس .

ويبدو أن إحسا سه بالحيرة والشك والحرمان الظائي راجع إلى فشل حب الطفولة ، وقد ظل طيلة حياته متأثرًا بهذا الحب الطفولي ، واستوحى معظم غزلياته من حبه الفاشل لمحبوبته «عنايات محمود الطوير» الذي ترسب في أعماقه مرارة ويأسًا ، وحرمانًا وألمًا ، فسار حبه الهروبي عنده في مسارين :

١ ـ المفهوم العاطفي اليائس الذي يتلظى بذكريات حبه الضائع القديم .

٢ ـ مفهوم الحب المتعدد ، فكان كل جمال يهزه ، وكل امرأة جميلة يخفق قلبه لها أو كما قال شوقي : وكل مليحة بمذاق .

وكانت حصيلة ناجي الشعرية التي سجل فيها رحلته الوجدانية العاطفية قد أثمرت عدة دواوين شعرية هي :

١ ـ ديوان وراء الغمام (١٩٣٤) .

٢ ـ ديوان ليالي القاهرة (١٩٥٠) .

٣ ـ ديوان الطائر الجريح (١٩٥٧) والذي قام صديقه الشاعر أحمد رامي بجمعه وتنسيقه ونشره بمقدمة الشاعر محمد عبد الغني حسن .

٤ ـ قصائد مجهولة جمع وتحقيق الشاعر حسن توفيق ، صدر عام ١٩٧٨ ، كما لا ننكر جهود الأديب وديع فلسطين الذي نشر مجموعة من قصائد ناجي المجهولة في مجلة الأديب البيروتية ، كما نشر الأديب محمود الشرقاوي عدة قصائد مجهولة في كتابه عن ناجي .

وإذا كانت الأعمال الشعرية الكاملة لناجي قد صدرت في عدة طبعات في القاهرة وبيروت فإنني آثرت في هذا المجلد أن أتناول حياة ناجي والمؤثرات التي طبعت شعره بطابع العاطفة الرومانسية المحلقة وأن أقدم مختارات من أجمل قصائده سواء التي وردت في دواوينه الثلاثة أم في قصائده المجهولة التي نشرت في السبعينيات .

أما ديوان ناجي الذي صـــدر عام ١٩٦١ عن وزارة الثقافة المصــرية بجمع وتحقيق لجنة مكونة من الشاعرين صالح جودت وأحمد رامي ود. أحمد هيكل ومحمد ناجي شقيق الشاعر ، فقد ا شتمل على أخطاء حيث ضمت اللجنة إليه بعض قصائد الشاعر كمال نشأت التي وجدت ضمن أوراق ناجي ، وقصيدة للشاعر علي محمود طه ، هي قصيدة «المرأة» التي عثروا عليها في مجلة العمارة سنة ١٩٤١ ، ولكنها كانت ضمن ملحمة «أرواح وأشباح» لشاعر الجندول ، علي محمود طه الصادرة عام ١٩٤٢ .

***

وبعد ، فليكن هذا المجلد الجديد الذي تناولت فيه حياة إبراهيم ناجي والمختار من شـعره خلال رحلته الشـعرية الثرية طاقة ورد أهديها لروح شـاعر الأطلال ناجي بعد أكثر من سـتين عامًا على رحيله ، مع التأكيد على جهود كل من قام بجمع ودراسة وتحقيق شعر ناجي المجهول وعلى رأسهم الأساتذة : صالح جودت ، وأحمد رامي ، ووديع فلسطين ، وحسن توفيق ، وكلها جهود مخلصة صادقة لإنصاف ناجي شاعرًا وإنسانًا .

وإذا كنت قد سبق وأ صدرت درا سة عن «ناجي شاعر الأطلال» ، تناولت فيها سيرة ناجي و شعره ، فإنني اليوم أقدم هنا دراسـة عن حياة ناجي والمؤثرات التي صـنعت شـاعريته كشـاعر وجداني تغنى بالحب وتغنى بمصر ، وأقدم أيضًا المختار من شعره من دواوينه الثلاثة ، وراء الغمام ، ليالي القاهرة ، الطائر الجريح ، ومن قصائده المجهولة التي نشرت في السبعينيات ، لنقدم لكم هذا المجلد المتميز الذي يتناول سيرة ناجي ، شاعر الأطلال ، شاعرًا وإنسانًا .

محمد رضوان

القاهرة ـ نوفمبر ٢٠١٧

مقدمة

شاعر الأطلال في ضوء منهج محمد رضوان

للشاعر : فاروق شوشة [٢]

بالرغم من أن ناجي ظل ينظر إليه في حياته وبعد رحيله ، على أنه أحد شـعراء الرومانسـية الثلاثة الكبار : علي محمود طه ، وإبراهيم ناجي ، ومحمود حسن إ سماعيل ، فإن شهرة زميليه سبقته إلى الجمهور الوا سع العريض ، بفضل ما أتيح لبعض قصائدهما من دوران وذيوع في ساحة الغناء ، أما ناجي فلم يلتفت إلى شعره المطربون والملحنون إلا بعد رحيله بعامين ، في منتصـف الخمسـينيات حين تغنى محمد عبد الو هاب بمقاطع من قصيدته الطويلة «الخريف» سماها «القيثارة» وبعد ذلك بسنوات طويلة تغنت أم كلثوم بمقاطع من قصيدته : «الأطلال» و«الوداع» عرفها الناس باسم «الأطلال» .

ولم تتح لأغنية محمد عبد الوهاب من الشـهرة والانتشـار وذيوع الصـيت ما أتيح لأغنية أم كلثوم ، التي جعلت شعر ناجي يتردد على كل لسان .

وقد حرص ناجي في تقديمه لقصـيدته الطويلة «الأطلال» على أن يصـفها بأنها «أطلال روح» تمييزًا لها عن «الأطلال» التي لعبت دورًا «وجوديًا» في العصر الأول من عصور القصيدة العربية ، حين كان الوقوف والبكاء على الأطلال مدخلًا إلى العالم الشعوري للشاعر ، وعزفًا على أوتار النفس يشبه التهيئة النغمية بالدنانة ، قبل الولوج إلى جوهر القصيدة .

ولقد أتيح للجمهور العريض من مستمعي قصيدة الأطلال ـــ وهي مغناة ـــ أن يتعرفوا على بعض المقاطع التي اختيرت للغناء ، وأن يتذوقوا من خلالها لغة تمتاز باللفظة الرقيقة ، والعبارة المجنحة الأنيقة ، والصياغة الغنائية الموقعة ، مع ميل إلى التأثير بالهمس لا بالجلبة ، والإمتاع بالإيحاء لا بالخطابة ، ووصـفه آخرون في إطار الحديث عن شاعرية ناجي بأنها لغة قادرة على التصوير والتجسيد، وتحويل المعنويات إلى محسوسات ، وتراسل الحواس ـ بما يسمح بتبادل أو تقارض الأوصاف بين المسموع والمشموم ، والمعنوي والمعنوي

---

[٢] فاروق شـوشـة (١٩٣٦ ـــ ٢٠١٦) : من مواليد قرية الشـعراء بدمياط ، تخرج في كلية دار العلوم (١٩٥٦) ، وبدأ حياته الإعلامية في الإذاعة المصرية (١٩٥٨) من دواوينه : إلى مسافرة ، لؤلؤة في القلب ، سيدة الماء ، ومن دراساته الأدبية : أحلى عشرين قصيدة حب ، لغتنا الجميلة ، عذابات العم الجميل «سيرة شعرية» .

والمحسوس في إطار من الولع بالبحور الشعرية الهادئة والموسيقى المهموسة الإيقاع ، وتغيير القوافي في القصيدة الواحدة ، فتصبح الأبيات رباعية القافية أو ثنائية القافية في أغلب الأحيان ، حرصًا على تعدد صور الإيقاع في القصيدة .

الطريف في الأمر ، أن المقاطع التي لم يقع عليها الاختيار للغناء ، هي أوفر مقاطع القصيدة حظًا من الشاعرية وأكثرها إتقانًا من الناحية الفنية ، وقيمة تعبيرية تصويرية ، وقد يكون إيثار الوضوح والبساطة والسلاسة وراء المقاطع التي لحنت وغنيت ، حتى يسهل أداؤها وذيوعها .

في هذا الكتاب الجديد للأديب الناقد محمد رضوان نكتشف الجديد من سيرة شاعر الأطلال ، إبراهيم ناجي ، فهو يضع نصوصه الشعرية في سياقها الطبيعي من هذه الحياة الحافلة الممتلئة التي عاشها بين صفحات نعيمها وعذابها ، كما أن هذه الدراسة تقدم لنا باحثًا من طراز فريد من حيث وفرة المعلومات ودقتها وتوثيقها وهذا ما يميز كتبه ودراساته التي أنجزها عن شعراء جماعة أبوللو ، حيث تخصص في دراسة شعراء المدرسة الرومانسية في شعرنا المعاصر وتأصيلها والسباحة في تياراتها مستخدمًا التحليل والمقارنة وإضفاء التسميات الدالة على الشعراء فهذا شاعر النيل والنخيل صالح جودت ، وهذا شاعر الكرنك أحمد فتحي، وهذا شاعر الجندول علي محمود طه ، وهذا شاعر الهمسات أحمد عبد المجيد ، وهذا شاعر الروابي الخضر أحمد خميس ، وهذا فيلسوف الصعاليك عبد الحميد الديب . وأخيرًا هذا الكتاب عن شاعر الأطلال ناجي ، الأمر الذي يعد مدخلًا أدبيًا ونفسيًا للعلاقة مع الشاعر و شعره بالنسبة لقارئ هذه الدراسات التي أضافت الكثير إلى أدب السير والتراجم والتحقيق الأدبي .

***

في هذا الكتاب عن «شاعر الأطلال ، ناجي» يتناول الأديب الناقد محمد رضوان شعر ناجي بالدراسة والتحليل والتعمق في دراسته فيبدو هذا الشعر وكأنه خزان هائل ، يمتلئ بالدموع ، أو كتاب ضخم تتوهج سطوره بالأحزان والأشواق والانكسارات ، التي عاشها الشاعر وعاناها على المستويين : الإنساني والشعوري، شخصًا خجولًا ، دقيق الجسم ، شاعر يعذبه الحرمان ، والفشل المرير في تجارب الحب وانشغال العصر ـ أدبيًا وشعريًا ـ بمن هم أكثر جرأة وجسارة في مجال القصيدة العاطفية ـ كعلي محمود طه مثلًا ـ أو أكثر صولة لغوية وجهارة في الأداء الشعري الممتزج بالمباشرة والخطابية ـ كعلي الجارم مثلًا ـ لكنه ـــ بالرغم من معاناته وانكساره على هذين المستويين ـــ نجح في أن يصطنع لغته الشعرية المتميزة، وعالمه الشعري الغني بالعواطف والمشاعر الإنسانية الباقية ، وأن ينحت بإزميله الشعري نماذج باقية من فن العمارة

الشعرية ، والتماثل المتوهجة بالحياة وروح الشعر الصادق هي تلك التي نعود إلى قراءتها وتأملها ، كلما دفعنا جذب الحياة إلى خضرة وجدان ناجي ، وكلما ألجأتنا صدماتها إلى خزانه الشعري الممتلئ بالدموع.

وبعد ، فإن ملحمة «الأطلال» تمثل حدثًا نفسـيًا كاملًا ، بكل ملامح هذا الحدث وانفعالاته وتجربته ووحدته العضوية ، وأهم من ذلك كله فإنها تفصح عن سرائر روحه وأسرار قلبه بصدق وأمانة وحرارة مما أكسبها صدقًا فنيًا وجعلها تصور قصة حبه الضائع ، وقصة قلبه الجريح .

***

وبعد ، فإن صدور هذا المجلد الذي يضم دراسة عن ناجي شاعرًا وإنسانًا ، والمختار من شعر ناجي عبر رحلته الشـعرية للأديب الناقد محمد رضـوان يقدم لنا كثيرًا من المتعة الأدبية والفنية التي تجعلنا نحلق في عوالم ناجي الشعرية البديعة ، مع دراسة وتحليل محمد رضوان سندباد الرومانسية .

فاروق شوشة

القاهرة - سبتمبر ٢٠١٦

مع شاعر الأطلال

بقلم : محمد رضوان

كان ذلك عام ١٩٦٢م تقريبًا .

ما زلت أذكر وأنا صبي في حوالي الرابعة عشرة من عمري ، أجلس بين الحقول الخضراء في بلدتي الجمالية «بمحافظة الدقهلية» وبيدي ديوان ناجي «ليالي القاهرة» أترنم بقصائده وسط جو ساكن خلاب ، لا يقطع هدوؤه وسكونه سوى صوت زقزقة عصفور ، أو ترنم بلبل ، أو خرير جدول ماء .

وكنت أنسى نفسي في تلك الخلوة المحببة ساعات طويلة تمتد من الصباح حتى غروب الشمس حيث كنت أجد متعة كبيرة في تأمل قرص الشمس الدامي وهو يغيب في الأفق البعيد ويلقي بظلاله الأرجوانية الجميلة على الحقول الخضراء فتكتسب منظرًا شاعريًا رائعًا يلهم الشعر ويثير الخيال ، ويحرك عرائس الإلهام .

وهزني ديوان ناجي «ليالي القاهرة» هزًا عنيفًا ، وأثار في نفسي الفضول والرغبة في قراءة باقي دواوينه ، ومعرفة كل ما يتصل بسيرة حياته ، والعوامل التي أثرت فيه، وكونت هذا الشاعر الرقيق الهامس .

ثم وقع في يدي كتاب كان له أثره العميق في حب ناجي والتعمق فيه أكثر فأكثر، كان ذلك الكتاب بعنوان «ناجي حياته وشعره» ، لصديق عمره الأثير الشاعر الكبير صالح جودت (١٩٠٨ ـ ١٩٧٦) .

ومن هذا الكتاب عرفت قصة ناجي مع الشعر والمرأة والفن ، وتعرفت أيضًا على تلك الصحبة الرومانسية المبدعة ، وهم شعراء المنصورة الأربعة : علي محمود طه ، وناجي صالح جودت ، والهمشري الذين عاشوا على ضفاف المنصورة خمس سنوات خصبة (١٩٢٧ ـ ١٩٣١) تبلورت فيها شاعريتهم وصقلت موهبتهم وبدأ اسمهم يلمع على وجوه الصحف والمجلات الأدبية في ذلك العهد قبل أن يتجهوا إلى القاهرة في عام واحد هو عام ١٩٣١م .

وأحببت الشعراء الأربعة .

وشرعت أبحث وأنقب عن دواوينهم وكتاباتهم ، فوقع في يدي لشاعر الجندول ، علي محمود طه ديوانه «الملاح التائه» ، وعشت مبهورًا مع شعره وبالأخص ملحمته «الله والشاعر» .

وفي تلك الفترة كنت أترنم بأبيات قصـيدة «ليالي كليوباترا» التي يتغنى بها الموسـيقار الحالم محمد عبد الوهاب بمو سيقاها الشجية ولحنها الهامس ، وبهرت بشاعر الجندول علي محمود طه ، حتى أنني فكرت في عمل دراسة أدبية عنه في تلك السن المبكرة .

ثم وقع في يدي بعد ذلك ديوان «ليالي الهرم» لصـالح جودت وهزني شـعره الذي يجمع بين الشـعر العاطفي والشعر الوطني .

أما الهمشري فلم أجد له ديوانًا مطبوعًا في ذلك الحين ، ثم تمضي الأيام وألتحق بمدرسة المنزلة الثانوية وأختار القسم الأدبي في دراستي بها وتزداد قراءاتي الشعرية للشعراء الثلاثة : ناجي وعلي محمود طه وصالح جودت ، ويزداد إعجابي بهم بمرور الأيام لا يزاحمني في حبهم سـوى شـاعر الكرنك : أحمد فتحي ، وشـاعر الشك والضباب : كامل الشناوي .

وعند التحاقي بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة في نهاية عام ١٩٦٦م ، وسكني بالقاهرة ، كنت دائم التردد على مكتباتها وعلى سـور الكتب الشـهير بسـور الأزبكية للحصـول على كل ما أبحث عنه من كتب ودواوين لهؤلاء الشعراء .

وفي عام ١٩٦٨م شاءت الظروف أن أتعرف على الشاعر الراحل صالح جودت حيث سعيت إليه في مكتبه بدار الهلال وأنا أحمل بين يدي مخطوطة كتابي الأول عن زكي مبارك وكنت قد سميته «عبقرية زكي مبارك» واسـتقبلني الرجل اسـتقبالًا طيبًا واحتفى بي منذ اللقاء الأول بعد أن أطلع على مخطوطة كتابي ، وفوجئت بعد حوالي أسبوع بمقال منشور على صفحة كاملة بمجلة حواء تحت عنوان «بين ليلى العراق وليلى سنتريس» بتاريخ ١٨ مايو ١٩٦٨ يتحدث فيه عن كتابي المخطوط ، وكانت فرحتي لا تو صف بهذا التكريم من شاعر كبير لطالب ما زال يدرس في الجامعة .

وذهبت لأشـكر الشـاعر الكبير على هذا الكرم الذي لم أكن أتوقعه ، ففوجئت بشـيء زاد من غبطتي ، إذ فوجئت عند تسـلمي لمخطوطة كتابي بمقدمة طويلة بخط صـالح جودت لهذا الكتاب في عدة صـفحات ، وحملت الكتاب مبهورًا للهيئة العامة للكتاب التابعة لوزارة الثقافة في محاولة لنشـره ولكن حالت ظروف عقائدية ـ لا مجال هنا لشرحها ـ دون نشر الكتاب .

وعرف صالح جودت بقصة هذا الرفض والظروف المحيطة به ، فنشر مقالًا بعنوان «المأساة الأولى في حياة شاعر ستريس» بمجلة الكواكب في مايو ١٩٦٨م ، نشر فيه لمحات من كتابي المخطوط الذي كتب مقدمته وذلك في سياق حديثه عن رفض الهيئة المذكورة نشر كتابه عن « شاعر الكرنك أحمد فتحي» أو نشر ديوان أحمد فتحي بحجة أنه لا يصلح .

وكانت مأساة عجيبة أثارت معركة أدبية ضارية بين شاعرنا الكبير والقائمين على أمور تلك المؤسسة في ذلك الحين ، وأخذ كتابي فرصته في النشر فيما بعد حيث نشر بسلسلة كتاب الهلال عدد أكتوبر عام ١٩٧٤م تحت عنوان «صفحات مجهولة من حياة زكي مبارك» وبعد ذلك عينت محررًا بمجلة الهلال بفضل تشجيع الفارس الشهيد يوسف السباعي ، ومؤازرة الشاعر النبيل صالح جودت رحمهما الله رحمة واسعة ، وأسكنهما فسيح جناته .

بعد ذلك وجدت رغبة عارمة في عمل دراسات موسعة عن هؤلاء الشعراء ، فنشرت دراستي الأولى عن شاعر النيل والنخيل صالح جودت عام ١٩٧٧م ، وأنجزت كتابي الثاني عن «اعترافات شاعر الكرنك أحمد فتحي» عام ١٩٨٧ ونشرت كتابي الملاح التائه علي محمود طه عام ٢٠٠٦، الذي يحوي جوانب مجهولة لم يسبق نشرها عن هذا الشاعر المحلق ، وبواكير شعره التي لم تحوها دواوينه .

وها هو كتابي عن ناجي الذي تشهد كل صفحة فيه تطبيق منهجي الذي أتبعه في كافة دراساتي وبحوثي الأدبية ، وهو المنهج النفسي في أدب السير والتراجم ، ومن خلاله تعرفت على أسرار قلب ناجي وسرائر روحه ، وكشفت للقارئ ناجي في لحظات قوته و ضعفه والصراع المحتدم في أعماقه بين الضعف والقوة ، والهدى والضلال ، والعنف والرقة ، ومن ثم استطعت أن أضع بين يدي القارئ مفتاح شخصيته وهو «القلق» ذلك القلق الذي جعله قلبًا معذبًا وروحًا حائرًا في بيداء الوجود .

وحين بدأت في إعداد هذه الدراسة عن «شاعر الأطلال» ناجي وجدت عالمًا زاخرًا بالعاطفة النبيلة ، والمشاعر السامية ، والمعاني الرائعة .

وحينئذٍ تذكرت منهج العقاد في ترجمته لابن الرومي حين قال :

«هذه ترجمة وليست بترجمة» ...

لأن الترجمة يغلب أن تكون قصة حياة ، وأما هذه فأحرى بها أن تسمى صورة حياة ، ولأن تكون ترجمة ابن الرومي صــورة خير من أن تكون قصــة ، لأن ترجمته لا تخرج لنا قصــة نادرة بين قصــص الواقع أو الخيال ، ولكننا إذا نظرنا في ديوانه وجدنا مرآة صادقة ووجدنا في المرآة صورة ناطقة .

وهكذا وجدت ناجي شاعرًا وإنسانًا .

وجدت شــعره صــورة معبرة لحياته وحبه ، وجدت حياته ممثلة في شــعره أصــدق تمثيل وأعمقه ، مما يجعله بحق شاعرًا صادقًا معبرًا عن حياته وعصره بأمانة وحرارة .

لقد فصلت في هذا الكتاب الحديث عن ناجي محبًا وعاشقًا وإنسانًا وشاعرًا مبدعًا صادقًا ، وتناولت بصفة خاصة نظرته السامية للمرأة ، وكيف أضاع عمره في البحث عن المثال المنشود للمرأة التي تمناها أو الحب الكبير الذي تمنى أن يملأ فراغ قلبه وروحه ، وكيف اكتشــف في النهاية أنه أضــاع في الأوهام عمره ، وأن كل آماله وأحلامه كانت سرابًا تحطمت على صخرة الواقع !

فناجي برومانسيته المرهفة ، وبتوقد إحساسه ، كان قلقًا حائرًا لا ينظر إلى الواقع إلا ليتجاوزه ، ويأسى إن لم يخلق لجسمه جناحان ، كما لفكره جناحان ، ليسمو بهما ويحلق في أجواء ساحرة من صنع خياله وأحلامه .

وكانت المرأة عنده هي الينبوع الأول للتجربة الشعرية ، فكان ينظر للعالم وللناس من خلال عيون المرأة التي كان ينظر إليها كملاك رحيم يبث الخير والحنان ، ويلهم أســمى المعاني ، وأنبل المشــاعر ، وهي عنده ملاك عال في برج من النور والطهر ، وهو فراشة تحرقها هذه الملهمة النورانية .

لقد عاش هذا الطائر الجريح حائرًا معذبًا .

عاش ظامئًا على كثرة الموارد حوله .

وجائعًا على وفرة الزاد عنده .

وثاويًا كالمهاجر .

بل عاش ناجي فراشة حائرة تهيم حول هيكل الحب والجمال :

فــراشـــة حــائــمــة على الجمال والصِّبا

تـعـرضـت فـاحـتـرقـت أغـنـيـة عـلى الـربُّـى

تـنـاثـرت وبَـعـثـرتْ رمـادهـا ريـحُ الصَّـبـا

وبعد ، فهذه هي ملامح شاعر الأطلال ، ناجي شاعرًا وإنسانًا ، وهذه هي قصة شاعر الوجدان الحائر الذي عاش حياته كلها للحب والجمال ، ومات شهيد الحب والجمال .

لم يقف ناجي على أطلال حبه أمام ديار الحبيب الضائع ، كما كان يقف شعراؤنا العرب القدامى فقط ، بل بكى أيضًا أطلال روحه التي تناثرت هباء بعد أن أخفق في حبه وأ صبحت محبوبته أطلال جسد ، و صار هو أطلال روح !

***

فليكن هذا المجلد الذي يضم سيرة ناجي وشعره ويفصح لنا عن أسرار قلبه ، وسرائر روحه والمؤثرات التي صنعت من ناجي شاعرًا وجدانيا رومانسيًا محلقًا يعزف لنا أجمل أغاريد الحب والجمال على قيثارة ، مرآة تقدم ناجي الشاعر الوجداني الرومانسي ، ولنتركك عزيزي القارئ مع أجمل أغاريد ناجي ، شاعر الحب والأطلال .

محمد رضوان

القاهرة ـ نوفمبر ٢٠١٧

سيرته وثقافته

حيرة ناجي وقلقه كانت واضحة في حياته وفي شعره ، فكان يحاول أن يجد في حبيبته النور الذي يهديه في ظلمات الحياة ، والناصر الذي يأخذه بيده :

بعينيك استهدي فكيف تركتني	بهذا الظلام المطبق الجهم أستهدي
بوردك أستشفي فكيف تركتني	لهذي الفيافي الصم والكثب الجرد
بحبكِ أستشفي فكيف تركتني	ولم يبق غير العظم والروح والجلدِ
و هذي المنايا الحمر ترقص في دمي	و هذي المنايا البيض تختل في فودي

وإذا كان صديقه محمود الشرقاوي يرى أن قصة الحياة التي ذاق محنتها ناجي، و«قصة الحب» الذي احترق فيه قلبه شطر مكمل لشعره وجزء موضح مبين لديوانه ، فقصة الحياة التي ذاق محنتها ناجي هي التي لونت شعره بهذا اللون الواضح المفرد ، و«قصة الحب» التي احترق فيها قلبه هي التي تحس لهب حريقها في شعره العاطفي الصادق الرائع المفرد أيضًا ، فإننا من خلال استعراض قصة حياة ناجي بكل أبعادها وزواياها وتأثيرها في شعره الذي اكتسب صدقًا فنيًا رائعًا ، يتضح لنا مدى إنسانية هذا الشاعر المبدع واتساع قلبه للإنسانية جمعاء ، وكيف أنه لم يكن مجرد شاعر أو طبيب بل إن هذه السيرة تعلمنا أن الفنان العظيم يجب أن يكون إنسانًا عظيمًا .

ولعل أصدق من يحدثنا عن سيرة حياة ناجي والعوامل التي أثرت في حياته وأدبه هو صديق عمره صالح جودت الذي عرفه عن قرب وفهم شخصيته وخبر سجاياه ، وعكس مشاعره بعد وفاة ناجي في كتابه النفيس «ناجي» حياته و شعره ، الذي صدر عام ١٩٦٠م ، فيروي لنا جودت سيرة ناجي من طفولته المبكرة حتى فراقه فيقول :

«سبعة من سراة القاهرة ، اتفقوا على أن يهجروا ضوضاء المدينة ، دون أن ينأوا عنها ، فاهتدوا إلى مساحة واسعة من الأرض تقع وراء محطة مصر ، عند الموقع المعروف بشبرا الصغرى ، وكانت يومئذٍ حقولًا تجري بها مياه الترعة البولاقية ، وتتفرع في قنوات كقنوات «البندقية» .

وفي هذه المساحة الشاعرية أسسوا «مدينة الأحلام» وأقاموا بها سبعة بيوت أقرب إلى القصور ، أولها بيت الزعيم الخالد محمد فريد ، يليه بيت السيد حسونة الطوير ، وهو يومئذٍ عامل تونس في مصر ، يليه بيت المرجوشي ، التاجر الكبير بالغورية ، يليه بيت صبحي العطار ، التاجر بالصنادقية ، ثم ينحرف الطريق يسارًا ، وعند منتصفه يقوم البيت رقم ٢٢ بشارع العطار ، وهو بيت أحمد ناجي ، الذي نشأ فيه شاعرنا ، ثم يليه بيت الشيخ إبراهيم الشرقاوي ، حفيد الشيخ عبد الله الشرقاوي الكبير ، وفي ركن الحي بيت الأستاذ عثمان جلال ، الأديب المعروف ، وصاحب «العيون اليواقظ» .

وهكذا أحاطت بشاعرنا في طفولته عطور الزعامة الوطنية والدين والأدب والعصامية ومن اسم هذه المدينة الصغيرة «مدينة الأحلام» استوحى شاعرنا قصة نصف طويلة كتبها في منتصف عمره وظهرت ضمن مجموعة من القصص المؤلفة والمترجمة أطلق عليها جميعًا تسمية «مدينة الأحلام» .

وفي بيت من هذه البيوت السبعة أيضًا ـ ولا أسميه ـ كان الحب الأول في حياة ناجي الشاعر ، الحب الذي طارد خياله طول حياته على يأس .

و شاعرنا هو ثاني أخواته وأخوته السبع ، ولد عند منتصف الليلة التي ودع فيها عام ١٨٩٨ عام ١٨٩٩ ، أي في ٣١ ديسمبر عام ١٨٩٨ ، وكأنه أبى إلا أن يشهد عامًا واحدًا كاملًا من القرن الماضي ثم يقضي بقية عمره في القرن الجديد .

وأما أبوه «أحمد ناجي» فكان يشغل منصب السكرتير العام لمصلحة التليفونات والتليغراف ، وأما أمه ، فهي السيدة بهية بنت السيد مصطفى سعودي ، الذي ينتهي نسبها إلى الحسين رضي الله عنه ـــ وأما خؤولتها فتنتهي إلى الشيخ عبد الله الشرقاوي الكبير فهي شريفة النسب من هنا وهناك .

وكانت هذه السيدة تمت إلى زوجها بصلة قرابة، مما أورث أعقابهما ضعفًا مختلف الشكول ، ظهر منذ البداية في أكبر أبنائهما محمد ، الذي خرج إلى الحياة أعشى ، وكذلك جاء بعض إخوته من بعده .

أما إبراهيم فقد ولد وليس به علة ظاهرة ، لولا ضآلته واعتلال صدره ، وقد صاحبته هاتان العلتان إلى آخر حياته .

ورث شاعرنا من أبويه كثيرًا من خلالهما .

ورث عن أبيه حب العلم والدأب في القراءة ، والذاكرة القوية ، والقدرة على اللغات ، فأجاد الإنجليزية والفرنسية والألمانية ، وقرأ كثيرًا في آداب هذه اللغات فإذا كان أبوه قد اكتسب الجاه بالعصامية ، فإن شاعرنا قد اكتسب العلم بالعصامية، فعلم نفسه ما لم يلقنه أباه أستاذ ولا مدرسة ، ونبه شأنه ، وهو الطبيب ، في الشعر والأدب والقصة وعلم النفس وغيرها من ضروب الثقافة .

ورث عن أمه إنسانيتها وخفة ظلها .

يروي عنها أن طاهي البيت أصيب بذات الرئة فاستبقته في البيت طول حياته يعالج ويظفر براتبه دون أن يعمل .

ونشأ ناجي على شاكلتها إنسانًا لا يملك ما في جيبه ، وطبيبًا عيادته مفتوحة الأبواب على مصراعيها لفقراء الأدباء والفنانين وغيرهم .

وكانت هذه السيدة ظريفة ، تحسن النكتة ، وقد نشأ ناجي كذلك فكان من ظرفاء عصره ، وكانت له نكات مأثورة تجري مجرى نكات البابلي والبشري وغيرهما من ظرفاء العصر .

ومن حكاياته المأثورة التي تجمع بين ظرفه وإنسانيته ، حكاية كان يرويها عن نفسه .

قال أن مريضًا قصد إليه في عيادته ، وكان فقيرًا فلم يؤد الأجر المفروض واستقبله ناجي ، وكشف عليه ، فلم يجد به داء إلا الجوع ، فأخرج من جيبه جنيهًا وقدمه للرجل وقال له :

أ خذ هذا الجنيه ، واشترى به زوجًا من الدجاج ، وستشفى بإذن الله ، وخرج الرجل يدعو له .

وبعد أسبوع صادفه في الطريق ، فسأله :

ـ كيف حالك الآن ؟

ـ على ما يرام يا دكتور .

ـ هل أكلت زوج الدجاج ؟

ـ لا .

ـ إذن ماذا صنعت بالجنيه ؟

ـ ذهبت إلى طبيب شفاني من علتي .

وكما تأثر شاعرنا بوالديه ، تأثر بذلك البيت الذي نشأ فيه بمدينة الأحلام وبساكنيه ، وبالذين حول البيت

.

وكانت في البيت جارية اسمها صباح ، وكانت على غير شأن إماء ذلك العصر ، قوية الشخصية ، مسموعة الكلمة ، تبدي آرائها في شجاعة أدبية بالغة فيحترمها الجميع .

وكانت إلى جانب ذلك ظريفة ، حلوة الحديث ، بارعة النكتة ، وكانت تولي شاعرنا في طفولته أوفر نصيب من عطفها وعنايتها ، فكان لها أثرها في شخصيته .

وكانت حديقة البيت الواسعة أشبه بأندية الرياضة .

فيها كل ما تجده اليوم في أندية الرياضة من ملاعب وأجهزة ، ولعل أحمد ناجي «والد الشاعر» قد أراد بهذا أن يقوم علل أبنائه ، بعد أن أحس أنه مسئول بزيجة القربى عن عللهم .

ولعل شاعرنا كان منصرفًا عن كل ذلك ، زاهدًا فيه ، يهرب من إخوته إذا لعبوا إلى المكتبة ، يلتهم ما فيها من العلم كتابًا وراء كتاب ، فإذا جن الليل ، عقد أحمد ناجي لأولاده حلقة يروي لهم فيها أحسن القصص ، ويلخص لهم ما قرأ من أمهات الكتب في مختلف اللغات ، فليلة لنهج البلاغة ، وأخرى لديوان الحماسة ، وثالثة لشرح القطب على الشمسية ، ورابعة لدافيد كوبر فيلد .... إلخ .

التحق شاعرنا أول ما التحق ، بمدرسة سبيل والدة محمد علي ، إذ كانت أقرب إلى المدارس إلى البيت ، ثم أنها كانت على غرار رياض الأطفال في عصرنا هذا .

كان ذلك في عام ١٩٠٤ ، وكان ناجي في الخامسة من عمره .

وأمضى فيها ثلاث سنوات ، ثم انتقل إلى مدرسة باب الشعرية الابتدائية ، وبدأ يتفوق على أقرانه ، ويفوز بجوائز التفوق في كل منا سبة ، فلما أدرك العا شرة ، سأله أبوه أية هدية يقدمها له إذا نجح ، فأجاب شاعرنا بأنه يتطلع إلى أي كتاب من كتب تشارلز ديكنز .

لقد كان مفتونًا به ، وإنك لتجده في مقدمة كتابه «مدينة الأحلام» يقول بأن تأثير ديكنز عليه كان بالغًا ، وأنه هو الذي فتح له آفاق الجمال ، فأصبح ينشد الخير الذي كان ينشده للفقراء والمعوزين ولوطنه وللناس جميعًا .

وهكذا سيطر عليه الحب ، الذي لا يكاد يخلو منه بيت واحد من شعره طول حياته .

وانتقل شاعرنا بعد ذلك إلى المرحلة التالية من حياته العلمية ، فالتحق بالمدرسة التوفيقية الثانوية بشبرا ، وهنا تبلورت اتجاهاته ، فقد بدأ محاولاته الشعرية وهو في الحادية عشرة من عمره ، وحفظ ديوان الشريف الرضي من الغلاف إلى الغلاف ، ولم توافه سنة ١٩١٢ حتى كان ينشد الشعر ، شعره هو ، وهو في الثالثة عشرة من عمره ، ينسجه على المنوال الذي حفظه ، منوال الشريف الرضي ، ويستعين على ضبط أوزانه بالتفاعيل والدوائر والشرط .

ومن منظوماته في ذلك العهد ، أبيات بعث بها إلى رفيق من رفاق صباه ، اسمه «باروخ» وكان باروخ هذا على يهوديته محبًا للأدب راويًا للشعر .

قال ناجي :

أقاسي من فراقك ما أقاسي   أعندك بالذي قاسيت علم

وكابدت الأسى دهرًا   ولكن حرام أن أكابده وظلم

فعندي مهجة حري وعندي   جفون ليس يسعهدهن نوم

وبي شوق يزيد على التنائي   وبي ألم كهذا الشوق ينمو

وكان ذا باع طويل في الإنشاء بطبيعة الحال ، فكانت موضوعاته فيها تظفر من أساتذته دائمًا بما يقترب من النهاية القصوى .

ومع هذا ، فإنه عندما أدرك نهاية المرحلة الثانوية ، وتقدم إلى شهادة «البكالوريا» كما كانت تسمى يومئذٍ ، رسب في اللغة العربية .

ولعل هذه السقطة هي التي دفعته إلى الاتجاه العلمي ، وإلى دخول مدرسة الطب «كلية الطب الآن» أو لعل ضعف صحته هو الذي أوحى له بهذا الاتجاه من قبل ، ومهما يكن من أمر فإن شاعرنا التحق بمدر سة الطب عام ١٩١٦ ، دون أن يهمل الطريق الذي خلق له ك شاعر ، فظل متفوقًا في هذا وذاك ، حتى تخرج وبدأ حياته العملية في عام ١٩٢٣م .

وبدأ شعر ناجي يتردد في مجالس أ صدقائه ، يتناقله الرواة ، ورحلت به الوظيفة إلى سوهاج ، ثم المنيا ، ثم استقرت به حينًا في مدينة المنصورة .

والمنصورة أرض طيبة تنبت الشعر والجمال ، والحب والخيال ، وهي التي أنجبت للبلد عشرات من أعلام الشعر والأدب والفن والمسرح والفنون جميعًا .

يروي صالح جودت قصة بداية معرفته بناجي فيقول :

في المنصورة عرفت ناجي ، إذ كنت طالبًا بالمدر سة الثانوية ، وكان لي زميل أثير ، هو الشاعر محمد عبد المعطي الهمشري ، وكان موهوبًا ، لولا أن عاجلته النهاية وهو في أوج شبابه .

كنا نخرج ــــ هو وأنا ــــ من المدر سة ، فنلتقي بشاعرين يكبراننا ، وكان المستقبل يتهيأ لهما يومئذٍ ، هما المرحومان إبراهيم ناجي الطبيب ، وعلي محمود طه المهندس .

وكنا نجلس نحن الأربعة على شاطئ النيل ، نقضي أجمل ليالي العمر في حديث الأدب والشعر .

كانت هذه الـ صحبة مدر سة جديدة في الـ شعر ، تتقارب خطوطها كل التقارب ، إلى حد أن اختلط شعرنا على الناس في كثير من الأحيان ، فنسب إلى غير صاحبه ، وإلى حد أن أحد منا نحن الأربعة لم يكن يعرف من التلميذ ومن الأستاذ ، وقد كان كل منا يفيد من صحبته الآخرين .

وكان لنا أصحاب ثلاثة من شعراء الشباب والأدب والإنجليزي ، هم شيللي وكيتس وورد زورث ، نقرؤهم دائمًا ، ونحس بما بيننا وبينهم من أوا صر الشعر وو شائج الشباب وعبادة الجمال وروح الثورة على القديم .

وفي المنصورة ، نظم ناجي قصيدة « صخرة الملتقى» وبعث بها إلى «السياسة الأسبوعية» وكانت من أمهات الصحف الأدبية في ذلك العهد ، فاحتفت بها الصحيفة ونشرتها في مكان كريم .

وبدأنا نفعل ، فعل ناجي ، بعد أن كنا نشفق من إرسال شعرنا إلى الصحف ، فأرسلناه ، ونشر ، وأخذنا طريقنا منذ يومئذٍ إلى الناس .

وانتهت أيام المنصورة الحلوة ، وزحفنا نحن الأربعة على القاهرة في وقت واحد تقريبًا ، ناجي إلى وظيفته بالقسم الطبي لمصلحة السكك الحديدية ، وعلي محمود طه إلى وظيفة بوزارة الأشغال ، والهمشري وأنا إلى الجامعة .

ومنذ ذلك الحين ، لم نفترق ، ناجي وأنا ، إلى أن لقي وجه ربه ، إلا ليالي معدودات .

عاد ناجي إلى القاهرة ، ومر بديار أحبابه الذين تغيرت مقاديرهم ، فرآها مهجورة تصفر فيها الريح وتكسوها أنسجة العناكب ، فنظم قصيدته المأثورة «العودة» التي قال فيها :

هذه الكعبة كنا طائفيها ... والمصلين صباحًا ومساءً
كم سجدنا وعبدنا الحسن فيها ... كيف بالله رجعنا غرباء؟

***

دار أحلامي وحبي لقيتنا ... في جمود مثلما تلقى الجديد
أذكرتنا وهي كانت أن رأتنا ... يضحك النور إلينا من بعيد

وكان ناجي قد أبى إلا أن يغير قدره كما تغيرت أقدار أحبابه ، فودع أيام العزوبية ، وخطب لنفسه «سامية» كريمة اللواء محمد سامي أمين محافظ العاصمة .

ولولا أن هذه السيدة كانت واسعة الأفق ، ما استطاع ناجي أن يواصل رسالته كشاعر ، وهو يطالعها كل يوم بقصائد مطولات عن حبه القديم ، ثم يختتم أمسياته كل ليلة بجديد من غزلياته ، مرة في «راقصة» وأخرى في «سمراء المحفل»، وثالثة في «هند» ورابعة في «سونيا» ، وخامسة في «زازا» ... إلخ .

كان شأنها في ذلك شأن زوجة أمير الشعراء ، فقد كانت هذه السيدة هي الأخرى ترضى بالقليل من عواطفها ، لتترك بقية هذه العواطف للدنيا ، تتبادلان الإلهام والغناء .

ولم يعقب ناجي منها ولدًا ، وإنما أعقب ثلاث بنات ، أميرة وضوحية ومحاسن .

وكانت الوسطى «ضوحية» أقرب إلى قلب أبيها ؛ لأن أميرة كانت موفورة الحظ من الجمال ، وكأنما اكتفت من الجمال بهذا الجانب ، أما ضوحية فقد كان من نصيبها جمال الروح ، وكانت تحب الشعر ، وتضع شعر أبيها فوق كل شعر ، ولهذا غدت أثيرة عنده ، يفتح لها مغاليق قلبه ، ويسرها نجواه ، ويختصها دون شقيقتها بأكثر من قصيدة .

تلفتت مجتمعات الأدب إلى ناجي عقب عودته من المنصورة إلى القاهرة ، وتلقفته مجامعها مهللة محتفية ، فأصبح من أقرب المقربين إلى أمير الشعراء .

ويصف صالح جودت انضمام ناجي لجماعة أبوللو فيقول :

«وحينما قامت جمعية «أبوللو» في سنة ١٩٣٢م ، ورئيسها يومئذٍ أمير الشعراء أحمد شوقي وأمينها الدكتور أحمد زكي أبو شادي ، كان ناجي في الطليعة من عهد هذه المدرسة ، ووقع الاختيار عليه ليكون وكيلًا لها ، وكنا نحن ـــ علي محمود طه وزكي مبارك وحسن كامل الصيرفي ومحمد الأسمر وأنا وغيرنا ـ أعضاء في مجلس الإدارة .

وفي سنة ١٩٣٤م ، ظهر أول ديوان مطبوع لناجي «وراء الغمام» الغمام الذي يتطلع ناجي إلى الأرض فيراه يحجب حقائق الناس ، فتلك راقصة تلهو وتمرح وكأنها أسعد أهل الأرض ، فإذا انقشع عنها الغمام ، وجدت وراءه مأساة دامية ، يصورها لك في قصيدته «قلب راقصة» التي يقول فيها :

لا تكتمي في الصدر أسرارا	وتحدثي كيف الأسى شاء
أنا لا أرى إثمًا ولا عارا	لكن أرى امرأة وبأساء

والغمام الذي يتطلع ناجي إلى السماء ، فيراه يحجب حقائق السماء ، فيسمو إليها بخياله قائلًا في قصيدة «صلاة الحب» :

سموت ودق إحساسي	وجزت عوالم البشر
نسيت إساءة الناس	غفرت إساءة القدر

ويذهب ناجي ـ عقب صدور هذا الديوان ـ إلى لندن في مهمة علمية ، وتقع في يده صحف مصر ، فإذا هي زاخرة بمعركة حول قيمة هذا الشعر ، وإذا بعض أصدقائه الذين طالموا طربوا له وتغنوا به ، يلحونه ويضعون مكانته .

وإذا كاتب جهير «طه حسين» ممن يوجهون الرأي الأدبي في البلد ، يكتب عن قصائد «وراء الغمام» فيقول ما نصه :

«إنها أشعار حسنة ، ولكنها أشعار صالونات لا تتحمل أن تخرج إلى الخلاء فيأخذها البرد من جوانبها».

هزت هذه الجملة كيان ناجي الرقيق هزًا عنيفًا .

«لقد كان يخيل له أن صدور هذا الديوان سيكون بمثابة وثيقة كبيرة في طريق المجد يسجلها له النقاد» .

ونسي ناجي أن المجد هو ما يكتب هو لنفسه ، لا ما يكتب عنه الناس .

ولكن جحود الأصدقاء الذين هاجموه في غيبته هد كيانه ، وكلمة الكاتب الجهير تركت جرحًا عميقًا في نفسه ، فراح يردد هذا البيت :

هي محنة وزمان ضيق   وتمخضت عن لا صديق؟

وانبرت جماعة «أبوللو» تدافع عنه على صفحات مجلتها ، وعلى صفحات جميع الـ صحف والمجلات ، ولكن كل هذا لم يخفف عن نفسه .

وبينما هو سارح في شوارع لندن ، شارد الفكر ، تائه اللب في هذه المحنة ، دهمته سيارة أدخلت عظمة رأس الساق في الحوض من فتحته فكسرته .

ونقل ناجي إلى مستشفى سان جورج ، وتجمع عليه فوق آثار هذه الصدمة داء السكر الذي كان يشكو منه ، وبرد لندن القارس ، هذا فضلاً عن الصدمة النفسية التي كان يعانيها من ناقديه .

ورقد أيامًا طويلة في المستشفى ، وأجريت له جراحة خطيرة كللت بالنجاح ، خرج ناجي من المستشفى يجر ساقيه على عكازين ، ولكن المرارة التي في نفسه عاشت معه بعد ذلك حقبه طويلة من الزمن .

وأدركت به الباخرة مدينة البندقية ، فقال والنشوة في عينيه ، والمرارة في أعماقه:

يا رب ما أعجب هذي البلاد لا ليل فيها كل ليل صباح
وكل وجه في حماها ضماد ومصر لا تنبت إلا الجراح؟

ثم أشرفت الباخرة على شواطئ مصر ، فصاح يقول :

هتفت وقد بدت مصر لعيني رفاقي تلك مصر يا رفاقي
خرجت من البلاد أجر همي وعدت إلى البلاد أجر ساقي
أتدفعني وقد هاضت جناحي وتجذبني وقد شدت وثاقي؟

على أن عناية الله تلطفت بالشاعر ، فاعتدلت ساقاه ، ولم تترك صدمة لندن ، أثرًا في مشيته ، وإن كانت تركت آثارًا عميقة في كيانه كإنسان وكشاعر .

عاد الشاعر إلى مصر ، وقد كفر بكثير من القيم التي طالما آمن بها ، وفي طليعتها قيمة الصداقة ، وقيمة الشعر .

لقد هاله أن يجد بين أصدقائه شاعرًا معروفًا طالما تغنى بالقصائد التي انتظمها «وراء الغمام» يعود فيتنكر لصاحبه ، ولشعر صاحبه ، بعد صحبة طويلة .

فهجاه الشاعر، وهو الذي عاش من قبل لا يكاد يعرف معنى كلمة الهجاء .

هجاه هجاء تجرد فيه لأول مرة من نزعته الإنسانية العميقة التي اشتهر بها ، حتى أنه تمنى له الموت ، ثم اختتم الأبيات بقوله كما قال قيصر لبروتس : «حتى أنت؟» .

قال الشاعر :

أيها الحي وما ضر الورى لو كنت متا؟
أو شعر ذاك ؟ لا بل حجر ينحت نحتا
تلقم الناس وترميهم فوقا وتحتا
صحت من يأسي لما بركيك الشعر صحتا
آه يا قاتل ... يا سفاح ... حتى أنت ... حتى ؟

وقصيدة أخرى تمثل نفس الاتجاه ، قالها الشاعر في هجاء عبد الحميد ، وعبد الحميد هذا كان إنسان تعسًا منحلًا لا يكاد يفيق من الشراب ، ولا يشبع من مطاردة عارفيه ، هو فيلسوف الصعاليك ، عبد الحميد الديب .

على أن الشاعر كان كثير الإحسان إليه ، والمداعبة له ، وطالما فرضه على أصحابه فوصلوه ، ولكن ناجي حينما اعترته هذه السوداوية عقب عودته من لندن برم بالناس جميعًا ، حتى عبد الحميد ، فقال يهجوه :

رجلًا أرى بالله أم حشره؟	سبحان من بعبيده حشره؟
يا فخر داروين ومذهبه؟	وخلاصة النظرية القذره
أرأيت قردًا في الحديقة	قد فلته أنثاه على شجره
عبد الحميد ... اعلم فأنت كذا	ما قال داروين وما ذكره
يا عبقريا في شناعته	ولدتك أمك وهي معتذرة

واجتمعت في نفس الشاعر عقدة ضد الشعر ، فأقسم أن يطلقه ولا يقوله أبدًا ، ولكنه لم يستطع أن يخاصم قلمه ، فاتجه حينًا إلى القصة المترجمة ، ثم المؤلفة ، على أنه لم يصل في هذا الحقل إلى شيء مما وصل إليه في حقل الشعر .

وظهر له يومئذٍ كتاب «مدينة الأحلام» وفيه القصة التي حدثتكم عنها ، والتي استوحى اسمها من بيئة البيت الذي نشأ فيه ، كما استوحى حوادثها من ملهمة الطفولة ، ظهرت هذه القصة في كتابه هذا ضمن مجموعة أخرى من القصص المؤلفة والمترجمة والدراسات الأدبية والاجتماعية والنفيسة ، وجعل لهذا الكتاب مقدمة يقول فيها :

وداعًا أيها الشعر
وداعًا أيها الفن
وداعًا أيها الفكر

قال هذا ، وكأنما القصة ليست من الفن ، وكأنما الدراسات التي اتجه إليها ليست من الفكر ، ومهما يكن من أمر ، فإن هذه الفترة المجدبة على الشعر في حياة الشاعر لم تكن مجدبة ، فقد عمرت بإنتاج وافر منوع ، ذكرت منه كتاب «مدينة الأحلام» وأذكر منه كتابًا آخر في فن القصة ، نشرته مجموعة كتب للجميع عنوانه: أدركني يا دكتور .

وفي هذا الكتاب مجموعة من القصص القصيرة من لون فريد ، فالبطل فيها دائمًا طبيب ـــ بل هو الطبيب الشاعر نفسه ـــ وإنك لتكاد تلمح من خلال كل قصة منها شيئًا من ملامح الشاعر ، تلمحه شاعرًا وعاشقًا وباحثًا نفسيًا وإنسانيًا ومحرومًا .

وقد تجد أن بعض عناصر القصة مكتمل في بعض قصص هذا الكتاب ، ولكنك تجد شيئًا آخر يستحق الانتباه ، هو أن هذه القصص في مجموعها تهدف إلى إشاعة الأمل في نفس القارئ ، ولا سيما إذا كان القارئ ذا علة في الجسد أو في النفس .

ولهذا الكتاب مقدمة تستحق أن تقرأ وتستعاد ولهذا أحببت أن أنقلها إليكم .

يقول الشاعر في هذه المقدمة :

لعل أعرف الناس بالناس هم الأطباء ، ولعل أقل الناس تحدثًا عن الناس هم الأطباء .

ذلك لأن قلوبهم من فرط ما وعت ، ضاقت عن الإفضاء ومن فرط ما أحست طويت على البرحاء .

لكنني خلقت بقلبين : قلب الطبيب وقلب الشاعر .

قلب الطبيب يمتلئ ، وقلب الشاعر يعبر ، فلقد كانت التجارب الإنسانية ترتسم في خواطري مضاعفة ، والآلام البشـــرية لها في جوانحي صـــدى مرن ، والفوتغرافية التي تنعكس عليها المرئيات ذات لوح يلتقط مرتين .

أعرف كثيرين من زملائي الأطباء ذوي النزعة الأدبية الشـــاعرية يمارســـون الكتابة في خفاء ، وينظمون الشعر بينهم وبين أنفسهم ويأبون أن يذيعوا ما مارسوا في الخفاء وينظموا خلف الستار .

ولقد طالما تحدثت إليهم قائلًا : إن الأطباء لو كتبوا لأجادوا ، ولو أذاعوا ما عملوا لأحدثوا رجة في الأدب وتغييرًا في أساليب الحياة ، لأنهم وحدهم الذين سيكتبون بلا نفاق ، ويصرحون بالحقائق في غير رياء ، ذلك لأنهم لا يخشون أحدًا ولا يرهبون صولة إنسان .

ومن يقلب صفحات تاريخ الأدب ، يعثر على مؤلفات أدبية لأطباء مشاهير .

مؤلفات قليلة حقًا ، ولكنها خالدة باقية بقاء الزمن .

ولا شك أن أكثر القراء الأعزاء قد قرأوا قصة الطبيب السويدي الأشهر سيلفان أكزل مونته ، أو قرأوا قصة للطبيب الأديب «دوهاميل» أو قرأوا قصة «القلعة» للطبيب الكبير «كروتين» .

لم تكن هذه المؤلفات قصصًا في الواقع ، بل تجارب إنسانية صادقة أتم الصدق وهؤلاء الأدباء تميزوا في كتاباتهم بالبساطة التامة ، فهم لا ينمقون في أساليبهم ، ولا يهرجون في ألفاظهم ، وإنما يتوخون الصدق ، أتم الصدق .

وهنا نسجل فضلًا للأستاذ الدكتور طه حسين ، الذي قسا بعض القسوة على شعر ناجي عند ظهور «وراء الغمام» وقد هاله أن يطلق ناجي الشعر ، فأراد أن يحرضه على العودة إليه تحريضًا جميلًا ، فأنشأ في صحيفة «الوادي» فصلًا مشوقًا قال فيه :

«إني لم أحزن حين رأيت الدكتور ناجي يعلن زهده في الشعر ؛ لأنني قدرت أن الدكتور ناجي إن كان شاعرًا حقًا ، فسيعود إلى الشعر إن راضيًا وإن كارهًا ، سواء ألححت عليه في النقد أو رفقت به ، وأن لم يكن شاعرًا ، فليس على الشعر بأس في أن ينصرف عنه ، ويزهد فيه» .

وكان لهذا التحريض أثره عند ناجي ، فانحلت عقده النفسية واحدة وراء الأخرى ، وعاد إلى صفائه وأصدقائه وأحبائه وأناشيده الخالدة .

يصف صالح جودت شخصية ناجي بعد عودته إلى جنة الشعر فيقول :

عاد ناجي يغرد أجمل مما كان يغرد .

وعاد ناجي يغرد أجمل مما كان يغرد .

وعاد إلى حياة الليل ؛ لأنه كان يعشق الليل .

كان أقل النوم يشبعه ، وأقل الغذاء يكفيه .

وهو في الحب كذلك ، أقل الرضا يرضيه .

وكان معنا في مدرسة الليل هذه ، كثير من أبناء مدرستنا الحديثة يومئذٍ ، وأذكر منهم محمود تيمور وأحمد رامي وإبراهيم المصري وطاهر لاشين وحسين فوزي وعلي أدهم وغيرهم .

وكانت الليلة تبدأ في حلواني «تسيباس» أو «الأمريكين» ثم ينتقل الركب إلى «قهوة ريجينا» بشارع عماد الدين ، ثم يبدأ العقد في الانفراط بعد منتصف الليل ، ولكن ناجي يصر على السهر ، ويغلق هذا المقهى أبوابه فينتقل بقية الركب إلى «قهوة أثينا» فإذا أغلقت أبوابها هي الأخرى انتقلت البقية إلى قهوة بيرون وأقول بقية البقية ؛ لأن حباب العقد كانت تتناقص على مر الساعات ، حتى لا يبقى عند مطلع الفجر إلا ثلاثة : ناجي وإبراهيم المصري وأنا ، نضرب في الأرض نلتمس مكانًا تفتحت أبوابه عند الفجر نجلس فيه لنبدأ اليوم ، لا لنكمل السهرة ؟

وقد شهدت هذه الجلسات أعنف معارك الأدب التي خرجت منها إلى وجوه الصحف ، كما شهدت أبدع الأسمار وأمتع الأحاديث .

وأذكر أن واحدًا ممن يعيشون على هامش الأدب كان يجالسنا كل ليلة ، ويسمع ما يقال ويسجله أولًا بأول ، فما لبث أن اجتمع له مما نقول كتاب كامل نشره ونسبه إلى نفسه ، وعد يومئذٍ من الأدباء بعد أن أثار كتابه الذي لا فضل له فيه، ضجة في الأوساط الأدبية .

كانت الفترة التي هجر ناجي فيها الشعر فترة غير مجدبة فقد راح يتلهى بترجمة القصة وتأليفها كما أسلفت القول ـــ كما راح يترجم أهازيج شكسبير ، و شعر بودلير ، ويلقي المحاضرات العامة عن فرويد وغيره من علماء النفس ، ويترجم المسرحيات ، ومن أشهرها «الجريمة والعقاب» لديستويفسكي ، ويكتب للإذاعة، ويدرس أدب فجر الإسلام والأدب الروسي ، ويؤلف في الطب ، ويصدر مجلة «حكيم البيت» التي لم يستطع أن تخلص من روح الأديب الشاعر الفنان ، ويصنع كل شيء إلا أن ينظم الشعر .

إلى أن مرت المحنة ، ومرت معها محنة أخرى كان يعانيها من زملائه في العمل.

عاش الشاعر إبراهيم ناجي للحب والجمال وكانت حياته قصيدة حب حالمة امتزجت فيها أنغام الوصال والهجر ، والحنين والأنين والرضا والألم ، فقد أفصح عن أسرار قلبه وسرائر روحه في قصائده الرقيقة الحالمة بصدق وحرارة ، حتى أصبح بحق شاعر اللهفة العاطفية .

ومن محاولاته الشعرية الأولى من شعر الصبا تلك القصيدة بعنوان «كلانا» التي يقول فيها :

كلانا حزين فلا تجزعي ... ودمعك تسبقه أدمعي

وإن كان بين ضلوعك نار ... فنار الصبابة في أدمعي

وإن كان نجم هنائك غاب ... فنجم هنائي لم يطلع

كان الدكتور إبراهيم ناجي رقيقًا ، وديعًا ، صافي القلب ، عذب الروح ، كان كما يصفه إبراهيم المصري : تلتقي بالدكتور ناجي ، فتشعر كأن نسيمًا منعشًا يهب عليك ، وتصافحه فكأنما يفتح لك صدره ، وتجلس إليه وكأنك في حضرة روح حائر ، وتستمع إلى حديثه فيأخذك العجب من طهارة قلبه وبراءة نفسه و سلامة طويته وعذوبة صوته وطلاقة محياه .

هذه هي شخصية ناجي كما صورها إبراهيم المصري ، وكما صورتها تصرفات شاعرنا الإنسانية فقد كان يتخذ من الطب مهنة إنسانية أولًا ، ويجعلها هواية في كثير من الأحيان وكثيرًا ما كان يخرج من جيبه ثمن الدواء ـ وأحيانًا ثمن الغذاء ـ للمرضى والفقراء .

وكان أهل الأدب والفن من متوسطي الحال يعالجون عنده وفي أغلب الأحيان كانت عيادته تزخر بألوان من المرضى الفقراء وكان حصيلة كل هذا أقل القليل من المال ، ولكنه كان يشعر بسعادة غامرة إزاء ذلك ، لقد أعطت صناعة الطب لناجي ضوءًا جديدًا وتجربة خصبة وكشفت له عن النفس الإنسانية وأبانت له حقائق باهرة قوامها أن مرضى الأجساد هم مرضى النفوس أساسًا ، وأن ابتسامة الطبيب هي نصف العلاج ، فقد جمع بين الطب والشعر :

الشعر مرحمة القلوب وسره	هبة السماء ومنحة الديان
والطب مرحمة الجسوم ونبعه	من ذلك الفيض العلي الشأن

وكان ناجي في بداية حياته العملية قد بدأ يصطدم بالواقع ويخبر الحياة خيرها وشرها وهو الإنسان المرهف الحس الرقيق الوجدان ، ودار صراع حاد في نفس الشاعر المرهفة بين المادة والروح والخيال والواقع ، وحول المواءمة بين طبيعته المرهفة بين المادة والروح والخيال وقسوته ، ودار صراع في نفسه ونضال بين الغرائز والقدر ، بين الميول والصروف، بين الخيال والمادة ، بين الوهم والواقع ، بين الروح والجسد ، وأخيرًا يلتفت فإذا نفسه أشلاء وإذا الشمعة تحترق والزيت ينضب وكانت تلك مأساة ناجي كان هناك صراع حاد يدور في نفسه وكان يحاول أن يجد ما يرضي روحه القلقة ونفسه المعذبة والاستقرار من غربته الروحية ، فقد كان جائعًا على كثرة الزاد ، ظامئًا على وفرة الموارد ، مسافرًا وهو مقيم ، يسير بمصباحه وحيدًا هائمًا في خضم الحياة يغني للحب والجمال :

فـــراشــــة حـــائـــمـــة على الجمال والصبا
تعرضت فاحترقت أغنية على الربا
تناثرت وبعثرت رمادها ريح الصبا
أمشي به وزيته كاد به أن ينضبا

وقد عانى ناجي في سنواته الأخيرة الكثير من المؤامرات والدسائس وراحت ألسنة الحاسدين والحاقدين تدس له عند رؤسائه في العمل «بوزارة الأوقاف» وتزعم أنه منصرف عن الطب إلى الشعر والأدب ، ونجحت الدسائس في الهبوط به من منصب المدير إلى منصب المراقب ، ثم ما لبث أن انتهى الأمر إلى إخراجه من وظيفته وهو في حوالي الثانية والخمسين .

وكانت صدمة عنيفة هزته من أعماقه هزًا عنيفًا وغامت الدنيا في عيني الشاعر الرقيق ، واستسلم للعزلة ، وغشت الكآبة نفسه واحتوته سورة اليأس وعانى العذاب الممض وأسرف في التدخين ينشد فيه السلوى والنسيان واعتزل المجتمع وغابت ابتسامته الحلوة .

لقد تغير كل شيء في ناجي في سنواته الأخيرة ، صمت القلب العاشق ، و سكت البلبل المغرد ، وعاد غناؤه نواحًا وترنيمه أنينًا .

وزادت هذه المحنة من إهماله لنفسه فلم يعد يأبه بطعام أو صحة أو ملبس وأدى ذلك إلى خلاف بينه وبين زوجته وشرع يقضي لياليه ساهرًا هائمًا على وجهه لا رفيق له سوى الأقداح والذكريات وقلمه وهواجس نفسه ، وزاد الأمر أن الشاعر كان يعاني من ظروف غدر من ليلاه فأصبح كل شيء أمامه موحشًا كئيبًا :

قد رأيت الكون قبرًا ضيقًا خيم اليأس عليه والسكوت
ورأت عيني أكاذيب الهوى واهيات كخيوط العنكبوت
كنت ترثي لي وتدري ألمي لورثي للدمع تمثال صموت

وانفض عنه معظم أصدقائه إلا عدد محدود ظلوا بجانبه في محنته منهم صديق عمره الشاعر صالح جودت الذي ظل ملازمًا له وفيًا لصحبته حتى آخر نسمة في حياة ناجي .

أثناء اشتعال الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ ـــ ١٩٤٥) كان ناجي يعاني كآبة في نفسه ووحشة قاسية وكانت القاهرة يخيم عليها الظلام والصمت ، ودخل في حياته حب كبير كان بمثابة لمحة الضوء التي سطعت في دياجي الظلمات في تلك الحقبة الصعبة من حياته .

كانت زازًا فنانة رقيقة تحب الشعر وتعشق الفن وكانت كثيرًا ما تناقش ناجي في شتى فروع الأدب والثقافة والفن والحب ، وكانت تعقد ندوات أدبية وفنية عامرة في صالونها وجد فيها ناجي ، في تلك الحقبة التي كان يعاني فيها من محنته بالناس والزمان الملجأ والسلوى ، عرفها حوالي عام ١٩٤٤ فملأت الفراغ الذي كان يكابده .

ويلقي الشاعر صالح جودت الأضواء على قصة هذا الحب الكبير ، فيقول عن تلك الملهمة :

«أما زازًا فلست أجانب الحق إذا قلت : إنها المرأة الوحيدة التي أحبت الشاعر، كانت شابة وسيمة القسمات ، أنيقة الروح ، تعشق الشعر ، قديمه وحديثه، وتحفظ الكثير من هذا وذاك ، ولم تكن ذات مطامع كمطامع الغانيات ، كان كل همها في الحياة أن تكون بجانب شاعر يحبها وتحبه .

لقد لعبت زازًا في حياة ناجي في تلك الحقبة دورًا كبيرًا في تخفيف آلام نفسه وأحزان روحه وكان في تلك الحقبة يعاني المرض وعقوق الأصدقاء وهجر المحبوبات وعسر في المال ، فضلًا عن الأحقاد والدسائس من خصومه الذين استغلوا محنته فزادوا من دسائسهم للنيل منه في عمله وكان يقترب حينئذٍ من الخمسين فزاد ذلك في محنته وألمه .

وانعكس ذلك على نفسيته و شعره وفي لحظة يأس اعتكف وحيدًا و شرع يشرب بإسراف رغم تأثير ذلك على صحته لمرضه بالسكر وبذات الرئة ، وقرر أن يهجر كل شيء ، وأحس بالنهاية وبأن الزورق الذي كان يتهادى في بحار الحب والجمال قد أوشك على الغرق ولا مجيب لصراخ الملاح الحزين ؟

فكانت تلك القصيدة التي كتبها في لحظة يأس قاتلة وكآبة حادة ومما زادها كآبة وصدقًا ووحشة أنه استوحاها من لحظات هجر وفرقة مع محبوبة العمر «زازًا» التي كانت بلسمه الشافي الذي خفف عنه الكثير من آلام روحه ، وأحزان نفسه ، يقول في عاصفة الروح :

أين شط الرجاء يا عباب الهموم
ليلتي أنواء ونهاري غيوم
أعولي يا جراح اسمعي الديان
لا يهم الرياح زورق غضبان
اسخري يا حياه قهقهي يا رعود
الصبا لن أراه والهوى لن يعود

وتبلغ الكآبة ذروتها والحزن مداه فيودع كل شيء الصبا والأمل والغرام بعد وداعه للحب الوحيد في حياته الذي كان يضيء أفق حياته ويبدد عن روحه ظلماتها وأحزانها ، فيقول :

اطحني يا سنين مزقي يا حراب
كل برق يبين ومضه كذاب
اسخري يا حياه قهقهي يا غيوب
الصبا لن أراه والهوى لن يؤوب

ولكن زازًا ظلت بجانبه إلى آخر نسمة في حياته تهبه حياتها وهي صبية ، وهو فوق ذلك قليل الحظ من المال والجمال ، مريض بذات الرئة ، فما من شك بعد ذلك أنها كانت تحبه حبًا مثاليًا لا غاية وراءه إلا الحب في ذاته كما يذكر صديقه الشاعر صالح جودت .

وراح شاعرنا يذوب تدريجيًا وأسرف في الشراب وأصبح حطامًا يدب على الأرض بعد أن أصابته صدمات من المرض وفرقه الحبيب ومكايد الأعداء وانفضاض الأصدقاء عنه وخروجه من وظيفته واتخذ الطائر الجريح من الليل صديقًا وأنيسًا يبثه نجوى روحه وآلام نفسه عله يجد السلوى والنسيان ، وكانت لياليه حافلة ببقايا الذكريات والدموع والآلام ، وكان من نتاج ذلك أجمل وأرق شعره المضمخ بالدموع والأحزان .

ثم ما لبثت القيثارة الشجية التي أبدعت لنا أجمل أنغام الحب والجمال أن صمتت.

وأخيرًا غرق الزورق وغاب الملاح بين الأمواج ، رحل الإنسان الكبير والشاعر المبدع وهو يهتف في أسى مودعًا محبوبته والوجود :

داو ناري والتياعي	وتمهل في وداعي
يا حبيب العمر هب لي	بضع لحظات سراع
قف تأمل مغرب العمر	وإخفاق الشعاع
وابك جبار الليالي	هده طول الصراع
وضياع الحزن والدمع	على العمر المضاع
وهتاف القلب ما الشكوى	على غير انتفاع
ما يهم الناس من نجم	على وشك الزماع
غاب من بعد طلوع	وخبا بعد التماع

وعندما رحل ناجي في ٢٤ مارس ١٩٥٣ عن عمر يناهز الثالثة والخمسين أصيبت زازًا بصدمة عنيفة وأصرت على أنه لم يمت بل ـ كما قالت : ذهب ولم يترك عنوانه» .

ناجي شاعر الحب الضائع

كان ناجي شــاعرًا رومانســيًا محلقًا ، تغنى بالحب وأحب كثيرًا ، لكنه كان يخفق في العديد من تجاربه العاطفية ، وكان بعضها من طرف واحد ، فكان يجتر أحزان قلبه ومرارة نفسه !

وقد اعتبر بعض النقاد أن ناجي بعد تجاربه المخفقة لجأ إلى الهروبية الرومانسية ولكن لماذا؟

لعل اتجاه «ناجي» إلى الهروبية الرومانســية ، وتســنمه ذروة ذلك الاتجاه لم يكن نتيجة قراءاته وثقافته ، بقدر ما كان صـدى نفسـية انطوائية ، شـديدة الشـفافية مفرطة الحسـاسـية ، فيها كثير من الانطواء المقاوم ، والحياء المغالب[٣]، فمنذ طفولته كان شديد الإحساس بمظاهر الطبيعة حوله ، غارقًا في الوهم والتخيلات ، محولاً واقعه إلى حلم ، وأحداث الحياة من حوله إلى خفقات قلب ، وسبحات خيال .

لقد كانت شخصيته أقرب إلى الطابع الرومانسي الذي تجسم في روحه الحائرة القلقة وطهارة قلبه ، ورقة إحساسه ، وحيائه الذي يجعله يمشي ، وكأنه يتعثر ، وعينيه الحالمتين ، وعصبيته وثورته الانفعالية .

وكان جزء كبير من أحزانه العاطفية راجعًا إلى هذا التكوين النفســي الحالم الحائر العصــبي ، المشــتعل بالأحاسيس ، وما أكثر ما نجده في شعره يتمنى أن تهبه الحياة أجازة قصيرة من توهج المشاعر :

أرنو إلى الصـــحراء حيث الرمالْ   نامَتْ كأن اللفح فيها ظلالْ
يا ليت لي والدهر حالٌ وحالْ   مِنْ وقدة الإحساس بعض الكلالْ
وددتُ لو قلبي كهذي القفار   أصـــمٌ لا يســـمع ما في الديارْ
أعمَى عن الليل بها والنهار   وددت لو قلبي كهذي القفارْ !

وددت لو عندي جهل الثرى   تعمر أو تقفر هذه البيوتْ
غَـفْـلان لا يـعـنـيـه أمـرٌ جَـرَى   أيـولـد الـحـي بهـا أم يـمـوتْ

(٣) د. سعد دعيبس : الغزل في الشعر العربي الحديث في مصر، دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية ١٩٩٢ ص٥٠٦.

وقد ضاعف من حساسيته العاطفية ، وثورته الانفعالية تكوينه الجسمي ، إذ لم يكن شاعرنا على قسط من الوسامة يؤهله للظفر بقلوب العذارى ، وقد أحب في أول عهده بالشباب ، ولكن فتاة أحلامه رفضته ، وتزوج بعد هذا الفشـل ، ومع ذلك فقد ظل طوال حياته يحترق بنار الحرمان ، والظمأ الروحي ، ويتلهف لكل امرأة جميلة ، إنه كان ينشد حبيبة مثالية حلم بها طويلاً ، وبحث عنها في كل مكان بلا جدوى!

وناجي المعذب القلق المبهور بجمال المرأة ، يرتل حول معبد حبها أعذب أنغام الحب والحنين، يمثل فهمه للمرأة بالمفهوم الرومانسي الذي يصـور المرأة مخلوقًا غامضًـا ، ولغزًا محيرًا ، يدعو للتأمل والاستغراق في سياحة روحية ، والتبتل في محراب الألم والعذاب .

وكان الحب العاطفي اليائس هو طابع شـعر ناجي تأثرًا بحب الطفولة اليائس لعنايات ، ونتيجة لذلك الحب الفاشـل الذي ترسـب في أعماقه مرارة ويأسًـا ، وحرمانًا وعذابًا ، سـار اتجاه الحب الهروبي عنده في خطين ، كلاهما ينبع من إحساسه بمرارة الحب الفاشل :

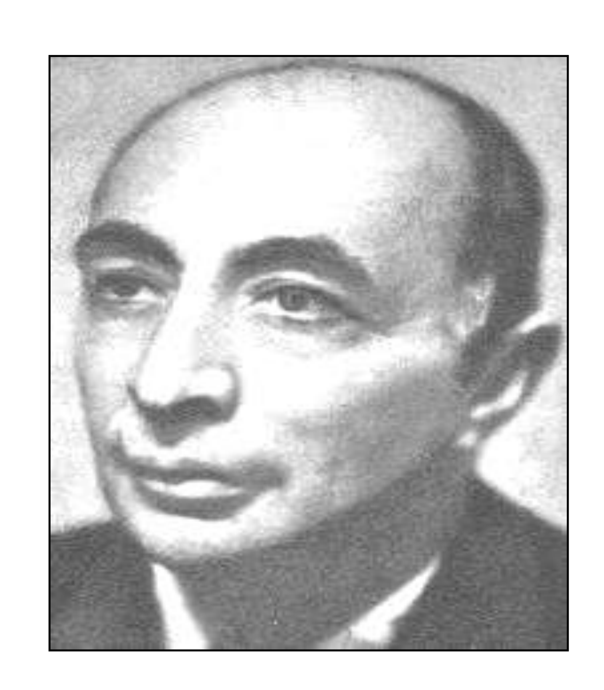
أ- المفهوم العاطفي اليائس الذي يتلظى بذكريات حبه الضائع القديم .

ب- مفهوم الحب المتعدد نستطيع تفسيره بأنه كان رد فعل لحب الطفولة الفاشل، وكأنما كان إحساسه بالفشـل ، وقودًا يؤجج في قلبه ثورة عاتبة ، تدفعه دائمًا إلى الاقتحام والمغامرة ، لعله يجد في حبيباته المتعددات ظل حبيبته القديمة، أو يملأ فراغ قلبه الملهوف الظامئ إلى حبه الضائع القديم .

المختار من شعر ناجي

أصـــدر ناجي في حياته ديوانين هما : وراء الغمام عام ١٩٣٤ ، وليالي القاهرة عام ١٩٥٠ وبعد رحيله في مارس ١٩٥٣ قام صديقه الشاعر أحمد رامي (١٨٩٢ ــ ١٩٨١) بجمع وإصدار ديوانه الطائر الجريح في عام ١٩٥٧ بمقدمة للشــاعر محمد عبد الغني حســن ، وظلت العديد من قصــائد ناجي مجهولة ومتناثرة على صفحات الصحف والمجلات ، فقام الأديب وديع فلسطين في ستينيات القرن العشرين بنشر بعض قصائده المجهولة في مجلة «الأديب» البيروتية، وقام الأديب محمود الشرقاوي بنشر بعض قصائد ناجي المجهولة في كتابه عن ناجي الشاعر والإنسان ، ثم قام الشاعر حسن توفيق بجمع وتحقيق قصائد ناجي المتناثرة في الصحف والمجلات ونشرها تحت عنوان قصائد ناجي المجهولة عام ١٩٧٨ .

وفي هذا المجلد قمنا باختيار أجمل قصــائده الوجدانية والوطنية من مجمل أعماله الكاملة وقصــائده المجهولة التي نشرت في الصحف والمجلات ، وآثرنا أن نمهد لذلك بدراسة موسعة عن حياة ناجي وشعره ، فليكن هذا المجلد خلاصة لأجمل ما كتب ناجي من شعر الحب الرومانسي والشعر الوطني في حب مصر .



المختار من ديوان
وراء الغمام
(١٩٣٤)

المآب

رفيق من رفاق الصبا رآه الناظم عليلًا

محمولًا بعد غربة طويلة

لمن العيون الفاترات ذبولًا ومن الخيال موسدًا محمولا

يا هم قلبي في صبا أيامه وسهاد عيني في الليالي الأولى

عيناي كذبتا وقلبي لم تدع دقاته شكًا ولا تأويلا

يا أيها الملك العليل أفق نجد مضناك بين العائدين عليلا

***

يوم المآب كم انتظرتُك باكيًا وبعثت أحلامي إليك رسولا

خاطبت عنك فما تركت مخاطبًا وسألت حتى لم أدع مسئولا

أغرقتُ في الأمل الجميل فلم أدع متخيَّلاً عذباً ولا مأمولا

وبكيتُ من يأسي عليك فلم أذر عند المحاجر مدمعاً مبذولا

وأسائل الزمن الخفيّ لعله يشفي أواماً أو يبل غليلا

يا أيها الزمن الذي أسراره لا تستطيع لها العقول وصولا

بالله قل أوَ ما وراءك لحظة جمعت خليلاً هاجراً وخليلا؟

هي لحظةٌ وهي الحياة ومن يعش من بعدها يجد الحياة فضولا

مرَّ الظلام وأنت ملء خواطري ودنا الصباح ولم أزل مشغولا

وأتى النهار على فتى أمسى بما حمل النهار من الشؤون ملولا

وكذا الحياةُ تملُّ إن هي أقفرت ممن يهوّن عِبأها المحمولا

كدٌّ على كد ولست ببالغ إلا ضنى متتابعًا ونحولا

صدأُ الحوادث بدّل الإشراق في فكري وكدّر خاطري المصقولا

وتتابع الأنواء في أفق الصبا لم يُبق لي صحوًا أراه جميلا

ذهب الصبا الغالي وزالت دوحةٌ مدت لنا ظل الوفاء ظليلا

أيام يخذلني أمامك منطقي فإذا سكتُّ فكل شيء قيلا

ويثور بي حبي فإن لفظ جرى بفمي تعثر بالشفاه خجولا

يا من نزلتُ بنبعه أرِدُ الهوى فأذاقنيه محطمًا ووبيلا

ما راعني ما ذقُته وخشيتُ أن ألقاك بالداء الدفين جهولا

فأشد ما عانى الفؤادُ صبابة شبّت وظل دفينها مجهولا

ساعة لقاء

يا حبيب الروح يا روح الأماني — لست تدري عطش الروح إليكا
وحنيني في أنين غير فاني — للردّى أشرُبه من مقلتيكا

***

آه من ساعة بث وشجون — ولقاء لم يكن لي في حساب
وحديثٍ لم يدر لي في الظنون — يا طويل الهجر يا مر الغياب

***

حل يا ساحرُ صفوٌ وسلام — بعد فتك البين بالقلب الغريب
ودنا روضٌ وظلٌّ وغمام — بعد فتك النار بالعمر الجديب

***

مرت الساعة كالحلم السعيد — ومشت نشوتها مشي الرحيق
ذهب العمر ، وذا عمر جديد — عشته من فمك الحلو الرقيق

***

مرت الساعة والليل دنا — والهوى الصامت يغدو ويروح
وتلاشت واختفت أجسادنا — واعتنقنا في الدُّجى روحًا بروح

***

تسمع الشعر وشعري منك لك — وبإلهامك أبدعتُ الرويّ
أنت يا معجزةَ الحسن ملك — كل لفظ منك شعر قدسيّ
كيف يفنى ما كتبناه بنار — وخططناه بسهدٍ ودموع
يشهد الليل عليه والنهار — والشهيد المتواري في الضلوع

***

الـتـقـت أرواحـنـا في ســاحـةٍ   كغريبين استراحا من سفر
وحـطـطـنـا رحـلـنـا في واحـةٍ   زادُنـا فـيـهـا الأمـاني والـذكـرْ

***

وتساءلت عن الماضي وهل   حسنت دنياي في غير ظلالك؟
يا حبيبي أين أمضي من خجل   وفؤادي أين يمضي من سؤالك

***

شدَّ ما يخجلني جهد المقل   من شبابٍ ضاع أو من نور عين
يتمشى السقمُ في قلب الأجل   وأراني لـك مـا وفـيـتُ ديـنـي

***

أنا شاديك ولحني لك وحدكْ   فاقض ما ترضاه في يومي وأمسي
درج الـدهـر ومـا أذكـر بـعـدَكْ   غـيـر أيـامـك يـا تـوأم نـفـسـي

***

وأنـا الـطـائـر قـلـبـي مـا صَـبَـا   لسوى غصنك والوكر القديم
مـا تـبـدلـنـا ولا حـال الصِّـبَـا   والهوى الطاهر والود الكريم

العودة

عاد الشاعر إلى دار أحباب له فوجدها قد تغيرت حالها

هذه الكعبة كنا طائفيها   وا لمصلين صباحًا ومساءَ
كم سجدنا وعبدنا الحسن فيها   كيف بالله رجعنا غرباءَ

***

دارُ أحلامي وحبي لقيتنا   في جمود مثلما تلقى الجديد
أنكرتنا وهي كانت إن رأتنا   يضحك النور إلينا من بعيد

***

رفرف القلب بجنبي كالذبيح   وأنا أهتفُ : يا قلب اتئد
فيجيب الدمع والماضي الجريح   لِمَ عُدنا ؟ ليت أنا لم نعدْ!

***

لم عدنا ؟ أو لم نطو الغرام   وفرغنا من حنين وألم
ورَضينا بسكونٍ وسلام   وانتهينا لفراغٍ كالعَدَم؟!

***

أيها الوكر إذَا طار الأليف   لا يَرَى الآخر معنى للسماء
وَيَرَى الأيام صفراً كالخَريف   نائحات كرياح الصَّحراء

***

آه مما صنع الدهر بنا   أو هذا الطلل العابس أنت!
والخيال المطرق الرأس أنا   شدَّ ما بتنا على الضنك وبِتَّ
أين ناديك وأين السمرُ   أين أهلوك بساطاً وندامى
كلما أرسلت عيني تنظر   وثب الدمع إلى عيني وغامَا

***

موطن الحسن ثوى فيه السأم ... وسرت أنفاسه في جوِّهِ
وأناخ الليل فيه وجثم ... وجرَت أشباحه في بهوهِ

***

والبلى أبصرتهُ رأي العيان ... ويداه تنسجان العنكبوت
صحت يا ويحك تبدو في مكان ... كل شيء فيه حيٌّ لا يموت

***

كل شيء من سرور وحَزَن ... والليالي من بهيجٍ وشجي
وأنا أسمعُ أقدامَ الزمن ... وخُطى الوحدة فوق الدرج

***

ركنيَ الحاني ومغنايَ الشفيق ... وظلال الخلد للعاني الطليح
علم الله لقد طال الطريق ... وأنا جئتك كيما أستريح

***

وعلى بابك ألقي جَعبتي ... كغريبٍ آبَ من وادي المحن
فيك كف الله عني غربتي ... ورسا رحلي على أرض الوطن

***

وطني أنتَ ولكني طريد ... أبديُّ النفي في عالَم بؤسي
فإذا عدت فللنجوى أعود ... ثم أمضي بعد ما أفرغ كأسي

الحنين

الحنين إذا كبر وزاد قد يتجسم شخصًا

أمسى يعذبني ويضنيني ... شوقٌ طغى طغيان مجنونِ

أين الشفاء ولم يعد بيدي ... إلَّا أضاليلٌ تداويني

أبغي الهدوء ولا هدوء وفي ... صدري عبابٌ غير مأمون

يهتاج إن لَجَّ الحنين به ... ويئن فيه أنين مطعون

ويظل يضربُ في أضالعه ... وكأنها قضبانُ مسجونِ

ويح الحنين وما يجرعني ... من مُره ويبيت يسقيني

ربيته طفلًا بذلت له ... ما شاء من خفضٍ و من لين

فاليوم لما اشتد ساعده ... وربا كنوار البساتين

لم يرض غير شبيبتي ودمي ... زادًا يعيش به ويفنيني

كم ليلة ليلاء لازمني ... لا يرتضى خلًا له دوني

ألفي له همسًا يخاطبني ... وأرى له ظلًّا يماشيني

متنفسًا لهبًا يهبُّ على ... وجهي كأنفاس البراكين

ويضمنا الليل العظيم وما ... كالليل مأوى للمساكين

الناي المحترق

كم مرَّة يا حبيبي والليل يغشى البرايا
أهيم وحدي وما في الظلام شاكٍ سوايا
أصّير الدمع لحنًا وأجعل الشعر نايا
وهل يلبي حطام أشعلته بجوايا
النار توغل فيه والريح تذرو البقايا
ما أتعس الناي بين المنى وبين المنايا
يشدو ويشدو حزينًا مرجِّعًا شكوايا
مستعطفًا من طوينا على هواه الطوايا
حتى يلوح خيالٌ عرفته في صبايا
يدنو إليَّ وتدنو من ثغره شفتايا
إذا بحلمي تلاشى واستيقظت عينايا
ورحت أصغي وأصغي لم أُلفِ إلَّا صدايا

المنسي

متى يرق الحظ يا قاسي   ويلتقي المنسيُّ والناسي

متى وهل من حيلة في متى   وفي خيالاتٍ وأحداسٍ؟

هدَّ قراري جريها في دمي   وهمسُها في كر أنفاسي!

وأنت مثل النجم في المنتأي   وفي السنا الخاطفِ كالماس

يرنو له الناس ويبغونه   وما يبالي النجمِ بالناس !

وأنت كأسُ الحسن لكننا   مثل حبابِ حامَ بالكاسِ

طفا وقد قبّل أنوارها   ورفَّ مثل الطائر الحاسي!

وجفَّ أو ذابَ على نورها   كما يذُوب الطل بالآس

تحليل قبلة

ولما التقينا بعد نأي وغربةٍ ... شجيَّيْن فاضا من أسى وحنين

تسائلني عيناك عن سالف الهوى ... بقلبي وتستقضي قديم ديون

فقمتُ وقد ضجَّ الهوى في جوانحي ... وأنَّ من الكتمان أي أنين

يبث فمي سر الهوى لمقَّبل ... أجود له بالروح غير ضنين

إذا كنت في شك سلي القبلة التي ... أذاعت من الأسرار كلَّ دفين

منا جاة أشواق وتجديد موثق ... وتبديد أوهام وفض ظنون

وشكوى جوى قاس وسقم مبرح ... وتسهيد أجفانٍ وصبر سنين

الحياة

استعراض للحياة في شارع

جلســـتُ يو ًما حين حلَّ المســـاء وقـد مضـــى يـومـي بـلا مـؤنـس
أريـح أقـدامًـا وهـت مـن عـيـاء وأرقـب الـعـالم مـن مـجـلســـي

***

أرقـبـه يـا كـد هـذا الـرقـيـب في طـيـب الـكـون وفي بـاطـلـه
و ما يبالي ذا الخضـم العجيب بـنـاظـرٍ يـرقـب في ســـاحـلـه

***

ســـيـان مـا أجـهـل أو أعـلـم من غامض الليل ولغز النهار
ســيســـتـمـر الـمســـرحُ الأعـظـمُ روايـةً طـالـت وأيـن الســـتـار

***

عـيـيـتُ بـالـدنـيـا وأســـرارهـا وما احتيالي في صـــموت الرمال
أنشـــدُ في رائـع أنـــوارهـــا رشـــدًا فـمـا أغـنـم إلَّا الضـــلال

***

أغـمضـــت عـيـني دونها خـائـفًـا مـبـتـغـيًـا لي رحمـةً في الـظـلام
فصـــاح بـي صـــائـحـهـا هـاتـفًـا كـأنـمـا يـوقـظـنـي مـن مـنـام

***

أنـت امـرؤٌ تـرزح تـحـت الضـــنـى لم يـبـق مـنـك الـدهـر إلا عـنـادْ!
وكـل مـا تـبـصـــره مـن ســـنـا يـهـزأ بـالـجـذوة خـلـف الـرمـادْ!

***

وكـل مـا تـبـصـــره مـن قـوى تدوي دويّ الريح عند الهبوبْ
يســـخـر مـن مـبـتـئـس قـد ثـوى يرنو إلى الدنيا بعين الغروبْ!

***

أ نظر إلى شـــتى معاني الجمالْ   منبثة في الأرض أو في السماءْ
ألا ترى في كل هذا الجلال   غير نذيرٍ طالعٍ بالفناءْ!

***

كم غادة بين الصبا والشبابْ   تأنّق الصانع في صنعها
تخطر والأنظار تحدو الركاب   ولفظة الاعجاب في سمعها!

***

وربما سار إلى جنبها   مدّله ليس يبالي الرقيبْ
يمشي شديد العُجْبِ في قربها   إذ راح يوليها ذراع الحبيبْ!

***

وانظر إلى سيارة كالأجل   تخطف خطفاً لا تُبالي الزحامْ
هذا الردى الجاري اختراع الرجلْ   هل بعد صنع الموت شيءٌ يُرامْ!

***

وانظر إلى هذا القويّ الجسدْ   الباتر العزم الشديد الكفاحْ!
قد أقبل الليل فحيّ الجلد   في رجل يدأب منذ الصباحْ

***

أجبت: يا دنياي من تخدعين؟   إني امرؤٌ ضاق بهذا الخداعْ
مزّقتِ عن عيشي هنيّ السنين   لأنني مزقتُ عنكِ القناعْ !

***

إن الجمالَ الساحرَ الفاتنا   يا ويحه حين تغير الغضونْ
ويعبثُ الدهر بحلو الجنى   وتستر الصبغة إثم السنينْ

***

وهـذه السـيـارة الـعـاتـيـهْ ... ورُّبها الـجـبـار كـالـبـرق سـارْ

مـا هـي إلا شُـعَـلٌ فـانـيـهْ ... نصـيبها مثل شـعاع النهارْ

***

وارحمتـاه لـلـقـويِّ الصـبـورْ ... يقضـي الليالي في كفاحٍ سـخيفْ

وكيف لا أبكي لكدح الفقيرْ ... أقصـى مناه أن ينـال الـرغـيـفْ

***

كم صـحتُ إذا أبصـرت هذا الجهادْ ... ومـيسـم الـذلـة فـوق الـجـبـاهْ

يـا حسـرتـا مـاذا يـلاقـي الـعـبـادْ ... أكُلَّ هـذا في سـبـيـل الـحـيـاهْ؟

***

وفي سـبـيـل الـزاد والـمـأكـل ... نـمـلأ صـدر الأرض إعـوالا

كم يسـخر النجمُ بنا مِن عل ... وكـم يـرانـا الله أطـفـالا

***

يـا ربِّ غـفـرانـك إنـا صِـغـارْ ... نـدبّ في الـدنـيـا دبـيـبَ الـغـرورْ

نسـحب في الأرض ذيولَ الصـغارْ ... والشـيبُ تأديبٌ لنا والقبورْ!

قلب راقصة(*)

أمسيتُ أشكو الضيقَ والأينا   مستغرقاً في الفكرِ والسأمِ
فمضيتُ لا أدري إلى أينا   ومشيت حيث تجرّني قدمي

***

فرأيتُ فيما أبصَرَتْ عيني   مَلهيً أعِدَّ ليبهجَ الناسا
يجلون فيه فرائدَ الحسنِ   ويباع فيه اللهو أجناسا

***

بغرائب الألوان مزدهر   وتراه بالأضواء مغمورا
فقصدته عَجِلاً ولي بصرٌ   شبه الفراشة يعشق النورَا

***

ودخلتهُ أجتازُ مزدحماً   بالخَلق أفواجاً وأفواجا
وأخوضُ بحراً بات ملتطماً   بالناس أمواجاً وأمواجا

***

فقدوا حجاهم حينما طربوا   ودووا دويَّ البحرِ صخّابا
فإذا استقرّوا لحظةً صخبوا   لا يملكون النفسَ إعجابا

***

متوثبين يميلُ صفُهم   متطلعَ الأعناق يتقدُ
ومصفقين عَلَتْ أكفُهم   فوّارةً فكأنها الزبدُ

(*) من وحي لقاء مع الراقصة كريمة أحمد في ملهى بديعة مصابني بالقاهرة عام ١٩٣٥، وكانت تسأله كلما لقيته أن يتلوه عليها فتبكي .

***

لِـمَ لا أثـورُ الـيـومَ ثـورتهـم؟ لِـمَ لا أجـرب مـا يـحـبـونـا؟

لم لا أصـــيح اليوم صـــيحتهم لِـمَ لا أضــجُّ كـمـا يضــجـونـا؟

***

لِمَ لا تذوق كؤوسَــهم شــفتي؟ إنَّ الـحـجـا سُـــمّـي وتـدمـيـري

في ذمـةِ الشـــيطـانِ فلســـفـتـي ورزانــتــي ووقـــارِ تــفــكــيــري

***

يا قلبُ! ضــقتَ وها هنا ســعةٌ ومـــجـــالٌ مصـــفـــودٍ بـــأغـــلال

أتــقــول أعـــمـــارٌ مضـــيـــعـــة؟! ماذا صـــنعت بعمرك الغالي؟!

***

أنــظــر تــرَ الســـيــقــان عــاريـــةً وترَ الخصـــورَ ضـــوا مراً تغري

وتـجـدْ عـيـون الـلـهـو جـاريـة فـهـنـا الـحـيـاة وأنـت لا تـدري

***

مَنْ هاته الحســناءُ يا عيني؟ الســـحـرُ كـلَّـلـهـا وظـلَّـلـهـا

كالطيرِ من غصـــنٍ إلى غصـــنِ وثّــابــةَ، وثــب الــفــؤاد لــهــا

***

وتــراه حُسْـــنـــاً غـيـرَ كـذابِ لا مـا يـزيـفـه لـك الضـــوء

ويــزيــد فــتــنــتَــهــا بــإغــرابِ حــزنٌ وراءَ الــحســـن مــخــبــوءُ

***

ثـم اخـتـفـتْ والـجـمـعُ يـرقـبـهـا ويـلـحُّ: عـودي لـيـس يـرحـمـهـا

هـي مـتـعـةٌ لـلـحـسِّ يـطـلـبـهـا وأنـا بـروحـي بـتُّ أفـهـمُـهـا!

***

ورأيــتُــهـــا في آخـــر الــلــيــلِ في فـتـيـةٍ نصـبـوا لـهـا شـــركـا

يعلوســـناها الحزنُ كالظل مســـكينة تتكلّفُ الضـــحكا

***

فمضـــيتُ توّاً، قلت: ســـيدتي!　　زنـتِ الـمـراقـص أيّـمـا زيـن

هـل تـأذنـيـن الآن ســـاحـرتي　　تـأكـيـدَ إعـجـابـي بـكـأســـيـن؟

***

فـتـمـنّـعـتْ وأنـا ألـحّ سُـــديً　　بـالـقـول أغـريـهـا وأعـتـذرُ

فـاســـتـدركـتْ قـالـت: أراك غـداً　　إن شـــئـتَ. إني الـيـوم أَعـتـذر

***

وتـحـوَّلـت عـنـي لـرفـقـتـهـا　　مـا بـيـن مـنـتـظـرٍ ومـرتـقـبِ

فـتَّـانـة تـغـري بـبســـمـتِـهـا　　وتـحـدّد الـمـيـعـادَ في أدبِ

***

حـان الـلـقـاءُ بـغـادتي وأنـا　　أخشـــى ســـراباً خـادعـاً مـنـهـا

مـتـلـهـفـاً أســـتـبـطـئُ الـزمـنـا　　وأظـل أســـأل ســـاعـتـي عـنـهـا

***

وأجـيـل عـيـنَ الـريـب مـلـتـفـتـاً　　مـتـطـلـعـاً لـلـبـاب حـيـرانـا

وأقـول: مـا يـدريـك أي فـتـى　　هـي في ذراعـيْ حـبـه الآنـا

***

مَـنْ ذا يُصـــدّقُ وعـدَ فـاتـنـة　　لا تـرحـمُ الأرواحَ إتـلافـا

أنـثـى تـلاقـي كـل آونـةٍ　　رجـلاً وتـرمـي الـوعـدَ آلافـا

***

وهممتُ بعد اليأسِ أن أمضـي　　فـإذا بهـا تـخـتـالُ عـن بُـعـدِ

مـيّـزتهـا بشـــبـابهـا الـغـضِّ　　وبـقـدِّهـا، أُفـديـه مـن قـدِّ!

***

يا للقلوب لملتقى اثنين لا يعلمان لأيما سَبَبِ
جمعتهما الدنيا غريبين فتآلفا في خلوةٍ عَجَبِ

***

عجباً لقلب كان مطمعه طَرَباً فجاء الأمرُ بالعكس
وأشدّ ما في الكون أجمعه بين القلوب أواصرُ البؤس

***

مَن أنت يا مَن روحُها اقتربت مني وخاطب دمعُها روحي
صبّته في كأسي! وما سكبتْ فيه سوى أنّات مذبوح

***

عجباً لنا! في لحظة صرنا متفاهمين بغير ما أمدِ
يا مَن لقيتُك أمس! هل كنا روحين ممتزجين في الأبد؟!

***

هاتي حديثَ السقمِ والوصبِ وصِفي حقارةَ هذه الدنيا
إني رأيتُ أساكِ عن كثبِ ولمستُ كَربَكِ نابضاً حيًّا

***

لا تكتمي في الصدرِ أسرارا وتحدثي كيف الأسى شاءَ
أنا لا أرى إثماً ولا عارا لكن أرى امرأةً وبأساء

***

تجدين فكرَك جدّ مُبتعدِ والناس نحو سناك دانونا
وتريْن حالك حالَ منفرد والقومُ كثرٌ لا يُعدّونا

***

وترين إنكِ حيثما كنتِ ترضين خوّانين أنذالا
يبغونه جسداً فإن بعتِ بذلوا النضار وأجزلوا المالا

***

يا حرَّها من عبرةٍ سالتْ   مِن فاتكِ العينين مكحولِ
وعذابها من وحشة طالتْ   وحنين مجهولٍ لمجهولِ

***

أفنيتِ عمرَك في تطلبه   ويكادُ يأكلُ روحَكِ المللُ
فإِذا بدا مَنْ تعجبين به   وتقول روحُك: ها هو الأملُ

***

أدميتِ قلبَك في تقرّبهِ   والقلبُ إن يخلص يَهُنْ دمُهُ
فإِذا حسبتِ بأن ظفرتِ بهِ   فازت به من ليس تفهمُهُ

***

سكتت و قد عجبت لخلوتنا   طالتْ كأنَّا جدّ عشاقِ
وأقول: يا طرباً لنشوتِنا   صرعى المدامة والجوى الساقى

***

أفديكِ باكيةً وجازعةً   قد لفّها في ثوبهِ الغسقُ
ودعتُها شمساً مودّعة   ذهبت وعندي الجرحُ والشفقُ

***

تمضي، وتجهلُ كيف أكبرها   إذ تختفي في حالك الظلم
روحاً إذا أثمت يطهرها   ناران: نارُ الصبرِ والألَمِ

الميعاد

إن عُـدتَ أو أخـلـفـتَ لم تـعـدِ — أنـا إِلـف روحـك آخـر الأبـدِ
ظـمـأٌ عـلى ظـمـإٍ عـلى ظـمـإٍ — ومـــواردٌ كُـــثَـــرٌ ولم أردِ
مـرَّ الـظـلاُم وأنـت لي شـــجـنٌ — وأتـى الـنـهـارُ وأنـت في خـلـدي
لا يســـمع البحرُ الغضـــوبُ إلى — شـــاكٍ ولا يصـــغـي إلى أحـدِ
كـم لاح لي حـربُ الـحـيـاة عـلى — أمـواجـهِ الـمـجـنـونـةِ الـزبـدِ
ورأيتُ طيفَ الضـــنك مرتســـما — في عـاصـــفِ الأنـواءِ مـطَّـردِ
في الـلـيـل مـدَّ رواقَـه وثـوى — كـجـوانـحِ طُـويـت عـلى حســـدِ
قـبـر مَـبـاهـجُـه بـلا عـددٍ — لـفـتـى مـتـاعـبُـه بـلا عـددِ
مَـنْ يـومـهُ يـومٌ بـلا أمـلٍ — وغـدٌ بـلا ســـلـوى وبـعـد غـدِ
لـولاك والـعـهـد الـذي عـقـدتْ — بـيـنـي وبـيـنـك مـهـجـتـي ويـدي
أضـــجعتُ جنبي جوفَ غيهبه — وأرحـتُ فـيـه بـاليَ الـجســـدِ
يا مخلفَ الميعادِ عُدْ لترى — جزعَ الغريبِ وضـــيعةَ الرشـــدِ
ولـيـالـيـاً مـوصـــولـةً ســـهـراً — أبـديـةً حـجـريـةَ الـكـبـدِ
وطـلـيـحَ أســـفـارٍ وعـلّـتـه — قـتـالـة لَـم تشـــفَ في بـلـدِ
يـا شـــعـر أيـامـي وأغـنـيـتـي — وغليل ظمآن الشـــفاه صـــدي
يـا ظـالـمـي! عـيـنـاك كـم وعـدت — قـلـبـي إذا شـــفـتـاك لَـمِ تـعـدِ

الميت الحي

كان الشاعر مريضًا وشعر أنه ينتهي

فكتب القصيدة التالية

داو ناري والتياعي وتمهل في وداعي

يا حبيب العمر هب لي بضع لحظاتٍ سراع

قف تأمل مغرب العمر وإخفاق الشعاع

وابك جبَّار الليالي هده طولُ الصراع

واضياع الحزن والدمع على العمر المضاعِ!

وهتاف القلب بالشكوى على غير انتفاع

ما يهم الناس من نجمٍ على وشك الزماع

غاب من بعد طلوعٍ وخبا بعد التماعِ؟

طال بي سهدي وإعيائي وقد حان اضطجاعي

وإذا الراحة حانت بعد لأي ونزاعِ

فصدور الغيد سيَّان وأنياب السباعِ !

***

آهِ لو تقضي الليالي لشتيت باجتماع

كم تمنيتُ وكم من أملٍ مر الخداع

وقفة أقرأ فيها لك أشعار الوداع

ساعة أغفر فيها لك أجيال امتناع

يا مناجاتي وسرِّي وخيالي وابتداعي

ومـتـاعًـا لـعـيـوني وشـــمـيـمـي وســــمـاعـي

تبعثُ الســلوى وتنســى الموتَ مهتوك القناعِ

دمـعـة الـحـزن الـتـي تســكـبـهـا فـوق ذراعـي!

الوداع

حان حرماني وناداني النذيرْ ما الذي أعددْتُ لي قبل المسيرْ
زمني ضاع وما أنصفتني زاديَ الأولُ كالزاد الأخيرْ
ريّ عمري من أكاذيبِ المنى وطعامي من عفافٍ وضميرْ
وعلى كفِك قلبٌ ودمٌ وعلى بابِك قيدٌ وأسيرْ
حانَ حرماني فدعني يا حبيبي هذه الجنةُ ليستْ من نصيبي
آه من دارِ نعيمٍ كلما جئتها أجتازُ جسراً من لهيبِ
وأنا إلفك في ظل الصِّبا والشباب الغضِّ والعمرِ القشيبِ
أنزلُ الربوةَ ضيفاً عابراً ثم أمضي عنك كالطيرِ الغريبِ

***

لِمَ يا هاجرُ أصبحتَ رحيما والحنانُ الجمُّ والرقةُ فيما؟!
لِم تسقينيَ من شهدِ الرضا وتلاقيني عطوفاً وكريما
كلُّ شيء صار مُرّاً في فمي بعد ما أصبحتُ بالدنيا عليما
آه من يأخذُ عمري كلَّه ويعيدُ الطفلَ والجهلَ القديما

***

هل رأى الحبُّ سكارى مثلنا؟! كم بنينا من خيالٍ حولنا
ومشينا في طريق مقمرٍ تثبُ الفرحةُ فيه قبلنا
وتطلعنا إلى أنجمه فتهاوين وأصبحنَ لنا
وضحكنا ضحك طفلينِ معاً وعدونا فسبقنا ظلنا

***

وانتبهنا بعد ما زال الرحيق وأفقنا. ليتَ أنا لا نفيقْ

يـقـظـةٌ طـاحـت بـأحـلامِ الـكَـرَى   و تو ّلى ا لليلُ، وا لَّلْيلُ صَــدِ يقْ
وإذا الـــنُّـــورُ نَـــذِيـــرٌ طَـــالـــعٌ   وإِذا الـفـجـرُ مُـطِـلٌّ كـالـحَـرِيـقْ
وإذا الـدُّنـيـا كـمـا نـعـرفُـهـا   وإذَا الأحْـبَـابُ كـلٌّ في طَـريـق

***

هاتِ أســعدْني وَدَ ْعني أسْــعدُكْ   قَـدْ دَنـا بـعـدَ الـتَّـنـائـي مـوردُكْ
فـــأذقـــنـــيـــه فـــإِني ذاهِـــبٌ   لا غـدي يُـرجَـى ولا يُـرجَـى غـدُكْ
وابـلائـي مـن لـيـاليَّ الـتـي   قـرَّبَـتْ حَـيْـنـي وراحَـتْ تـبـعِـدُكْ
لا تَـدَعْـنـي لـلَّـيـالي فـغـداً   تـجْـرَحُ الـفُـرْقـةُ مـا تـأســو يَـدُكْ

***

أزف الـبـيـنُ وقـد حـان الـذّهـابْ   هـذه الـلَّـحـظـةُ قُـدَّت مِـن عَـذَابْ
أزف الـبـيـنُ، وهـل كـان الـنَّـوى   يا حبيبي غير أن أ ْغلق بابْ ؟
مَضــتِ الشّــمْسُ فأمســيتُ و قد   أغـلـقـت دونيَ أبـوابُ السَّــحـابْ
وتـــلـــفَّـــتُّ عـــلى آثـــارِهَـــا   أسْــألُ اللَّيْلَ! ومَنْ لي بالجوابْ؟

الزائر

يا للحبيب المفدَّى غداةَ زار وسلَّم

مستَحيياً والهوى في ركابه يتضرَّم

وصامتاً وهو أيكٌ بألف شدوٍ ترنَّم

ناداه قلبي وناجاه خاطري وهو يعلَم

يا مطلعَ السحر والنور والجمال تَكَلَّم!

أبِن وإلا أعن قلبي الممزَّق وارحَم!

***

يا غازياً يضرب القلب وهو حصنٌ مُحَطَّم

لمَّا طلعتَ عليه وهَى وأنّ وسلَّم

يا فتنة تتهادى ورحمة تتبسَّم

إن لم يكن لي رجاءٌ ولا لحظيَ مغنم

أو لَم يعُد لي نصيبٌ دعني بحسنك أحلم

الليالي

(١)

مكانيَ الهادئ البعيد   كُن لي مجيراً من الأنام
قد أمَّكَ الهارب الطريد   فآوِه أنتَ والظلام

***

يا حسنها ساعة انفصال   لا ضنك فيها ولا نكد
يا حقبة الوهم والخيال   هلا تمهلتِ للأبد

***

يا أيها العالم الأخير   ماذا ترى فيك من نصيب
أراحةٌ فيك للضمير   أم موعدٌ فيك من حبيب

***

كم يَعذُب الموت لو نراهُ   أو كان فيك اللقاءُيُرجى
ينفض عن عينه كراهُ   ويقبل الراقد المسجَّى

***

لكن شكّاً بما تجنُّ   خيّم فوق العقول جمعَا
عجبتُ للمرء كم يئن   ويستطيب الحياةَ مَرعَى

***

قد صار حبُّ الحياة منا   يقنع بالجيفة السباع
وعلم السمحَ أن يضنَّا   وثبّت الجبن في الطباع

***

(٢)

طال بنا الصمت والجمود   لا البدر يوحي ولا الغدير
يا عالم الضيم والقيود   برَّحت بالطائر الأسير

***

هربتُ من عالمٍ أضرَّا   وجئت يا كعبتي أزور
هاتي خيالاً إذن وشعراً   أسكبه في فم الدهور

***

هرَبتُ من عالم الشقاء   وجئت علَّي لديكِ أحيا
أشرب من روعة السماء   شعراً وأسقي الفؤادَ وحيا

***

مللتُ في هاته العوالم   مهزلةَ الموت والحياه
وصورة القيد في المعَاصم   ووصمةَ الذل في الجباه
هياكلٌ تعبر السنين   واحدة العيش والنظام
واحدة السخط والأنين   واحدة الحقد والخصام!
وواحد ذلك الطلاء   يسترُ خزياً من الطباع
أفنى البلى أوجه الرياء   ولم يذُب ذلك القناع!

***

بعينها كذبة الدموع   بعينها ضحكة الخداع
ومُنحنَى هاته الضلوع   على صوادٍ بها جياع

***

(٣)

كأن صدر الظلام ضاق   من كَثرةِ البثِّ كل حين
يا ويحه كيف قد أطاق   شكوى البرايا على السنين

***

كأنما ينفث الشهب   تخفيف كربٍ يئنّ منهُ
كالقلب إن ضاق واكتأب   تخفف الذكريات عنهُ

***

كم زفرة في الضلوع قرّت   يحوطها هيكلٌ مريض
مبيدة حيثما استقرت   فإن نبح سميت قريض

***

كم في الدجى آهة تطول   تسري إلى أذنه وشعر
لو يفهم النجم ما نقول   أو يفهم الليل ما نُسر

***

ما بالها أعين الفلك   منتثرات على الفضاء
تطل من قاتم الحلك   بغير فهمٍ ولا ذكاء

***

ألا وفيّ ألا معين   في مدلهم بلا صباح
وكلّما جَدَّ لي أنين   تسخر بي أنّة الرياح

***

هبنا شكونا بلا انقطاع   ما حظ شاكٍ بلا سميع
وحظ شعرٍ إذا أطاع   يا ليته عاش لا يطيعْ

***

يضيع في لجة الزمن مبدداً في الورى صداهْ
ولن ترى في الوجود مَن يدري عذاب الذي تلاهْ

***

(٤)

يا أيها النهر بي حسد لكل جارٍ عليك رفْ
أكُلُّ راجٍ كما يود يروي ظماه ويرتشفْ

***

ومن حبيب إلى حبيب ترنو حناناً وتبتسمْ
وكل غادٍ له نصيب من مائك البارد الشبمْ

***

يا نهرُ روّيت كل ظامي فراح ريّان إن يذُقْ
فكن رحيماً على أوامي فلي فمٌ باتَ يحترقْ

***

يا من أرى الآن نصب عيني خياله عطَّر النسم
بالله ما تبتغيه مني ولم تدع لي سوى الألَم

***

في ذمة الله ما أضعتم من مهجٍ أصبحت هباء
لم نجزكم بالذي صنعتم إنَّا غفرنا لمن أساء

***

لا تحسبوا البرء قد ألَمّ فلم يزل جرحنا جديدا
يخدعنا أنّه التأم ولم يزل يخبأ الصديدا

***

يـا أيـهـا الـلـيـل جـئـتُ أبـكـي   وجـئـتُ أســـلـو وجـئـت أنســـى
طـال عـذابـي وطـال شـــكِّـي   ومـات قـلـبـي، ومـا تـأسَّـــى

الجمال الضنين

قل للبخيل إذا ما عزَّ مشرعهُ   يا مانع الماء عني كيف تمنعُه

أغرَّ حسنك أن الخلد جدوله   وأنّه من غريب السحر منبعُه

يا أيها الكوكب المحبوس في فلكٍ   مبدد مجده فيه مضيّعُه

هيهات يخلد حسنٌ لا يؤلهه   شعرٌ من النسق الأعلى ويرفعُه

أنا شهيدك والقلب الضحوك إذا   أدميتَه والمغني إذ تقطّعُه

هل منك يوم رضىً ضنَّ الزمان به   أعيا خيالي وأضناني توقّعُه

كم بتُّ منتبهاً أصغي لخطوته   أراه في الوهم أحياناً وأسمعُه

وأنت في أفق الأوهام طيف صبا   سما ودقَّ على الأفهام موضعُه

كأنك النسم النشوان منطلقاً   أظل كالنفس الحيران أتبعُه

تعالَ وادنُ بيوم لا نحسّ به   أجسادنا في صفاء لا نضيّعُه

لكن أحسك تجري في صميم دمي   أنت الحياة، وأنت الكون أجمعُه

ليالي الأرق

زيارة من حبيب يسأل : لماذا نلتقي هذه اللحظات الهاربة ما دمنا نفترق بعد ذلك؟

هل في العصيب المدلهم ... مصغٍ لشاكٍ لم ينم
سهدٌ على سهدٍ وذكرى ... فوق ذكرى تزدحم
وحنينُ قلب لا يثوب ... إلى خيالٍ لا يلم
يا من أحب وأفتدي ... ويلذُّ لي فيه الألم
لو كنت تسمع لاسترحت ... من الشكاية للظُّلم
إن الكواكب ضقن بي ... ذرعاً وآسيها سئم
ومن العجائب في الليالي ... والحوادث تستجم
شكوى الحيارى في الحياةِ ... إلى حيارى في السدم

***

لمن انتظاري في الظلامِ ... كأنَّ بي شبه اللمم
وتساؤلي في حالك ... لا صوت فيه ولا قدم
وعلام إصغائي لعل ... خطاك هذي عن أمم
ليلي العشية مثل ليلي ... في غرامك من قدم
يا طالما أدنتكِ أوهامٌ ... كواذب كالحلم
فلمحت صبحك في السوادِ ... وخلتُ روحكِ في النسم
وشفيت وهمي من رضاكِ ... وربَّ ذي يأسٍ وهم
ورويت أذني من حديثكِ ... وهو معبود النغم
وحرقت قلبي من سناكِ ... على جمالٍ يضطرم
كفراشةٍ حامت علَيكِ ... وأيّ قلبٍ لَم يحم

***

لك حسن نوّار الخميلة طُلَّ صبحاً فابتسم
لك نظرة الفجر الجَميلِ على الذوائبِ والقمم
لك طلعة البرءِ المرجَّى بعد مستعصى السقم
لك كل ما أوفى على قدر النهاية واستتم
فبأي قلبٍ أتقي وبأي حصنٍ أعتصم

***

يا زائراً عجلان لَم يطل اللقاء ولَم يقم
ودّعت ما أشبعت لي روحي ولا نظري النهم
ومضيت عن دنيا خلَت وجرت بنعمى لَم تتم
لم يبق من أثر اللقاءِ بها سوى عبقٍ ينم
وسؤال دمعك حين يسألني ومَن لي بالكلم
لِمَ يا أليفَ خواطري غفت العيون ونحن لَم

***

وإلامَ تدفعنا الحوادث في عُبابٍ يلتطم
دَفَعت بمركبنا المقادِيرُ الخفية والقسم
خَرَجَت وما تدري الغَداةَ بأي صخرٍ ترتَطِم
بدَأت عَلى ريح الرضا والله يدري المختتم

صخرة الملتقى(*)

صخرة بين البحر والصحراء كنا نتلاقى عندها ونستلهم البحر والصحراء أشعارنا

سألتُك يا صخرةَ الملتقى ... متى يجمعُ الدهرُ ما فرَّقا؟
فيا صخرةً جمعت مهجتين ... أفاءا إلى حسنها المنتقَى
إذا الدهرُ لَجَّ بأقداره ... أخذنا على ظهرِهَا الموثقَا
قرأنا عليكِ كتابَ الحياة ... وفضّ الهوى سرَّها المغلَقا
نرى الشمسَ ذائبةً في المحيط ... وننتظر البدرَ في المرتقَى
إذا نشر الغربُ أثوابَه ... فأطلقَ في النفس ما أطلقَا
نقول هل الشمسُ قد خضبته ... وخلَّت به دمَهَا المهرقَا
أم الغربُ كالقلب دامي الجراح ... له طلبةٌ عزَّ أن تلحقَا
فيا صورة في نواحي السحاب ... رأينا بها همَّنَا المغرقَا
لنا الله من صورةٍ في الضميرِ ... يراها الفتى كلَّما أطرقَا
يرى صورةَ الجرح طيَّ الفؤادِ ... ما زال ملتهباً محرقَا
ويأبى الوفاءُ عليه اندمالًا ... ويأبى التذكُر أن يشفقَا

***

ويا صخرةَ العهد أُبتُ إليكِ ... وقد مَزَّقَ الشملَ ما مزقَا
أريكِ مشيبَ الفؤادِ الشهيدِ ... والشيبُ ما كلَّلَ المفرقَا
شكا أسره في حبالِ الهوى ... وودَّ على الله أن يُعتقَا
فلما قضى الحظُّ فكَّ الأسير ... حنَّ إلى أسره مطلقَا

(*) نظمها ناجي في المنصورة عام ١٩٢٨م.

الشك

قد يظفر المرء بقرب حبيبه ، ولكنه يشك في هذا النعيم

الذي لقيه ، فيبكي في النعمة كما يبكي في الشقاء

بـي مـا تـحـسّ وفي فـؤادك مـا بـي   فَتعال نبكِ أيا نجيَّ شـبابي

تجري الدموع وأنتَ دَانٍ واصلٌ   كمسيلهن وأنتَ في الغيَّابِ

أنكرت بي ناري عشية لامَسَت   شفتاي مِنك أنامل العنابِ

وجرت يميني في غَزيرٍ حالكٍ   مسترسل كالجدول المنسابِ

وسألتَ ما صمتي و ما إطراقتي   وعَلامَ ظلَّت حيرة المرتابِ

أقبل أذقني ما اليقين وهاته   خلواً من الآلام والأوصابِ

أقبل لأقسم في حياتي مرةً   إن الذي أُسقاه ليس بصابِ

لهفي على هذا اليقين وطعمه   بفمي وتكذيبي شهيَّ شرابي!

***

مَنْ أنتَ؟! من أي العوالم ساحرٌ   مستأثر بأعنة الألبابِ؟

حدَّثت نفسي إذ رأيتُكَ بادياً   وأطَلت تسآلي بغير جوابِ

ما يصنع الملك الطهور بعالَمٍ   فانٍ وأيَّامٍ كلمع سرابِ؟

ما يصنع الأبرار بالأرض التي   ساوت من الأبرار والأوشابِ؟

دوَّارةً أبدَ السنين كعهدِها   من ليل آثامٍ لصبح متابِ

تغلو الحياة بها إلى أن تنتهي   عند التراب رخيصة كترابِ!

يا هيكل الحسن المبارَك ركنه   الساحر النور الطهور رحابِ

لا صدقَ إلا في لهيبك وحده   وجلاله الباقي على الأحقابِ

قدمتُ قرباني إليك بقية   من مهجة ضاعت على الأحبابِ

وأَذَبْتُ جوهَرهَا فدَاءَ نَوَاظِرٍ   قُدسِيَّةٍ عُلويّةِ المحرابِ

خواطر الغروب

قلتُ للبحر إذ وقفتُ مساءَ　　كم أطلتُ الوقوف والإصغاءَ

وجعلتُ النسيم زاداً لروحي　　وشربتُ الظلالَ والأضواءَ

لكأنَّ الأضواء مختلفات　　جَعَلَت منكَ رَوضَةً غنّاءَ

مَرَّ بي عطرها فأسكَرَ نفسي　　وَسرَى في جوانحي كيف شاءَ

نشوة لم تطل! صحا القلب منها　　مثلَ ما كان أو أشدّ عناءَ

إنما يفهم الشبيه شبيهاً　　أيها البحر نحن لسنا سواءَ

أنت باقٍ ونحن حرب الليالي　　مَزَّقتنا وصيرتَنَا هباءَ

أنت عاتٍ ونحن كالزبد الذاهبِ　　يعلو حيناً ويمضي جفاءَ

وعجيبٌ إليك يممتُ وَجهي　　إذ مللتُ الحياةَ والأحياءَ

أبتغي عندك التأسّي وما تَملِك　　رَدّاً ولا تجيب نداءَ

***

كل يومٍ تساؤلٌ ليت شعري　　مَنْ ينبّيِّ فيحسن الإنباءَ

ما تقول الأمواج ما آلم الشمسَ　　فولّت حزينة صفراءَ

تركتنا وخلَّفْت ليلَ شكٍّ　　أبديٍّ والظلمةَ الخرساءَ

***

وكأنَّ القضاء يسخر مني　　حين أبكي وما عرفتُ البكاءَ

ويح دَمعي وويح ذلة نفسي　　لَم تدع لي أحداثه كبرياءَ

مناجاة الهاجر

دع النفس تمرح في خيالٍ وأو هام
وخلِّ لأجفاني كواذبَ أحلامي

و قل يا حبيب القلب إنك عائد
على جهلِ حساد وغفلة لوّامِ

وإنك دانٍ كالربيع وزائرٌ
بضاحك نوار و مخضلّ أكمامِ

تعال اسقني خمرَ المواعيد والرضا
و خلّ الأماني البيض تغمر أسقامي

أيُحرمُ حتى و هم حبك من رمى
بمهجته في ناره دون إحجامِ

وأنفق فيه قلبه وشبابه
فلم يَبقَ إلا الجرح والشفق الدامي

ومن عجبٍ أحنو على السهم غائراً
ويسألني قلبي متى يرجع الرامي

فيا لهفه لو كنتُ أدري بموعدٍ
وراء الليالي أو رجاءً بإلمام

و لو كان عندي غير زفرة آسف
وحسرة أشعارٍ ودمعة أقلامِ

ولو كنت أدري كيف يصفو مغاضبٌ
كأن رضاه في ذرى الكوكب السامي

كأن ائتلاقَ النجم والنجم مُشرقٌ
ثناياه تبدو في عبوسة أيامي

كأنَّ نسيم الليل يحمل طيبه
كأنَّ اصطدام الموج معبود أقدامِ

فيا أملي النائي إذا كنتُ مذنباً
فقد تبتُ عن ذنبي إليك بآلامي

حبيبتك، لا أدري الهوى ما وراءه
و ما بعد سقمي فيك عاماً على عامِ

جمالك نبراسي وروحك كعبتي
وعيناك وحيي في الحياة وإلهامي

الصورة

يـا رسـمُ مـن أعـطـى الـهـوى مـفـتـاحَ قـلـبـي الـمـقـفـلِ
في حـبـه فـنـيَ الصِّـبـا وشـبـاب أيـامـي بـلي

يـا ويـح مـا ضَـيـعـتُ في ـهِ مـن قـلـيـل مـخـجـلِ
مـاضـيَّ ضـاع ولـو قـدرت لـجـدتُ بـالـمسـتـقـبـلِ
يـا رسـمُ! كـم مـن لـيـلـةٍ أبـكـي وأسـتـبـكـيـك لي
حـتـى رجـعـتُ مـخـادعـاً ومَضـيـتُ جـد مضـلّـلِ
أرنُـو لـدمـعـي بـاديـاً في وجـهـك الـمـتـهـلـلِ
فـأخـال عـيـنـك هَـزّهـا شَـكـوى الـغـريـب الـمـهـملِ
فَـبَـكَـتْ وتـلـك دمـوعـهـا هَـذِي تَسـيـل وذِي تَـلي

رجوع الغريب

عـادتْ لـطـائِـرهـا الـذي غـنَّـاهَـا   وشـــدا فهاجَ حنينَها وشــجَاها
أيُّ الـحـظـوظِ أعـادَهَـا لـوفـيِّـهـا   ونـجـيِّ وحـدتهـا وإلـفِ صـــباهَـا
مشـــبوبةَ التحنانِ تكتم نارَها   عـبـثـاً وتـأبَـى أن يَـبـيـنَ لـظـاهَـا
يـا إلـفـيَ الـمـعـبـود سِـــرُّكَ ذائـعٌ   نـارُ الـحـنـيـنِ دفـيـنُـهَـا أفشـــاهَـا

***

مـاذا لـقـيـنـا مـن لـقـاءٍ خـاطـفٍ   وعشـــيةٍ كالبرقِ حانَ ضـــحاهَا
يـا ويـح هـاتـيـكَ الـثـواني لم تـقـف   حـتـى نُسَـــيـغَ هـنـاءةً ذقـنـاهَـا
حـتـى يُـمـتِّـع بـالـيـقـيـن مـكـذبٌ   عـيـنـيـه في رؤيـا يضـــلُّ ســـنـاهَـا
تمضــي لها الأبصـــارُ والهةَ الهوى   وتحولُ عنها ما تطيقُ لقاهَا

***

تخبو العواطفُ في الصـــدورِ وتنتهي   ويـجـفُّ في زهـر الـقـلـوب نَـداهَـا
وأنـا أحـسُّ الـيـومَ بـدءَ عـلاقـةٍ   وعـنـيـفَ ثـورتهـا وحـزَّ مُـداهَـا

***

لم تُـروَ مـنـكَ نـواظـري وخـواطـري   ورجعتُ أزكي مهجةً وشـــفاهَا
مدَّ الخريف على الرياض رواقه   ومضـــى الربيع الطلق ما يغشـــاها
ما بالرياض؟! كآبة في أرضـــها   وســـحابة تغشـــى أديمَ ســـماهَا
جمـدت حمـائـمُ أيـكـهـا وأنـا الـذي   شـــاكيتُها فاغرورقت عينا ها

***

كيف السبيلُ إلى شفاء صبابةٍ   الدهر أجمع ما يبلُّ صداها
وإلى نسائمِ جنةٍ سحريةٍ   قرّحتُ أجفاني على مغناهَا
قضيتُ أيامي أضم خيالها   وأضعتُ أيامي أقول عساهَا

قميص النوم

كان الشاعر مريضًا فارتدى قميص النوم فشفي

يا ليلةً ســنحت في العمر وانصــرمَت هَـلَّا رجـعـتِ وهـلا عـادَ أحـبـابـي
يا ليت شـــهدَك إذَ لم يبق لي أبداً لَم يُبقِ في القلب تذكاراً من الصـــابِ
لَم أنس مُهدَيتي جلبابَها وعلى جســمي من الســقم منها أيُّ جلبابِ
قميصُ يوســف ردَّ العينَ مبصـــرةً ففاز بالنورِ ذاك المطرقُ الكابي
وأنت لو أنّ روحاً أزمعت ســـفراً أعدَتها وخيالُ الموت بالبابِ
فذُد خيالَ المنا يا اليومَ عن رجُلٍ أنشـــبـنَ في روحه أشـــباهَ أنيـابِ
وإن عجزتَ فكن في الموت لي كفناً أمـتْ وألـقـى إلـهـي غـيـرَ هـيَّـابِ

الغد

يا حنانــاً كيدِ الآســي الرؤومِ   وشُـعاعاً يُشـتهى بعد الغُيومِ
أنا في بُعدِكَ مفقودُ الهُدَى   ضَائعٌ أعشو إلى نورٍ كريمِ
أشتري الأحلامَ في سُوق المُنى   وأبيعُ العُمرَ في سُوق الهُمومِ
لا تقل لي في غدٍ موعدُنا   فالغدُ الموعُودُ ناءٍ كالنجومِ

***

أغداً قلت؟ فعلّمني اصطبارا   ليتني أختصرُ العُمرَ اختِصارَا
عَبَرَت بي نَشوةٌ مِن فَرَحٍ   فرَقصنا أنا والقلبُ سُكارَى
وعَرَانا طَائِفٌ مِن خَبَلٍ   فاندَفَعنا في الأماني نتبارَى
سنَذمُّ النور حتى يتَلاشى   ونذمُّ الليلَ حتى يتوارَى

***

انفَردنا أنا والقلب عشيا   ننسج الآمالَ والنّجوى سويّا
فركبنا الوهمَ نبغي دارَها   وطوينا الدهر والعالَم طَيَّا
فبلغناها وهللنَا لها   ونزَلنَا الخُلدَ فينَاناً نَدِيَّا
ولقينا الحسنَ غَضّاً والصِّبا   وتملَّينَا الجلالَ الأبدِيَّا

***

قال لي القلبُ: أحقّاً ما بلغنا   كيف نام القَدرُ السَّاهر عنَّا؟
أتراها خِدعةً حاقت بنا؟!   أتراها ظِنةً مما ظَننَّا؟
قلتُ: لا تجزع فكم من منزلٍ   عزَّ حتى صار فوق المتمنى
أذِنَ اللهُ به بَعد النَّوي   فثوينا واسترحنا وأمِنَّا

***

يا جِنانَ الخُلدِ قَدَّمتُ اعتِذاري إذ يَطوف الخلدَ سُقمي ودَماري

أيها الآمرُ في مُلكِ الهوى اعفُ عن لهفةِ روحي وأواري

أشتهي ضَمَّكَ حتى أشتفي فكأني ظامئٌ آخذ ثاري

غير أني كلَّما امتدت يدي لعناقٍ خِفتُ أن تؤذيكَ ناري

***

أيها النورُ سَلاماً وخشوعا أيها المعبَدُ صَمتاً ورُكُوعَا

ملكت قلبي ولُبي رهبة عصفت بالقلب واللُّبّ جميعَا

رُبَّ قول كنتُ قد أعددتُه لكَ إذ ألقاك يأبى أن يطيعَا

وحبيسٍ من عتابٍ في فمي قد عصاني فتفجَّرتُ دموعَا

***

لذعتني دمعة تلفح خدي نبهتني من ضلالٍ ليس يُجدِي

واختفت تلك الرُّؤَى عن ناظري وطَواها الغيبُ في سِحري بُردِ

وتَلَفَّتُّ فلا أنت ولا جنةُ الخلد ولا أطيافُ سَعدِ

وإذا بي غارقٌ في محنَتي وبلائي، أقطعُ الأيامَ وَحدِي

***

هاتِ قيثاري ودَعني للخيالِ واسقني الوهمَ وعَلِّل بالمحالِ

ودَع الصدق لمن ينشده الحجى خصميَ فاغمر بالضلالِ

وخُذ الأنوار عنّي، ربما أجدَ الرحمةَ في جوفِ الليالي

خلِّني بالشوقِ أستدني غداً فغداً عندي كآبادٍ طوالِ

الانتظار

وقف الشاعر ينتظر تحت العاصفة والظلام والبرد

لعينيكَ احتملنا ما احتملنا وبالحرمانِ والذلِّ ارتضينا
وهان إذا عطفت ولو خيالاً وأين خيالك المعبود أينا؟!

***

تعالَ فلم يعد في الحي سارٍ وهوَّمتِ المنازلُ بعد وهنِ
وران على نوافذها ظلامٌ وقد كانت تطلّ كألف عينِ

***

تعالَ فقد رأيتُ الكون يحنو عليّ ويدرك الكرب الملمَّا
ويجلو لي النجوم فأزدريها وأغمض لا أريد سواك نجما

***

ومنتظرٌ بأبصاري وسمعي كما انتظرتكَ أيامي جميعا
وهل كان الهوى إلا انتظاراً شتائي فيك ينتظر الربيعا

***

أرى الآباد تغمرني كبحرٍ سحيقِ الغور مجهولِ القرار
ويأتمر الظلام عليَّ حتى كأني هابط أعماق غارِ

***

وتصطخبُ العواصف ساخرات وتطعنني بأطراف الحرابِ
وتشفق بعد ما تقسو فتمضي لتقرع كل نافذةٍ وبابِ

***

فصحتُ بها إلى أن جف حلقي فحين سكتُّ كلمني إبائي
وأشعرني العذاب بعمق جرحي وأعمق منه جرح الكبرياءِ

***

ولـمّـا لَـم تـفـز بـلـقـاك عـيـنـي　　لـمـحـتـك آتـيـاً بضـــمـيـر قـلـبـي

فــأســـمــع وقــع أقــدامٍ دوانِ　　وأنصـــت مصـــغـياً لحفيف ثوبِ

***

وأخـلـق مـثـلـمـا أهـوى خـيـالاً　　وأســـتـدني الأمـاني والـحـبـيـبـا

وأُبـدع مـثـلـمـا أهـوى حـديـثـاً　　لـنـاءٍ صـــار مـن قـلـبـي قـريـبـا

***

أمــدّ يــديَّ في لــهــف إلــيــه　　أشـــاكـيـه بـمـحـتـبـس الـدمـوعِ

فـيســـبـقـنـي إلى لـقـيـاه قـلـبـي　　وثـوبـاً ثـم يـبـرد في ضـــلـوعـي

***

فتصـــطخب العواطف ســـاخرات　　وتـطـعـنـنـي بـأطـراف الـحـرابِ

وتشـــفق بعد ما تقســـو فتمضـــي　　لــتــقــرع كــل نــافـذةٍ وبــابِ

صلاة الحب

أحقاً كنت في قربي لعلي واهمٌ وهما
تكلَّم سيدَ القلب وقل لي لم يكن حُلما

***

دنوت إليَّ مستمعا فبُحتُ، وفرطَ ما بحتُ
بعادك والذي صنعا وهجرُك والذي ذقتُ

***

وحبِّي! ويحه حبِّي تَبيعك حيثما كنتَ
تكلَّم سيدَ القلبِ وقل بالله ما أنتَ؟!

***

أرى في عمق خاطركَ جلالاً يشبه البحرا
وألمح في نواظرك صفاء الرحمة الكبرى

***

وأنت رضىً وتقبيلُ وأنت ضنىً وحرمانُ
وفي عينيك تقتيلُ وفي البسمات غفرانُ

***

وأنت تَهَلُّلُ الفجرِ وبسمتُه على الأفقِ
وحيناً أنَّةُ النهرِ وحزن الشمس في الغَسقِ

***

وأنـــت حـــرارة الشـــمـــس   وأنـــت هـــنـــاءة الـــظـــلِّ

وأنـــت تـــجـــاربُ الأمـــس   وأنـــت بـــراءة الـــطـــفـــل

***

وأنـت الـحســـن مـمـتـنـعًـا   تـحـدَّى حصـــنـه الـنـجـمـا

وأنـت الـخـيـرُ مـجـتـمـعًـا   وعـنـدك عـرشُـــه الأســـمـى

***

وعـــنـــدك كـــلُّ مـــا أظـمـــأ   وردّ الـــقـــلـــب لـــهـــفـــانـــا

وعـــنـــدك كـــلُّ مـــا أدمـــى   وزاد الـــجـــرح إثـــخـــانـــا

***

وعـــنـــدك كـــل مـــا أحـيـــا   وشـــــدَّد عـــزمـــه الـــواهـــي

حـــنـــانُـــكَ نضـــرة الـــدنـيـــا   وقـــربُـــكَ نـــعـــمـــةُ اللهِ

***

وفـــيـــم هـــواجـــس الـــقـــلـــب   وفـــيـــم أطـــيـــل تســـآلي

أحـــبـــك أقـــدسَ الـــحـــبِّ   وحـــبـــك كـــنـــزيَ الـــغـــالي

***

ســـنـــاكَ صـــلاة أحـــلامـــي   وهـــذا الـــركـــن مـــحـــرابـــي

بـــهِ ألـــقـــيـــتُ آلامـــي   وفـــيـــه طـــرحـــت أوصـــابـــي

***

هـــوىً كـــالســـــحـــر صـــيّـــرني   أرى بـــقـــريـــحـــة الشـــــهـــبِ

وطـــــــهَّـــــــرني   وبصَّـــــــرني   ومـــزَّق مـــغـــلـــقَ الـــحـــجـــبِ

***

ســـــمـــوتُ كـــأنـــمـــا أمضـــــي   إلى ربٍّ يـــــنـــــاديـــــنـــــي

فـــلا قـــلـــبـــي مـــن الأرض   ولا جســـــدي مـــن الـــطـــيـــن

***

ســـــمـــوتُ ودقَّ إحســــاســـــي   وجُـــزتُ عـــوالم الـــبشـــــرِ

نســـيـــت صـــــغـــائـــرَ الـــنـــاسِ   غـــفـــرت إســـــاءَة الـــقـــدرِ

مصافحة اللقاء

أهاب بنا فلبينا   منادٍ ضمَّ روحينا

كأنا إذ تصافحنا   تعانقنا بكفينا

كأن الحب تيارٌ   سرى ما بين جسمينا

يؤجج في نواظرنا   ويشعل في دماءينا

مصافحة الوداع

يا أميري أزف البينُ   وما زلت ضنينا

أصغ لي وانظر ودع كفك   في كفيَ حينا

آهِ من يمناك هذي   والذي منها سقينا

عللتنا بالأماني   فشربنا ظامئينا

ثم دارت بالمنايا   فوردنا طائعينا

آه من قاسية ريانةٍ   ضعفاً ولينا

يا بناناً ساحراً قد حكّم   الأقدار فينا

شفتي موتورة ظمآنة   جننت جنونا

وكأن الآن كفي   حملت ثأراً دفينا

تتمناك حبيساً   عندها العمر سجينا

طائراً ألفى على   راحتها وكراً أمينا

وشعاعاً قدسياً   هادي النور مبينا

أغنية في هيكل الحب

كم تجرّعنا هوانا ... ولقينا في هوانا
وبلونا نارَ حبٍّ ... لم نذق فيها أمانا
وإذا حلّ الهوى هيهات ... تدري كيف كانا
فإذا ما ملك الأنفس ... أصلاها عوانا
فهو نصل مستقر ... ولهيب لا يدانَى
يا حبيبي هدأ الليل ... ولم يسهرْ سوانا
لا الدجى ضمَّد جرحينا ... ولا الصّبحُ شفانا
لا الهوى رقّ على الشاكي ... ولا قاسيه لانا
قد غدونا غرضَ الرامي ... كما شاء رمانا
وافني بالله نَطرقْ ... هيكل الحب كلانا
ساعة نبكي على الكأسِ ... ونشكو من سقانا

وداع المريض

(مهداة إلى س ....)

مريض عزيز سهر الشاعر عند سريره يعنى به ، وكان وداعه في الصباح فكتب يودعه بالقصيدة التالية

فيم الغدوّ غداً وأين رواحي ويح الصباح! لقد مضى بصباحي

عصفت علينا غير راحمة لنا يا صفوة الأحباب أيّ رياح

عبثت بمعبود العيون وصيَّرت كالورس لوناً توأم التفاح

ذهبوا به كالورد جافاه الندى ومضوا به شبحاً من الأشباح

يا هاتفاً باسمي فُديتَ منادياً ردّ النداء عليه حرُّ نُواحي

يا آسي الآسي لممت جراحتي وأسلت يوم نواك أيَّ جراح

طأطأتُ للبين المشتت هامتي وخفضت للقدر المغير جناحي

أيّ الليالي العاتيات سهرتها في أيّ آلام وأيُّ كفاح

هدم الضنى العادي قويّ شكيمتي وثنى معاندتي وردّ جماحي

وطغى على الملك الموسد بيننا في لطف زنبقة وضعف أقاح

كيف المآب إلى مكان موحشٍ متجهم العرصات قفر الساح

في كل ناحيةٍ خيالٌ هاتفٌ ومذكر بجبينك الوضاح

وموسد كالطيف صاحٍ ليله أمسيت أرعاه بجفنٍ صاح

***

عـاد الشـــقـي إلى قـديـم شـــقـائـه　　　ومحا من الدنيا السـعادة ماحي

ويـح الـحـيـاة الـيـوم أيـن جمـالـهـا　　　وعـلامَ إخـفـاقـي بهـا ونـجـاحـي

أنت الذي وهب الحياة لميت　　　في الأرض مـنـفـرد بـغـيـر طـمـاح

أشـــرقت في ظلمائها وغمامها　　　وطـلـعـت مـثـل الـبـارق الـلـمـاح

فرحة جديدة

أدركت عندك يوميَ الموعودا ... ولقيت فيك مثاليَ المنشودا

وافرحتي بك فرحة الطفلِ الذي ... يلهو ويخلق كل يوم عيدا

وافرحتي بك فرحةَ الطير الذي ... ملأ الروابي المصغيات نشيدا

طربت لصدحته وصفق ظافراً ... جذلان في عرض الفضاء سعيدا

في موكبٍ من قلبه وحبيبه ... من راح تحسَبُه العيون وحيدا

وافرحتي بك فرحة الضال الذي ... يطوي القفار اللافحات شريدا

لاحت له بعد الهواجر أيكة ... غنّاء تبسط ظلها الممدودا

ما أعجب الدنيا التي بعث الهوى ... وأحالها روضاً أغر جديدا

شتى غرائبها وأعجبها فتى ... يغدو لمهجته عليك حسودا

يتهالكان على جمالك صبوة ... يتنافسان ضراعه وسجودا

يتنازعانك غيرة وتغضباً ... كل يراك حبيبه المعبودا

ما أعجب الإيمان يغمر خاطري ... كالفجر قد غمر السماء وئيدا

مزقتِ شكي فاسترحتُ لأعين ... علمنني الإيمان والتوحيدا

استقبال القمر

أَقبِلْ بموكبك الأغَر   ما أظمأَ الأبصارَ لك
العين بعدك يا قمر   عمياءُ والدنيا حلَك

***

تمضي وراءَ سحابة   تحنو عليك وتلثُمك
وأنا رهينُ كآبة   بخواطري أتوهَّمك

***

كن حيث شئت فما أنا   إلا معنًّى بالمحال
أغدو لقدسك بالمنى   وأزور عرشك بالخيالِ

***

وأقول صبراً كلَّما   عزَّ الفكاك على الأسير
روحي وروحك ربما   طابا عناقاً في الأثير

***

مهما تسامى موضعُك   وعلا مكانك في الوجود
فأنا خيالك أتبعُك   ظمآن أرشف ما تجودْ

***

قمرَ الأماني يا قمر   إني بهمٍّ مسقمِ
أنت الشفاء المدَّخر   فاسكب ضياءك في دمي

***

أفـرِغ خـلـودك في الشـــبـاب   واخـلـع عـلى قـلـبـي الصـــفـاء

أســـفـاً لـعـمـر كـالـحـبـاب   والـكـأس فـائضـــة شـــقـاء

***

خـــذني إلـــيـــك ونـــجّـنـــي   مـــمـــا أُعـــاني في الـــثـــرى

قـــدحـــي تـــرنَّـــق فـــاســـقـــنـــي   قـــدحَ الشـــعـــاع مـــطـــهـــرا

***

واهـــاً لأحـــلامِ طـــوال   وأنـــا وأنـــتَ بـــمـــعـــزلِ

نَـعْـلـو عـلى قـمـم الـجـبـال   ونـــرى الـــعـــوالم مـــن عَـــلِ

نفرتيتي الجديدة (*)

إلى ممثلة فنانة

لِمَن هاته الفتنة النادرة ... وما هاته الأعينُ الساحره؟

وما ذلك المرَحُ القدسيّ ... وما هاته الضحكة الطاهره؟

تطوف مطاف الحنان العميم ... وتسقط كالنعمة الوافره

وتمتدُّ مثل امتداد العباب ... وترجع كالموجة الساخره

وتنقش أصداءها في القلوب ... وتبقى مدى العمر في الذاكره

فيا رِقّةً سُكِبَت في النفوس ... كما تُسكَبُ الخمرةُ القاهره

نسينا بك العالَم الدنيويَّ ... وأسمعتِنَا نَغَمَاالآخره

ويا ربةً من نواحي الألمبِ ... أطلّت على مهَجٍ شاعره

حنينا الرؤوس لمجد الجمالِ ... ولُذنا بعرشكِ يا آسره

(...) مثَّلتِ هذي الحياة ... وصوّرت أدوارَها الزاخره

وحمَّلت روحَك أثقالها ... وروحك كالريشة الطائره

وكلّفت قلبكِ خوض الجحيم ... وقلبك كالجنة الناضره

دفعت به في اللظى كالخليل ... وعدتِ مباركة ظافره

رجعتِ من النار ياقوتةً ... مطهّرةً حرَّةً باهره

(...) إن كرّمتكِ البلادُ ... ودانت لمعبودةٍ قادره

(*) نفرتيتي الجديدة : يقصد الفنانة أمينة رزق .

فـوالله مـا فـهـمـتـك الـعـقـولُ ولا قــدرت قــدرِك الــقــاهــره

فـلـلـشــعــر عـيــنٌ يـراكِ بهـا بـغـيـر عـيـون الـورى الـنـاظـره

يرى لك حُســنَ الشـعاع الجميل أغـار عـلى الـظـلـمـة الـغـامـره

فـجلَّـلَ بـالســحـر هـذي الـدُّنـى وصـــيَّــرهــا جــنــة زاهــره

فـنـوَّر أكـواخـهـا الـبـالـيـات وهــلَّــلَ في دورهــا الــعــامــره

رســولٌ يـجـوس خـلال الـديـار ويــنــزل كــالــرحمــة الــزائــره

بـعـيـن قـد اغـرورقـت بـالـدمـوع لـهـا مُـقـلـةُ الـغـيـمـةِ الـمـاطـره

يـطـوف عـلى الـنـاس إنســانهـا ومــهــجــتــه لــلــورى غــافــره

الفراشة

أجل! يعلم الحبُّ أني لظاهُ		وتدري الفراشة أنّي اللهب
وأني بدوتُ لها في الظلام		فرفّت بأجنحةٍ تضطرب
وبين ذراعيَّ سرُّ الحياة		وفي ناظريَّ بريقُ الشُّهُب
دنت خطوة ثم عادت إلى		مجاهِلها من خفيّ الحجُب!
وشتّان بين السنا والظلام		لعابدةٍ للسنا عن كثب
وفي صدرها لهفة للعناق		وفي قلبها جنةُ المغترب
يلوح لها شبحٌ للعذاب		ويبدو لها الأبد المقترب
كأن اللظى قدحٌ من سلافٍ		لها فوقه وثباتُ الحبب
فراشة روحي تعالي وثُوباً		ستلقين قلباً إليكِ يثب
إذا ما امتزجنا احترقنا معاً		ونلنا الخلود بهذا العطَب

إلى س .

جئتُ أشكو لكِ روحي وجواها ... وردت ظمأى وعادت بصدَاها

آه من عينكِ ماذا صنعت ... بغريبٍ مستجيرٍ بحماها

تبعته تقتفي أحلامَهُ ... كلّما أغفى أطلّت فرآها

يا سقى الله لِليلى أيكةً ... وجزاها الخيرَ عنّا ورعاهَا

وغذَاها من أمانينا ومن ... حبنا الشهدَ المصفى وسقاَها

***

قرّبي عينكِ مني قرّبي ... ظلليني واغمريني بصفاَها

وأريني هدأة البحر إذا ... انبسط البحرُ جلالاً وتناهَى

وأريني لجة السحر التي ... ضلَّ في أعماقها الفكرُ وتاَها

ألمح اللؤلؤ في أغوارها ... وأرى الطيبة تطفو في سناَها

وأراها تخبأ الخلدَ لمن ... باع دنياه وبالروح اشتراهَا

***

نحن أرواحٌ حيارى افترقت ... ثم عادت فتلاقت في شجَاها

سوف ينسى القلبُ إلا ساعةً ... مِن رضاً في وكرك الحاني قضاَها

هتف القلب وقد حدثتني ... أيّ ماضٍ كشفت لي شفتاها

هَمَسَت في خاطري فاستيقظت ... روحيَ الحيرى وأصغت لندَاها

فأنا إن لم أكُن توأمَها ... فكأني كنت في الغيبِ أخاها

نحن أرواحٌ حيارَى ثملت ... وانتشت سكرى على لحنِ أساَها

قــرِّبــي روحَــكِ مــنــي قــرِّبــي ظللیني واغمریني برضــا ها

وتــعــالي حــدّثــيــنــي حــدّثــي أنــت مـرآة شـــجـوني وصَـــدَاهَـا

فهبيني ســا عة الصـــفو التي تقســـمُ الأيامُ ما فيها ســـوا ها

ثـــم أمضـــــي لـــحــيـــاةٍ مـــرَّةٍ صـــبْحُها عندي ســواءٌ ومَسَـــا هَا

نداء للشباب

وطنٌ دعا وفتى أجاب	بوركت يا عزم الشباب
يا فتية النيل المسالم	والكريم بلا حساب
جناته مرآتكم	ولكم خلائقها العِذاب
ولكم جمال الزهرِ	رفَّ على الأماليد الرطاب
ولكم فؤاد النهر	رَقَّ على المحاني والشعاب
يمضي فيضحك للسهولِ	ولا يضن على الهضاب
حتى إذا نادتكم الأوطانُ	والوادي أهاب
حتى إذا طغت الكوارث	واستفزكم العذاب
أصبحتم كالغيل	تحميه الليوث بألف ناب

***

قل للشباب اليوم يومكم الأغر المستطاب
اليوم يبدو حبّ مِصر فلا خفاءَ ولا حِجاب
إن كان إثماً يا شبابُ فلا رجوع ولا متاب
الله ينظر والليالي عندها لكم الحساب
والعهد في القلب المصابر	والأمانة في الرقاب
هاتوا الفدا الغالي لمصر	وأرخوه كالتراب
المال والأرواح كلُّ	ضحيةٍ ولها ثواب

في يوم الشباب

اليوم يومك في الشباب فناد لا نوم بعد ولا شهيٌّ رقادِ
قل للذي يبغي الصلاح لقومه بنبيل صنع أو شريف جهادِ
بالطب أو بالشعر أو بكليهما كل الجهود فداء هذا الوادي
لا خير في قلم إذا هو لَم يكن حراً طهوراً كالشعاع الهادي
لا خير في طب إذا هو لم ينر ظلم الحياة كفرحة الأعيادِ
يا أيها الوطن الجريح وجرحه بصميم كل حشاشة وفؤادِ
صبراً فنحن أساتك الرحماء في البأساء قد جئنا بكل ضمادِ
قل للبناة المصلحين ألا اخلقوا شم الذرى ورواسخ الأطواد
جيلاً من النشء القوي إذا مشوا رفعوا الرؤوس بعزة وعنادِ
لا خير في الأرواح تسكن منزلاً متهدماً رثاً من الأجسادِ
لا خير في الأرواح تسكن موطناً متخاذلاً لا يرتجى لجلادِ
أبَكَت عيونكم الضعيف يصير في ناب القوي فريسة استعبادِ
فتبينوا إذن الحقيقة واعلموا أن الطبيعة هكذا من عادِ
الجو ملك النسر يغشاه على ما يشتهي والغاب للآسادِ
مهلاً بني قومي أتيت مذكراً في ساحة مجموعة الأشهادِ
واخجلتا مما نقدمه إذا حان الحساب وجاء يوم معادِ
أيّ الصحائف في غد وحسابكم في ذمة الأبناء والأحفادِ
أيّ البلاد هو السعيد وأهله يتنابذون تنابذ الأضدادِ
كل يعيش لنفسه في أمة شقيت بطول تفرق الأفرادِ
فخذوا السبيل إلى الحياة تآلفاً وتكاتفاً في رغبةٍ ووِدادِ
خير الصحائف ما كتبت سطوره بيد الكفاح الحر لا بمدادِ

صونوا البلاد وأدركوا فلاَّحكم   كاد الحمى يغدو بغير عمادِ

حيران من مرضٍ إلى بؤس إلى   كربٍ تمر به بلا تعدادِ

هذي دياركم وذلك نيلكم   هبة السماء ومنحة الآبادِ

هذي دياركم وهذي شمسكم   طمع الغريب وحرقة الحسادِ

ومن المصائب في زمانك أن ترى   بلداً كثير مناهل الروادِ

والخير مدرار عليه وربه   جوعان محروم الرعاية صادِ

والزرع نضر في الحقول وأهله   يتهيأون لمنجل الحصادِ

هذا زمانكم وذا ميدانكم   ماذا بكم من عدة وعتادِ

نبغي شداد القوم قد شحذوا القرى   في ليل أحداث نزلن شدادِ

ونريد شباناً بمصر استعصموا   ومضوا يصدون الغريب العادي

ونريد أطفالاً إذا ما أُرضعوا   فرضاعهم وطنية بسهادِ

الطفل منهم مثل أمي أو أبي   شفتاه أول ما تقول بلادي

يُغذون في الأرحام حب بلادهم   لتكون مصراً صرخة الميلادِ

الأجنحة المحترقة (*)

يا أمتي كم دموعٍ في مآقينا — نبكي شهيديك أم نبكي أمانينا؟!

يا أمتي إن بكينا اليوم معذرةً — في الضعفِ بعضُ المآسي فوق أيدينا

واهاً على السرب مختالاً بموكبه — وللنسور على الأوكار غادينا

قالوا الضباب فلم يعبأ جبابرةٌ — لا يدركون العلا إلاّ مضحّينا

والمانش يعجب منهم حينما طلعوا — على غواربِهِ الغيرى مطلّينا

فاستقبلتهم فرنسا في بشاشتها — تجزي البسالة ورداً أو رياحينا

قالوا النسور فهبَّ القومُ وادّكروا — نسراً لهم ملأ الدنيا ميادينا

وهلل السِّين إذ هلّت طلائعنا — طلائع المجد من أبناء وادينا

حان الأمانُ ووافَى السربُ فافتقدوا — نسرَيْنِ ظنوهما قد أبطآ حينا

لكنه كان إبطاءَ الرَّدى فهما — لما دعا المجد قد خَفَّا ملبينا

فليبكِ من شاء وليُشبعْ محاجرَهُ — ولينتحبْ ما يشاءُ الحزنَ باكينا

يبكي الحبيب وتبكي فقد واحدها — من لا ترى بعده دنيا ولا دينا

هُنيهة ثم يسلو الدمعَ ساكبُه — لا يدفعُ شيئاً من عوادينا

فكلما حلَّ رزءٌ صاحَ صائحُنا: — فداك يا مصر لا زلنا قرابينا

فداك يا مصر هذا النجم منطفئاً — والنسر محترقاً والليث مطعونا

(*) قيلت في الطيارين المصريين حجاج ودوس بعد أن احترقت بهما طائرتهما في سماء فرنسا وهما عائدان إلى مصر عام ١٩٣٣م.

عتاب

هجرتِ فلم نجد ظلًّا يقينا
أحُلْمًا كان عطفُكِ أم يقينا؟
أهجرًا في الصبابة بعد هجرٍ
أري أيامَهُ لا ينتهينا
لقد أسرفتِ فيه وجُرتِ حتى
على الرَّمَقِ الذي أبقيتِ فينا
كأنّ قُلوبَنا خُلِقَتْ لأمرٍ
فما أبصرنَ مَنْ نهوَى نسينا
شُغِلْنَ عن الحياةِ ونِمْنَ عنها
وبتن بمن نحبُّ موكلينا
فإن ملئت عروقٌ مِنْ دماءٍ
فإنَّا قد ملأناها حنينَا!

أصوات الوحدة

يا وحدتي جئت كي أنسَى وها أنذا ... ما زلت أسمع أصداءً وأصواتا

مهما تصاممتُ عنها فهي هاتفةٌ ... يا أيها الهاربُ المسكينُ هيهاتا

جرَّت عليَّ الأماني مِن مجاهلها ... وجمَّعت ذِكراً قد كُنَّ أشتاتا

ما أسخف الوحدةَ الكبرى وأضيعها ... إذا الهواتف قد أرجعن ما فاتا

بَعثن ما كان مطوياً بمرقدِه ... ولم يزَلنَ إلى أن هبَّ ما ماتا

تلفَّت القلبُ مطعوناً لوحدته ... وأين وحدته باتت كما باتا

حتى إذا لم يجد ريّاً ولا شبعاً ... أفضى إلى الأمل المعطوب فاقتاتا

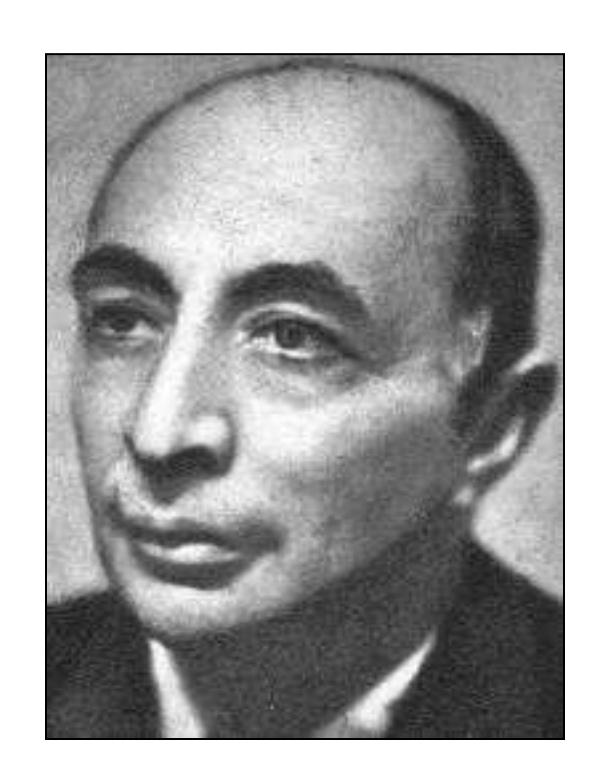
الختام

(من شعر الصبا)

عجباً لقلب هيض منكَ جناحُهُ ... وجرى به نصلُ الندامةِ يذبحُ
ومضى الحِمامُ يدبُّ فيه فإن جرتْ ... ذكراك طار إليك وهو مجنَّحُ
لهفي على الناقوس بين جوانحي ... وعلى بقيةِ هيكل لا تصلحُ
لا فرق بين أنينه ورنينهِ ... وصداه في وادي المنيةِ أوضحُ
يا قلب! صهباء الهوى وبساطه ... وكؤوسه المتجاوبات الصُّدَّحُ
وقفٌ على متنقلين على الهوى ... يبغون من لذاته ما يسنحُ
متبدِّلين موائداً وأحبةً ... ما خاب من حب فآخر يفلحُ
فالحبُّ آسيه وراء عليله ... فيهم، وبلسمه على ما يجرحُ
يا قلبُ! ويح ثباتنا ماذا جنى ... أترى شعاعاً في البقيةِ يُلمحُ!

***

يا أيها الحبُّ المقدَّسُ هيكلاً ... ذاق الردى من عابديك مسبحُ
كثرت ضحاياه وطال قيامُه ... وصيامه فمتى رضاءَك تمنحُ؟
يا دوحة الأرواح يُحمد عندها ... فيءٌ ويعبد زهرُها المتفتحُ
أينال ظلَّك والرعايةَ عابثٌ ... بجلالك البادي وآخر يمزحُ
ويبيت يحرمه قتيل صبابةٍ ... قضّى الحياةَ إلى ظلالك يطمحُ
ليلى! حبيبُتكِ كالحياة وذقتُ في ... ناديك كأساً بالأماني تطفحُ
فتكسرت قدح المنى ورجعتُ من ... سقم الهوى وهزاله أترنحُ
نزل الستار على الرواية وانقضتْ ... تلك الفصولُ وفُضَّ ذاك المسرحُ



المختار من ديوان
ليالي القاهرة
(١٩٥٠)

ليالي القاهرة

كان الظلام العصيب المخيم على القاهرة في سنوات الحرب الأخيرة متجاوبًا مع قتام في النفوس، وحلوكة تجثم على الصدور، وقد مرت بالشاعر انطباعات من ذلك الضنك الشامل فسجلها صورًا في هذه الملحمة المختلفة الضروب والإيقاع

(١) في الظلام

أليلاي ما أبقى الهوى فيَّ من رشد ... فردي على المشتاقِ مهجَته ردِّي

أيُنسى تلاقينا وأنت حزينةٌ ... ورأسك كابٍ من عياءٍ ومن سهدِ

أقول وقد وسّدتُه راحتي كما ... توسّد طفلٌ متعبٌ راحة المهدِ..

تعاليْ إلى صدرٍ رحيبٍ وساعدٍ ... حبيبٍ وركنٍ في الهوى غير منهدِ

بنفسي هذا الشَّعر والخُصَل التي ... تهاوت على نحرٍ من العاجِ مُنقدِ

ترامتْ ما شاءتْ وشاء لها الهوى ... تميل على خدٍّ وتصدفُ عن خدِ

وتلك الكروم الدانيات لقاطفٍ ... بياض الأماني من عناقيدها الرّبْدِ

فيالك عندي من ظلامٍ محببٍ ... تألق فيه الفرقُ كالزمن الرغد

ألا كُلُّ حسنٍ في البرية خادمٌ ... لسلطانة العينين والجيدِ والقدِّ

وكل جمالٍ في الوجود حياله ... به ذلةُ الشاكي ومرحمةُ العبدِ

وما راع قلبي منك إلا فراشةٌ ... من الدمعِ حامتْ فوق عرش من الوردِ

مجنحةٌ صيغتْ من النور والندى ... ترفُّ على روضٍ وتهفو إلى وردِ

بها مثل ما بي يا حبيبي وسيِّدي ... من الشجن القتال والظمأ المُردي

لقد أقفر المحرابُ من صلواته ... فليس به من شاعرٍ ساهرٍ بعدي

وقفنا وقد حان النوى أي موقفٍ ... نحاول فيه الصبرَ والصبرُ لا يجدي

كأن طيوفَ الرعبِ والبين موشكٌ ... ومزدحمَ الآلامِ والوجدُ في حشدِ

ومضطرمَ الأنفاسِ والضيقُ جاثمٌ ... ومشتبك النجوى ومعتنق الأيدي

مواكب ُخرس في جحيم مؤبد ... بغير رجاءٍ في سلام ولا برد
فيا أيكة مدّ الهوى من ظلالها ... ربيعاً على قلبي وروضاً من السعد
تقلصتِ إلا طيفَ حبٍّ محيّرٍ ... على درجٍ خابي الجوانب مسودِّ
تردَّدَ واستأنى لوعد وموثقٍ ... وأدبرَ مخنوقاً وقد غص بالوعدِ
وأسلمني لليلِ كالقبرِ بارداً ... يهب على وجهي به نفسُ اللحدِ
وأسلمني للكون كالوحش راقداً ... تمزقني أنيا ُبه في الدجى وحدي
كأنَّ على مصر ظلاماً معلقاً ... بآخر من خابي المقادير مربدِ
ركودُ وإبهامٌ وصمتٌ ووحشةٌ ... وقد لفها الغيبُ المحجبُ في بُردِ
أهذا الربيعُ الفخمُ والجنةُ التي ... أكاد بها أستافُ رائحةَ الخلدِ
تصيرُ إذا جن الظلامُ ولفها ... بجنحٍ من الأحلام والصمتِ ممتدِّ
مباءةَ خمّارٍ وحانوتَ بائعٍ ... شقيِّ الأماني يشتري الرزق بالسهدِ
وقِفْ وقفَ المصباحُ وقفة حارس ... رقيب على الأسرارِ داعٍ إلى الجدِّ
كأن تقياً غارقاً في عبادةٍ ... يصوم الدجى أو يقطع الليلَ في الزهدِ
فيا حارَس الأخلاق في الحيِّ نائمٌ ... قضى يومَه في حومة البؤسِ يستجدي
وسادَتُه الأحجارُ والمضجعُ الثَّرى ... ويفترش الإفريزَ في الحر والبردِ
وسيارةٌ تمضي لامر محجبٍ ... محجبة الأستار خافية القصدِ
إلى الهدف المجهولِ تنتهبُ الدجى ... وتومض ومض البرق يلمع عن بُعدِ
متى ينجلي هذا الضنى عن مسالكٍ ... مرنقة بالجوع والصبرِ والكدِّ
ينقبُ كلبٌ في الحطام وربما ... رعى الليل هرٌّ ساهرٌ وغفا الجندي
أيا مصر ما فيك العشية سامرٌ ... ولا فيك من مصغٍ لشاعرك الفردِ

***

أهاجرتي، طال النوى فارحمي تركتِ بديدَ الشملِ منتثرَ العقدِ
فقدتكِ فقدانَ الربيعِ وطيبَهُو عدتُ إلى الإعياء والسقم والوجدِ
وليس الذي ضيعتُ فيك بِهَيِّنٌولا أنتِ في الغيّاب هينة الفقدِ

***

بعينيك استهدي فكيف تركتني بهذاالظلام المطبق الجهم أستهدي
بورْدِكِ أستسقي فكيف تركتني لهذي الفيافي الصم والكثب الجردِ
بحبكِ استشفي فكيف تركتنيولم يبق غير العظم والروح والجلدِ
وهذي المنايا الحمر ترقص في دميوهذي المنايا البيض تختال في فودي
وكنتُ إذا شاكيت خففت محملي فهان الذي ألقاه في العيش من جهدِ
وكنتُ إذا انهار البناءُ رفعتُهُفلم تكنِ الأيامُ تقوى على هَدِّي
وكنتُ إذا ناديتُ لبْيتِ صرختي فوا أسفاً كم بيننا اليوم من سدِّ

***

سلامٌ على عينيك ماذا اجنتا من اللطف والتحنان والعطف والودِّ
إذا كان في لحظيك سيفٌ ومصرعٌ فمنكِ الذي يحيي ومنكِ الذي يُردي
إذا جُرِّدا لم يفتكا عن تعمدٍوإن أغمدا فالفتك أروع في الغمدِ
هنيئاً لقلبي ما صنعتِ ومرحباوأهلا به إن كان فتكُكِ عن عمدِ
فإني إذا جن الظلامُ وعادنيهواك فأبديتُ الذي لم أكن أبدي
وملتُ برأسي باكياً أو مواسياًوعندي من الأشجان والشوقِ ما عندي
أُقبِّلُ في قلبي مكاناً حللتِهو جرحاً أناجيه على القرب والبعدِ

***

ويا دار من أهوى عليكِ تحيةعلى أكرم الذكرى على أشرف العهدِ
على الأمسيات الساحرات ومجلسٍ كريمِ الهوى عفِّ المآرب والقصدِ
تنادُمنا فيه تباريحُ معشرٍعلى الدم والأشواك ساروا إلى الخلدِ
دموعٌ يذوب الصخر منها فإن مضوافقد نقشوا الأسماءَ في الحجرِ الصلدِ
وماذا عليهم إن بكوا أو تعذبوا فإن دموعَ البؤسِ من ثمنِ المجدِ..

(٢) أنوار

طابت بك الأيامُ وافرحتاه   أنتِ الأماني والغنى والحياه

فليذهب الليلُ غفرنَا له   ما دامَ هذا الصبحُ عقبى دجاه

يا من غَفَتْ والفجر من دارها   شعشعَ في الآفاق أبهى سناه

قد طَرَقَ البابَ فتى متعبٌ   طالَ به السيرُ وكلَّت خطاه

نَقَّلَ في الأيامِ أقدامَه   يبغي خيالاً ماثلاً في مُناه

عندَكِ قد حَطَّ رحالَ المنى   وفي حِمَى حسنِك أَلقَى عصاه

***

كم هدأ الليل وران الكرى   إلا أخا سهدٍ يغنِّي شجاه

ناداكِ من أقصى الربُّى فاسمعي   لِمَن على طولِ الليالي ندَاه

نادَى أليفاً نام عن شجوهِ   عذبٌ تجنِّيهِ عزيزٌ جناه

أحبّكِ الحبَّ وغنى به   عفَّ الأماني والهوى والشفاه

وإنما الحبُّ حديثُ العُلا   أنشودةُ الخلدِ ونحنُ الرواه

(٣) أحلام سوداء

رُبَّ ليلٍ قد صفا الأفق بهِ وبما قد أبدعَ اللهُ ازدهرْ

وسرى فيه نسيمُ عَبِقٌ فكان الليلَ بُسْتَانٌ عَطِرْ

قلتُ: يا رب لمن جمَّلته ولمن هذي الثريات الغرزْ..؟

فعرا الأفقَ قَتامٌ وبَدَتْ سحبٌ تحبو إلى وجهِ القمرْ

كلما تقرب تمتد لهُ كأكفٍّ شرهاتٍ تنتظر

صحت بالبدر: تنبَّهْ للنذرْ ادركِ الهالةَ حفت بالخطرْ

لا تبحْ مائدة النور لهم لا تبحْهما لسوادٍ معتكرْ

قهقه الرعدُ ودوَّى ساخراً فكأنَّ الرعدَ عربيدٌ سكرْ

قمتُ مذعوراً و همت قبضتي... ثم مدت، ثم ردت من خَوَرْ

لهف القلب على الحسن إذا قهقه الغربانُ والذِّئبُ سخرْ

تحتمي الوردةُ بالشوكِ فإن كثر القطافُ لم تغنِ الابرْ

آهِ من غصنٍ غنيٍّ بالجنى ومِن الطامع في ذاك الثمرْ

آه من شك ومن حب ومن هاجساتٍ وظنونٍ وحذرْ

كست الأفقَ سواداً لم يكن غيرَ غيمٍ جاثمٍ فوق الفكرْ

طالما قلت لقلبي كلما أنَّ في جنبي أنينَ المحتضرْ

إن تكن خانتْ وعقَّت حبَّنا فأضِفْها للجراحاتِ الأخرْ

(٤) الميعاد الضائع

في ليلة من ليالي القاهرة العصيبة ، وقفت تنتظره ، ولكن حال بينهما القدر ، وأقبل هو بعد ذهابها ، فتخيل فزعها ، ووحدتها ، وحاجتها إليه ، فجاءت هذه القصيدة عرضًا لتلك الخواطر

يا من طواها الليلُ في بَيْدائه   روحاً مفزعة على ظلمائهِ
تتلفتينَ إليَّ في أنحائه   لهف الفؤاد على الشريد التائه

***

إن تظمئي ليَ كم ظمئتُ إليكِ   جمع الوفاءُ شقيةً وشقيَّا
يا مُنيتي قستِ الحياة عليكِ   وجرتْ مقادِرُها الجسامُ عليَّا

***

أسفاً عليكِ وأنت روحٌ حائرٌ   والكونُ أسرارٌ يضيق بها الحجى
تجتاز عابرةٌ ويسرعُ عابرُ   وتمر أشباحٌ يواريها الدجى

***

في وجنتيك توهجٌ وضرامُ   وبمقلتيكِ مدامعٌ وذهولُ
وكذا تمرُّ بمثلكِ الأيامُ   مجهولةً وعذابُها مجهولُ

***

ولَّيْتِ قبل لقائنا يا جنتي   لم تظفري مني بقولٍ مسعدٍ
وكعادةِ الحظِّ الشقيِّ وعادتي   أقبلتُ بعد ذهاب نجمي الأوحدِ
تتعاقب الأقدار وهي مسيئةٌ   كم عقَّنَا ليلٌ وخانَ نهارُ
وكأنما هذا الفضاءُ خطيئةٌ   وكأن همسَ نسيمه استغفارُ

***

وكـأنـه أحـزانُ قـومٍ سـاروا هـذي مـآتـمـهـم وثَـمَّ ظـلالُـهَـا

عـفتِ القصـور وظلت الأسـوارُ كـمـنـاحـةٍ جمـدتْ وذا تـمـثـالُـهَـا

***

ران السـواد عـلى وجـودِ الـدورِ وسـرى إليّ نـحـيـبُـهـا والأدمـعُ

وكـأنـني في شـاطـيء مـهـجـورِ قـد فـارقـتْـه سـفـيـنـةٌ لا تـرجـعُ

***

حمـلـتْ لـنـا أمـلاً فـلـمـا ودَّعَـتْ لم يـبـقَ بـعـد رحـيـلـهـا لـلـنـاظـرِ

إلا خـيـال سـعـادةٍ قـد أقـلـعـتْ ووداعُ أحـبـابٍ ودمـعُ مسـافـرِ

(٥) اثنان في سيارة

العمرُ أكثرهُ سدى وأقلُّهُ ... صفوٌ يتاحُ كأنه عمران

كم لحظةٍ قصرت و مدت ظلَّها ... بعد الذهاب كدوحة البستانِ

و يمر في الذكرى خيالُ شباَبها ... فكأن يقظَتها شبابٌ ثاني

مَنْ ذلك الطيف الرقيق بجانبي ... كفّاه في كفَّيَّ هاجعتانِ

لكأننا والأرضُ تُطوى تحتَنا ... نجمان في الظلماءِ منفردانِ

لكأننا والريحُ دونَ مسارنا ... خطان في الأقدارِ منطلقان

إني التفتُّ إلى مكانك بعدما ... خليتهِ فبكيتُ سوء مكاني

هل كان ذاك القربُ إلاَّ لوعةً ... ونداء مسغبةٍ إلى حرمان

حُمَّى مقدرة على الإنسان ... تبقى بقاءَ الأرض في الدورانِ

و كأنما هذي الحياة بناسها ... وضجيجها ضربٌ من الهذيانِ

(٦) لقاء في الليل

كان اللقاء في ظلمات القاهرة الحالكة أيام الغارات وقد تم هذا اللقاء تحت الفزع والظلمة والخوف

قالت تعالَ فقلت لبيكِ هيهات أعصيْ أمرَ عينيكِ
أنا يا حبيبةُ طائر الأيكِ لم لا أغنيِّ في ذراعيكِ

***

أفديكِ مقبلةً على جزعِ بسطت إليَّ يمينَ مرتجفِ
وبها ارتعاشةُ طائرٍ فزع من قلبها تسرى إلى كتفي

***

شحبت كلون المغرب الباكي وتألقت كالنجم عيناها
فتلفتّتْ كحبيس أشراكِ وحكى اضطراب الموج نهدا ها

***

قلتُ اهدئي لم ثورة الندمِ كفّاكِ ترتجفانِ يا أملي
وأخذتُ أدفئ بردها بفمي لو تنفعنَّ حرارةُ القُبلِ

***

وجذبتُها بذراعِها نمشي نمشي و ما ندري لنا غرضا
إلفان قد فرَّا من العشَّ يتبادلان سعادةً ورضَا

***

يا لحظةً ما كان أسعدها وهناءةً ما كان أعظمها
مر الغريبُ فباعدتْ يدها وخلا الطريقُ فقربتْ فمها

***

مرت بنا سيارة ومضتْ فضاحة خطافة النورِ
كشفت لعينيْنا و قد ومضت ظلين مقتبعين في السورِ

***

ضحكت لظلينا وقد عجبتْ | مما يخال فؤادُ مذعورِ
وكأن ضحكتها وقد طربت | قطرات ماء فوق بلورِ

***

عوذتُها من شر أمسيةٍ | تعيابها وتضل أبصار
وكواكب ليست بمجدية | ظُلمٌ مكدسة وأحجارُ

***

عثرتْ بها فرفعتُها بيدي | جسماً يكاد يشف في الظلمِ
ويرفُّ مثل الزهر وهو ندي | ويخفُّ مثل عرائس الحلم

***

وكأنني مما يسوء خلي | وحياتيَ انجابت حوالكُها
أرمي الطريق بناظري رجُلِ | وأنا لها طفلٌ أضاحكُها

***

ملّكتها الدنيا بما وسعتْ | وأنا أهامسها بأسراري
وأُسرُّها بحكاية وقعتْ | ورواية من نسج أفكاري

***

وإذا الطريق يسير منعطفا | وإذا رياح تضرب السدفا
وكأن منها منذرا هتفا | بلغ المسير نهاية، فقِفا

***

يا توأما من صدري انتزعا | يا من دعا قلبي له فسعى
لم أيها الداعي هواك دعا | والدهر يأبي أن نظل معَا

***

انظر ذراعيَّ اللذين هما | قد طوقاك مخافة البينِ
أقسم بأنك عائدٌ لهما | إني لممدودُ الذراعينِ

(٧) ختام الليالي

الليالي! يا ما أمرّ الليالي … غيبتْ وجهك الجميل الحبيبا

أنت قاسٍ معذّبٌ ليت اني … أستطيع الهجران والتعذيبا

إن حبي إليك بالصفح سبّاقُ … وقلبي إليك مهما أصيبا

***

يا حبيبي كان اللقاءُ غريبا … وافترقنا فبات كل غريبا

غير أني أستنجد الدمعَ لا ألقى … مكان الدموعِ إلا لهيبا

آه لو ترجع الدموعُ لعيني … جفَّ دمعي فلست أبكي حبيبا

الأطلال

«هذه قصة حب عاثر ، التقيا وتحابا في انتهت القصة بأنها هي صارت أطلال جسد ، وصار هو أطلال روح ، وهذه الملحمة تسجل وقائعها كما حدثت».

يـا فـؤادي رحـم اللهُ الـهـوى ... كـان صـــرحًـا مـن خـيـال فـهـوى
اســقـنـي واشـــربْ عـلى أطـلالِـهِ ... وارو عـنـيِّ طـالـمـا الـدمـع روى
كـيـف ذاك الـحـب أمســـى خـبـراً ... وحـديـثـاً مـن أحـاديـث الـجـوى
وبســـاطــاً مــن نـدامـى حـلـم ... هـم تـواروا أبـداً وهـو انـطـوى

***

يا ر يا حاً ليس يهدا عصـــفها ... نضـــب الز يتُ ومصـــباحي انطفا
وأنـا أقـتـات مـن وهـم عـفـا ... وأفي الـعـمـر لـنـاسٍ مـا وفى
كـم تـقـلـبـت عـلى خـنـجـره ... لا الـهـوى مـال ولا الـجـفـنُ غـفـا
وإذا الـقـلـبُ عـلى غـفـرانِـهِ ... كـلّـمـا غـار بـه الـنصـلُ عـفـا

***

يـا غـرامـاً كـان مـنـي في دمـي ... قـدراً كـالـمـوت أو في طـعـمِـهِ
مـا قضـيـنـا سـاعـة في عـرسِـهِ ... وقضـيـنـا الـعـمـر في مـأتـمِـه
مـا انـتـزاعـي دمـعـةً مـن عـيـنِـهِ ... واغـتصـابـي بـسـمـةً مـن فـمِـهِ
ليت شـــعري أين منه مهربي ... أيـن يـمضـي هـاربٌ مـن دمِـه ؟
لســتُ أنســاكِ وقـد نـاديـتـنـي ... بـفـمٍ عـذبِ الـمـنـاداة رقـيـقْ
ويـد تـمـتـد نـحـوي كـيـدٍ ... مـن خـلال الـموجِ مُـدّتْ لـغـريـقْ

آه يـا قِـبـلـة أقـدامـي إذا　　شـكتِ الأقدامُ أشـواكَ الطريقْ
وبـريـقـاً يـظـمـأ الســاري لَـهُ　　أيـن في عـيـنـيـك ذيَّـاك الـبـريـقْ ؟

***

لســتُ أنســاكِ وقـد أغـريـتـنـي　　بالذرى الشم فأدمنتُ الطموح
أنـت روح في ســمـائـي وأنـا　　لـك أعـلـو فـكـأني مـحـضُ روح
يـا لـهـا مـن قـمـم كـنّـا بهـا　　نـتـلاقـى وبسـرّيـنـا نـبـوحْ
نستشـف الغيبَ من أبراجها　　ونرى الناسَ ظلالًا في السفوح

***

أنـتِ حسـن في ضـحـاه لم يَـزَلْ　　وأنـا عـنـديَ أحـزان الـطَـفَـل
وبـقـايـا الـظـل مـن ركـب رحـلْ　　وخـيـوطُ الـنـور مـن نـجـمٍ أفـلْ
ألـمـح الـدنـيـا بـعـيـنـي سـئـم　　وأرى حـولي أشـبـاحَ الـمـلـلْ
راقصـات فـوق أشـلاء الـهـوى　　مـعـولاتٍ فـوق أجـداثِ الأمـلْ

***

ذهـب الـعـمـرُ هـبـاء فـاذهـبـي　　لم يـكـن وعـدُك إلا شـبـحـا
صـفـحـةٌ قـد ذهـب الـدهـرُ بهـا　　أثـبـت الـحـب عـلـيـهـا ومـحـا
انظري ضِـحكي ورقصـي فرحا　　وأنـا أحمـل قـلـبـاً ذُبِـحَـا
ويـراني الـنَّـاسُ روحًـا طـائـراً　　والجوى يطحنني طحن الرحى

***

كـنـت تـمـثـال خـيـالي فـهـوى　　الـمـقـاديـر أرادت لا يـدي

ويحها لم تدر ماذا حطمت حطمت تاجي وهدت معبدي
يا حياة اليائس المنفرد يا يباباً ما به من أحد
يا قفاراً لافحاتٍ ما بها من نجيٍّ يا سكون الأبد

***

أين من عيني حبيبٌ ساحرٌ فيه نبلٌ وجلالٌ وحياءْ
واثقُ الخطوةِ يمشي ملكاً ظالمُ الحسن شهيُّ الكبرياء
عبق السحر كأنفاس الرُّبى ساهم الطرف كأحلام المساء
مشرق الطلعة في منطقه لغة النور وتعبير السماء

***

أين مني مجلسٌ أنت به فتنة تمت سناءً وسنى
وأنا حبٌ وقلبٌ ودمٌ وفراشٌ حائرٌ منك دنا
ومن الشوق رسول بيننا ونديم قدم الكأس لنا
وسقانا فانتفضنا لحظة لغبار آدمي مسنا

***

قد عرفنا صولة الجسم التي تحكم الحيَّ وتطغي في دماه
وسمعنا صرخة في رعدها سوطُ جلادٍ وتعذيب إله
أمرتنا فعصينا أمرها وأبينا الذلّ أن يغشى الجباه
حكم الطاغي فكنا في العصاة وطردنا خلفَ أسوارِ الحياهْ

***

يا لمنفيين ضلا في الوعور   دميا بالشوك فيها والصخور

كلما تقسو الليالي عرفا   روعة الآلام في المنفى الطهور

طردا من ذلك الحلم الكبير   للحظوظِ السود والليل الضرير

يقبسان النور من روحيهما   كلما قد ضنت الدنيا بنور

***

أنت قد صيَّرت أمري عجبا   كثرت حولي أطيار الرُّبى

فإذا قلت لقلبي ساعة   قم نغرَّد لسوى ليلى أبى

حجبٌ تأبى لعيني مأربا   غير عينيك ولا مطلبا

أنت من أسدلها لا تدّعي   أنني أسدلت هذي الحُجُبا

***

ولكم صاح بي اليأس انتزعها   فيرد القدر الساخر : دعها

يا لها من خطة عمياء لو   أنني أبصر شيئاً لم أطعها

وليَ الويل إذا لبيتُها   ولي الويلُ إذا لم أتبعها

قد حنت رأسي ولو كل القوى   تشتري عزة نفسي لم أبعها

***

يا حبيباً زرت يوماً أيكَهُ   طائر الشوق أغنيْ ألمي

لك إبطاءُ الدلالِ المنعمِ   وتجني القادر المحتكمِ

وحنيني لك يكوي أعظمي   والثواني جمرات في دمي

وأنا مرتقب في موضعي   مرهفُ السمعِ لوقع القدم

***

قدم تخطو وقلبي مشُبهٌ — موجة تخطو إلى شاطئها

أيها الظالم : بالله إلى كم — أسفح الدمع على موطئها

رحمةٌ أنت فهل من رحمة — لغريب الروح أو ظامئها

يا شفاء الروح روحي تشتكي — ظلمَ آسيها إلى بارئها

***

أعطني حريتي أطلق يديّ — إنني أعطيتُ ما استبقيتُ شيّ

آه من قيدك أدمى معصمي — لم أبقيه وما أبقى عليّ ؟

ما احتفاظي بعهود لم تصنها — وإلام الأسر والدنيا لديّ

ها أنا جفت دموعي فاعفُ عنها — إنها قبلك لم تبذل لحي

***

وهب الطائر عن عشك طارا — جفت الغدران والثلجُ أغارا

هذه الدنيا قلوبٌ جَمدت — خبتِ الشعلةُ والجمر توارى

وإذا ما قبس القلب غدا — من رماد لا تسلْهُ كيف صارا

لا تسل واذكر عذاب المصطلي — وهو يذكيه فلا يقبس نارا

لا رعى الله مساء قاسياً — قد أراني كلّ أحلامي سدى

وأراني قلبَ من أعبده — ساخراً من مدمعي سخر العدا

ليت شعري أي أحداث جرت — أنزلت روحك سجناً موصدا!

صدئت روحك في غيهبها — وكذا الأرواح يعلوها الصدا

***

قد رأيت الكون قبراً ضيقاً خيّم اليأسُ عليه والسكوت
ورأت عيني أكاذيب الهوى واهياتٍ كخيوطِ العنكبوت
كنت ترثي لي وتدري ألمي لو رثى للدمع تمثال صموت
عند أقدامك دنيا تنتهي وعلى بابك آمالٌ تموت

***

كنت تدعوني طفلا كلما ثار حبي وتندت مقلي
ولك الحق لقد عاش الهوى فيّ طفلا ونما لم يعقلِ
ورأى الطعنة إذ صوبتها فمشت مجنونة للمقتل
رمت الطفلَ فأدمت قلبهُ وأصابت كبرياء الرجل

***

قلت للنفس وقد جزنا الوصيدا عجلي لا ينفع الحزم وئيدا
ودعي الهيكل شبت نارُه تأكل الركّعَ فيه والسجودا
يتمنى لي وفائي عودةً والهوى المجروح يأبى أن نعودا
لي نحو اللهب الذاكي به لفتة العود إذا صار وقودا

***

لست أنسى أبداً ساعة في العمرِ
تحت ريحٍ صفقتْ لارتقاصِ المطرِ
نوّحتْ للذكر وشكت للقمرِ
وإذاما طربت عربدت في الشّجر

هاك ما قد صبت الريح بأذن الشاعر
وهي تغري القلب إغراء الفصيح الفاجر:
أيها الشاعر تغفو تذكر العهد وتصحو
وإذا ما التام جرحٌ جد بالتذكار جرحُ
فتعلم كيف تنسى وتعلم كيف تمحو
أو كل الحب في رأيك غفرانٌ وصفح ؟

***

هاك فانظر عدد الرمل قلوباً ونساء
فتخير ما تشاء ذهب العمر هباء
ضل في الأرض الذي ينشد أبناء السماء
أي روحانية تعصر من طين وماء؟

***

أيها الريح أجل لكنما هي حبي وتعلاتي ويأسي
هي في الغيب لقلبي خلقت أشرقت لي قبل أن تشرق شمسي
وعلى موعدها أطبقت عيني وعلى تذكارها وسدت رأسي
جنت الريح ونادته شياطين الظلام
أختاماً ! كيف يحلو لك في البدء الختام ؟
يا جريحاً أسلم الجرح حبيباً نكأهْ
هو لا يبكي إذا الناعي بهذا نبأه
أيها الجبار هل تصرع من أجل امرأه

***

يا لها من صيحة ما بعثت   عنده غير أليم الذكر

أرقت في جنبه فاستيقظت   كبقايا خنجر منكسر

لمع النهر وناداه له   فمضى منحدرا للنهر

ناضب الزاد وما من سفر   دون زاد غير هذا السفر

***

يا حبيبي كل شيء بقضاء   ما بأيدينا خلقنا تعساء

ربما تجمعنا أقدارنا   ذات يوم بعدما عزّ اللقاء

فإذا أنكر خلٌّ خلَّه   وتلاقينا لقاء الغرباء

ومضى كلٌّ إلى غايته   لا تقل شئنا و قل لي الحظ شاء

***

يا مغني الخلد ضيعت العُمر   في أناشيد تُغنَّى للبشر

ليس في الأحياء من يسمعنا   ما لنا لسنا نغني للحجر

للجمادات التي ليست تعي   والرميمات البوالي في الحفر

غنها سوف تراها انتفضت   ترحم الشادي وتبكي للوتر

***

يا نداء كلما أرسلته   رد مقهوراً وبالحظ ارتطم

وهتافاً من أغاريد المنى   عاد لي وهو نواحٌ وندم

رب تمثال جمال وسنا   لاح لي والعيش شجو وظلم

ارتمى اللحن عليه جاثياً   ليس يدري أنه حُسنٌ أصم

***

هدأ الليل ولا قلب له　　أيها الساهر يدري حيرتكْ

أيها الشاعر خذ قيثارتك　　غنّ أشجانك واسكب دمعتك

رب لحن رقص النجم له　　وغزا السُّحبَ وبالنجم فتك

غنّهِ حتى ترى سترَ الدجى　　طلع الفجرُ عليه فانهتك

***

وإذا ما زهرات ذُعِرتْ　　ورأيت الرعب يغشى قلبها

فترفق واتئد واعزف لها　　من رقيق اللحن وامسح رعبها

ربما نامت على مهد الأسى　　وبكت مستصرخات ربها

أيها الشاعر كم من زهرة　　عوقبت لم تدر يوماً ذنبها

ذات مساء

وانتحينا معًا مكانًا قصيًّا ... نتهادى الحديث أخذًا وردا

سألتني مللتَنا أم تبدلت سوانا ... هوىً عنيفًا ووَجْدَا

قلت هيهات ! كم لعينيكِ عندي ... من جميل كم بات يهدي ويُسدَى

أنا ما عشت أدفع الدْينَ شوقًا ... وحنينًا إلى حماك وسهدا

وقصيدا مجلجلًا كلُّ بيتٍ ... خلفه ألف عاصفٍ ليس يهدا

ذاك عهدي لكنَّ قلبك لم يقض ... ديون الهوى ولم يرع عهدا

والوعودُ التي وعدتِ فؤادي ... لا أراني أعيش حتى تُؤدَّى

رواية

نزل الستارُ ففيمَ تنتظرُ   خلت الحياةُ وأقفر العمرُ

لم يبقَ إلا مقفر تعس   تعوى الذائبُ به وتأتمرُ

هو مسرحٌ وانفضَّ ملعبُهُ   لم يبقَ لا عينٌ ولا أثرُ

ورواية رويت وموجزها   صحبٌ مضوا وأحبّةٌ هجروا

عبروا بها صوراً فمذ عبروا   ضحك الزمانُ وقهقه القدر

يأس على كأس

(١)

أصبحتُ من يأسي لو أن الردى ... يهتف بي، صحت به هيَّا

هيا فما في الأرض لي مطمح ... ولا أرى لي بعدها شيَا

ماذا بقائي ها هنا بعدما ... نفضتُ منه الْيَوْمَ كفيَا

أهربُ من يأسي لكأسي التي ... أدفنُ فيها أملي الحيَّا

يا أيها الهارب من جنتي ... تعال أو هاتِ جناحيَا

نبكي شبابنا ونبكي المنى ... وترتمي بين ذراعيَا

***

(٢)

إنّي على يأسي وكأسي كابي ... وعلى سرابي عاكف وشرابي

ولقد فرغتُ من التعلل بالمنى ... إلا وميضًا في الرماد الخابي

رمقًا يعللني بأنّك عائدٌ ... يومًا لقلبي قبل يوم ذهابي

حتى اذا الأقدار شئن وعدتَ لي ... راجعتُ نفسي واتهمت صوابي

أأرى شروقَك في أفولِ مغاربي ... وأشمُّ عطرَك في ذبولِ شبابي!

***

(٣)

هات اسقني واشربْ على سر الأسى ... وعلى بقايا مهجة وشجاها

مهلا نديمي! كيف ينسى حبها ... مَنْ ينشدُ السلوى على ذكراها

ما زلت تسقيني لتنسيني الهوى ... حتى نسيتْ، فما ذكرتُ سواها

كانت لنا كأسٌ وكانت قصةٌ — هذا الحباب أعادها ورواها

الآن غشَّاها الضبابُ وها أنا — خلفَ المآسي والدموعِ أراها

غال الزمانُ ضبابَها وحبابَها — وتبخرتْ أحلامُها ورؤاها

***

لا تبكِها ذهبْت ومات هواها — في القلبِ متسعٌ غدا لسواها

أحببتُها وطويتُ صفحتها وكم — قرأ الحبيبُ صحيفةً وطواها

تلك الوليدة لم تطل بشراها — لمّا تكد تطأ الثرى قدماها

زفَّ الصباحُ إلى الرمال نداءَها — وسرى النسيمُ عشيةً فنعاها

عاصفة روح

الزورق يغرق والملاح يستصرخ

أَيْـــنَ شَـــطُّ الـــرَّجَـــاءْ   يَـــا عُـــبَـــابَ الـــهُـــمُـــومْ
لَـــيْـــلَـــتِـــي أَنْـــوَاءْ   وَنَـــهَـــارِي غُـــيُـــومْ

***

أَعْـــوِلِـــي يَـــا جِـــرَاحْ   أَسْـــمِـــعِـــي الـــدَّيَّـــانْ
لا يَـــهُـــمُّ الـــرِّيَـــاحْ   زَوْرَقٌ غَضْـــبَـــانْ

***

الـــبِـــلَـــى وَالـــشُّـــقُـــوبْ   فِـــي صَـــمِـــيـــمِ الشِّـــرَاعْ
وَالضَّـــنَـــى وَالشُّـــحُـــوبْ   وَخَـــيَـــالُ الـــوَدَاعْ

***

اسْـــخَـــرِي يَـــا حَـــيَـــاهْ   قَـــهْـــقِـــهِـــي يَـــا رُعُـــودْ
الصِّـــبَـــا لَـــنْ أَرَاهْ   وَالْـــهَـــوَى لَـــنْ يَـــعُـــودْ

***

الأَمَـــانِـــي غُـــرُورْ   فِـــي فَـــمِ الـــبُـــرْكَـــانْ
وَالـــدُّجَـــى مَـــخْـــمُـــورْ   وَالـــرَّدَى سَـــكْـــرَانْ

***

رَاحَـــتِ الأَيَّـــامْ   بِـــابْـــتِـــسَـــامِ الـــثُّـــغُـــورْ
وَتَـــوَلَّـــى الـــظَّـــلامْ   فِـــي عِـــنَـــاقِ الصُّـــخُـــورْ

***

كَــانَ رُؤْيَــا مَــنَــامْ   طُــيْــفُــكِ الْــمَسْــحُــورْ
يَــا ضِــفَــافِ السَّــلامْ   تَــحْــتَ عَــرْشِ الــنُّــورْ

***

اطْــحَــنِــي يَــا سِــنِــيــنْ   مَــزِّقِــي يَــا حِــرَابْ
كُــلُّ بَــرْقٍ يَــبِــيــنْ   وَمْضُــــهُ كَــــذَّابْ

***

اسْــخَــرِي يَــا حَــيَــاهْ   قَــهْــقِــهِــي يَــا غُــيُــوبْ
الصِّــبَــا لَــنْ أَرَاهْ   وَالْــهَــوَى لَــنْ يَــؤُوبْ

كبرياء

(١)

نـداؤك يـا فـؤادَ كـفـى نـداءَ أما تـنـفـك تسـقـيـنـي الشـقـاءَ
أنـا ظـمـآن لم يـلـمـعْ سـرابٌ عـلى الصـحـراءِ إلا خـلـتُ مـاءَ
وأنـت فـراشُ لـيـلٍ كـل نـور تـبـعـت وكـلَّ بـرق قـد أضـاءَ
فـؤاديْ قـل لـهـا لـمـا افـتـرقـنـا على شـجن، وما نرجو اللقاءَ
حبيتكِ، ما شـدوت (إليك) شـعراً ولـكـنـي اعـتصـرتُ لـكِ الـدماءَ
إذا أنـا في هـواك أضـعـت روحـي فلسـت أضـيعُ فيك دمي هباءَ
غـرامُـكِ كـان مـحـراب الـمصـلى كـأني قـد بـلـغـتُ بـكِ السـماءَ
خـلـعـتُ الآدمـيـةَ فـيـه عـنـي ولـكـن مـا خـلـعـت بـه الإبـاءَ
فـلـم أركـعْ بسـاحـتـه ريـاءَ ولا كـالـعـبـد ذلاًّ وانـحـنـاءَ
ولـكـنـي حـبـبْـتُـكِ حـبَّ حـرٍّ يـمـوتُ مـتـى أراد وكـيـف شـاءَ

(٢)

وحـبـيـب كـان دنـيـا أمـلي حبُّه المحرابُ والكعبةُ بيتُهْ
مـن مشـى يـومـاً عـلى الـوردِ لـه فطريقي كان شوكا ومشيتُهْ
مـن سـقـى يـومـاً بـمـاءٍ ظـامـئـاً فـأنـا مـن قـدحِ الـعـمـرِ سـقـيـتُـهْ
خـفـق الـقـلـبُ لـه مـخـتـلـجـاً خفقةُ المصباحِ إذ ينضبُ زيتُهْ
قـد سـلاني فـتـنـكـرتُ لـهُ وطوى صفحةَ حبي فطويتُهْ

(٣)

أقبلتُ للنيلِ المباركِ شاكياً زمـنـي وقـد كـثـرتْ عـليَّ هـمـومـي

ومسحتُ كفيْ والجبينَ بمائهِ — علّي أهدئ ثورةَ المحمومِ

وجلستُ أنثرُ جعبةً معمورةً — بالذكرياتِ جديدِها وقديم

لهفي لحب مات غيرَ مدنسٍ — وشباب عمر مرَّ غيرَ ذميمِ

خان الأحبةُ والرفاقُ ولم أخنْ — عهدي لهم وصفحتُ صفحَ كريمِ

أيخيفُني العشبُ الضعيفُ أنا الذي — أسلمت للشوكِ الممضِّ أديمي

وإذا ونى قلبي يدق مكانه — شممي وتخفقُ كبرياءُ همومي

إني لأحمل جعبتي متحديا — زمني بها وحواسدي وخصومي

أحني لعرش الله رأساً ما انحنى — بالذل يوماً في رحابِ عظيمِ

اذكري

اذكري ذاك المساءَ   كيف كنا سعداءَ

لم يدعْ عنديَ همّاً   ومحا عنك الشقاءَ

ملأ الدنيا صفاءَ   عندما شئتِ وشاءَ

أحسن الدهرُ إليْنا   بعدما كان أساءَ

كلما أقبلت السحبُ   فظلَّلن السماءَ

قاتمات غائمات   يتهادينَ بطاءَ

لاح نجمٌ من بعيد   فتجلَّى وأضاءَ

وتصدّى قمرٌ راح   على الأرضِ وجاءَ

رسائل محترقة

ذوت الصبابةُ وانطوتْ وفرغتُ من آلامها
لكنني ألقَى المنايا من بقايا جامها
عادت إليَّ الذكرياتُ بحشدها وزحامها
في ليلة ليلاء أرقني عصيب ظلامها
هدأت رسائل حبها كالطفل، في أحلامها
فحلفتُ لا رقدتُ ولا ذاقت شهيَّ منامِها
أشعلتُ فيها النار ترعى في عزيز حطامها
تغتال قصة حبنا من بدئها لختامها
أحرقتُها ورميت قلبي في صميم ضرامها
وبكى الرماد الآدمي على رماد غرامِهَا

الغريب

يا قاسيَ البعدِ كيف تبتعدُ إني غريبُ الفؤادِ منفردُ
إن خانني اليوم فيك قلت غداً وأين مني ومن لقاكَ غدُ؟
إن غداً هوَّةٌ لناظرها تكاد فيها الظنونُ ترتعدُ
أُطلُّ في عمقها أُسائلها أفيك أخفى خياله الأبدُ؟
يا لامسِ الجرحِ ما الذي صنعتْ به شفاهٌ رحيمةٌ ويدُ؟
ملء ضلوعي لظىً وأعجبه أني بهذا اللهيبِ أبتردُ
يا تاركي حيث كان مجلُسنا وحيث غنّاك قلبيَ الغردُ
أرنو إلى الناسِ في جموعهمُ أشقتهمُ الحادثاتُ أم سعِدوا
تفرقوا أم همُ بها احتشدوا وغوَّروا في الوهادِ أم صعدوا؟
إني غريبٌ تعال يا سكني فليس لي في زحامهم أحدُ

بعد الفراق

(١)

أجل أهواكِ أنتِ مُنى حياتي   وأنت أحبُّ من بصري وسمعي
وهل أنساكِ كلا لستُ أنسى   هوى قد كان إلهامي ونبعى
لبستُ من التصبرِ عنكِ درعا   فها أنا تنزعُ الأيامُ درعى
وها أنا لا أداري عنك سرا   عرفتِ محبتي ورأيتِ دمعي
تلاشت قوتي وغدا فؤادي   كأن خفوقَه خلجاتُ نزعِ
أبشِّره فيرقص في ضلوعي   وأنظرُ سودَ أيامي فأنعي
وقد نضبَ الخيالُ وغاض طبعي   ومات على حياض اليأسِ زرعي
أجرجرُ وحدتي في كل حشدٍ   وأحمل غربتي في كل جمع

(٢)

مزَّقَته فصار والله لا يقدر   حتى أن يسأل اللهَ رفقا
لجةٌ بعد لجةٍ كلما صارع   ردُت له أمانيهِ غرقى
فيلقٌ بعد فيلقٍ حجب الشمس   ولم يبقِ للنواظر أفقَا
وسنانُ الغروب تغزوه حمرا   وسنانُ العذاب تطعن زرقا
وجيوشُ الظلامِ تزحفُ زحفاَ   وثقالُ الأقدامِ تسحقُ سحقا...

المآب

«خرج الشاعر من مصر مريضًا ، ورجع إليها مكسور الساق يحمل عكازين ، فلما أشرفت السفينة على بورسعيد استقبل الشاعر مصر بهذه الأبيات».

هتفتُ وقد بدت مصرٌ لعيني رفاقي تلكَ مصرُ يا رفاقي
أتدفعني وقد هاضتْ جناحي وتجذبني وقد شُدَّتْ وثاقي
خرجتُ من الديارِ أجرُّ همي وعدتُ إلى الديارِ أجرُّ ساقي

في الأوتوجراف

(من ن إلى هـ)

طلبتِ الكتابةَ يا جنتي ... وماذا تريدين أن أكتبا

وما في الجوانح خافٍ عليكِ ... وقلبك يعلم ما غُيِّبَا

سأكتب أنكِ أنتِ الربيعُ ... وأنكِ أنضرُ ما في الرُّبَى

وأنكِ أنت الجمالُ الفريدُ ... و فجرُ الشبابِ و حلمُ الصِّبَا

أهلِّلُ باسمكِ عند الصباحِ ... وأطوي على ذَكركِ المغربَا..

شكوى الزمن

يا ويلتا من عمريَ الباقي … هذا سوادٌ تحت أحداقي

هذا بياضُ الشيب واعجبي … من مغرب في زِي إشراقِ

ويلي على كأسٍ معربدةٍ … وعلى دمٍ في الكأس مهراقِ

وعلى سراب خادعٍ وعلى … متألقِ اللمحاتِ براقِ

طاف الزمان به على نفرٍ … مالوا بهاماتٍ وأعناقِ

صُرعوا وأنت تظنهم سكروا … مات الندامي أيها الساقي

يا دهر لم أشك الكلالَ ولا … ملكتْ خطوبُ الدهر إرهاقي

عذّبتُ أيامي بعِفَّتها … وقتلتها بصفاء أخلاقي

يا كم غرستُ وكم سقيتُ وكم … نضرَّتُ من زهر وأوراقِ

ما حيلتي والأرضُ مجدبةٌ … سيان إقلالي وإغداقي

أين الذين رفعتُ فانحدروا … وبنيتُهم بنيان خلاق

إن الوفاءَ بضاعةٌ كسدَتْ … ومآل صاحبِها لإملاقِ

إن كنتُ لم أغنمْ فقد ظفروا … مني بمغفرتي وإشفاقي

لكنني والجرح يُلهب لي … حسِّي ويكوي كَيَّ إحراقِ

هيهات أنسى أنهم عبثوا … ووفيْتُ لم أعبث بميثاقي

كل الورى

كل الورى يدَّعونَ حبكْ　　　أنا الوحيد الذي أَحَّبكْ

صدرُك فيه اضطرابُ شوقٍ　　　يقرع قرع العبابِ جنبكْ

فكيف تُخلي به مكاني　　　وتُسكنُ الغادريَن قلبكْ

لما اعتنقنا على اشتياقٍ　　　لمستُ بالساعدين خطبكْ

تعالَ لا تعتذر لذنبٍ　　　بقدر حبي غفرتُ ذنبكْ

***

طال على المتعب الطريق　　　بلا حبيب ولا صديق

قد بعد الشاطئ المرجَّى　　　والموجُ لا يرحم الغريق

في واضح النور جنحُ ليل　　　وفي الرحاب الفِساح ضيق

يا أرجوان الغروبِ مهلا　　　ولتتئدْ أيها العقيق

صبغتَ عمري فصرتُ أمشي　　　على دمائي التي أريق..

***

يا مسرحاً والفصولُ تترى　　　عليه مالي بك اغترارْ

فلا بخيرٍ ولا بشرٍّ　　　ولا طوالٌ ولا قصارْ

ما خنتُ عهدي لمن تولى　　　كلا ولا خانني اصطبارْ

أين الليالي التي تسرُ　　　بلا لقاء ولا مزارْ

كم قلتُ ذا مشهد يمرُّ　　　ولم أقلْ إنهُ ستارْ

إن كان للمشجياتِ رسمٌ　　　إني تمثالها المقامْ

بلا دموع ولا شكاةٍ　　　قد جمد الدمعُ والكلامْ

يـا طـالـب الـحـزن في الـمـآقـي لا تـنـشـــد الـدمـع في الـرخـامْ
وخـــذهُ مـــن أخـــرسٍ مـــريـــرٍ مـن شـــفـه دمـعُـهـا ســـجـامْ
فـهـل فـمٌ قـد بـكـى بـكـائي مـن ذا رأى دمـعـةَ ابـتـســامْ

راقصة

عجباً لعارية كساها الفنُّ حُسناً رائعا
سمراء وشتها بنانتُه بياضاً ناصعا
شبه الفرائد قد كُسِين في الغمام براقعا
من أي وديَّان الظباء ملاعبا ومراتعا؟
من عبقرٍ، ومن الألمب،ومن فنونهما معا
تبدين ريان الشديلنا وخصراً جائعا
وتُرينَ كونا يشبه الكونَالرحيبَ الواسعا
متغاير الإبداع مختلفالمحاسن جامعا
لك خفة الطير المحلقطائراً أو واقعا
لك خفة البطل المجلّيمقبلاً أو راجعا
متمهلاً للخصم متئداوحينًا للقّاءِ مُسارعا

الصنم الجميل

يا قلبي الشاكي المعذَّب   هذه الشكوى لِمَا

حان الفرارُ وآن للمسجون   أن يتنسما

حان الحسابُ وآن للموتور   أن يتكلما

يا طفليَ النواح آن   اليوم أن تتعلما

أسفي لغالي الدمع تبذله   لمرتخص الدمى

أفنيته ورجعتَ حتى   من دموعك معدَما

فإذا افتقدتَ الدمع   عزَّ فتبكينّ تبسما

تبكي على العرش المصوغ   من المدامع والدِّما

تبكي على الصنم الجميل   يكادُ أن يتهكما

تبكي تراب الأرض   مصبوغا بألوان السما

الليل في فينيسيا(*)

يـا ربِّ مـا أعـجـبَ هـذي الـبـلاد لا ليل فيها ! كل ليلٍ صـــباحْ
وكـل وجـه في حمـاهـا ضـــمـادْ ومصـــرُ لا تـنـبـتُ إلا الـجـراحْ

(*) قالها الشاعر بعد إصابته في قدمه بحادث سيارة في لندن وهو عائد إلى مصر صيف عام ١٩٣٤م.

شكوك

يا رامي السهم يدري أين موضعه ... مني ويعلم ما داريت من ألمِ
رميتَ في ساحةٍ موسومة بدمٍ ... منقوشةٍ بندوب الحبِّ والندمِ
لا يخدعنَّكَ منها وهي صامتةٌ ... صمت القبور فراغُ الموتِ والعدمِ
فكم شفاه جرا حاتٍ إذا انطبقت ... جرح الإباءِ عليها غير ملتئم
فيم انتقامك من قلب عصفتَ به ... لم يبقَ من موضع فيه لمنتقمِ
وفيم لذعة سخطٍ من جوى برمٍ ... ترمي بجمرته في جوف مضطرم؟

النسيان

حـان الشـــفـاءُ فـودَّع الألـمـا   واســتـقـبـل الأيـامَ مـبـتـســمَـا

ضـــيفٌ من الســـلوان حل بنا   حـدبُ الـيـديـن مـبـاركٌ قـدمـا

أو ما ترى الضـــيفَ الذي قدما   يطوي الغيوبَ ويذرعُ الظُّلَما

في كـفِـهِ كـأسٌ يـقـدمـهـا   تمحو العذابَ وتغســلُ الندما

فـاشـــربْ ولا تـرحـمْ ثـمـالـتَـهـا   لهفي عليك شـــربتَ أي ظما

فـيـضٌ مـن الـنســيـان يـغـمـرني   إني لأحمـد ســـيـلـه الـعـرِمَـا

مســـتســـلـمـاً لـلـمـوج يـغـمـرني   فـرحـان حـيـن أعـانـقُ الـعـدمـا

المساء

يـا غـلـةَ الـمـتـلّـهـفِ الصـــادي   يـا آيـتـي وقصـــيـدتي الـكـبـرى
مــاذا تــركــتِ لــديَّ مــن زادِ   إلا اســـتـعــادة هــذه الــذكــرى

***

يـا لــلـمـســـاء الـعـبـقـريِّ ومـا   أبـقــى عـلى الأيـام في خـلـدي
شـــفـتـاك شـــفَّـا لـوعـةً وظـمـا   وجمـالـك الـجـبـار طـوعُ يـدي

***

نـمشـــي وقـد طـال الـطـريـقُ بـنـا   ونــودُّ لــو نــمشـــي إلى الأبــدِ
ونـود لـو خَـلَـتِ الـحـيـاةُ لـنـا   كـطـريـقـنـا وغـدتْ بـلا أحـدِ

***

نـبـنـي عـلى أنـقـاض مـاضـيـنـا   قصـــراً مــن الأوهـامِ عــمــلاقـا
ونـظـل نـنســج مـن أمـانـيـنـا   وشـــيًـا مـن الأحــلام بـرَّاقَـا

***

وأظــل أســـقـيـهـا وتـمـلأُ لي   من مورد خلف الظنون خفي
حـتـى إذا ســكـرتْ مـن الأمـلِ   وتـرنـحـت مـالـت عـلى كـتـفِـي

***

حـلـفـتْ بـأني مـغـتـدٍ مـعـهـا   حـيـث اغـتـدتْ وهـواي في دمِـهَـا
فـمســحـتُ بـالـقـبـلات أدمـعَـهـا   وطـبـعـتُ مـيـثـاقـي عـلى فـمِـهَـا

عذاب

ألمي محا ذنبي إليك وكفَّرَا   هبني أسأت ألم يحنْ أن تغفرا؟

روحي ممزقةٌ وأنت تركتَها   لمخالب الدنيا وأنيابِ الورى

روحي ممزقةٌ ولو أدركتها   جّمعت من أشلائها ما بعثرا

أو ليس لي في ظل حبك موضع   أحبو إليه وأرتمي مستنصرا؟

ما كنتُ أصبر عن لقائك ساعة   كيف اصطباري عن لقائك أشهرا

من بدّل الثغرَ الجميلَ عبوسة   ومضى إلى وجه السماء فكدرا؟

يا هاته الأقدار! عينك لا ترى   تحت الدجى سأمان ممتنع الكرى

ظمآن، لو باع الأحبةُ قطرةً   بالعمر والدنيا جميعاً لاشتري

أخفَى جراحك واستعزَّ بفتكها   غرِّيدُك الشادي المحلقُ في الذرى

يرنو إليك على البعاد ويعتلي   فيجرّه الجرحُ المميتُ إلى الثرى

قد عاش وهو معذبٌ بإبائه   ولقد يلاقي يومَه مستكبرا

حتام كتماني وطول تجلدي   يا أيها الجاني عليَّ وما درى

ومتى المآب إلى رحابِك مرةً   لأريك جرحي والدِّما والخنجرا

ملحمة السراب

١.السراب في الصحراء

السراب الخؤون والصحراءُ   والحيارى المشردون الظماءُ

وليالٍ في أثرهن ليالٍ   سنة أقفرت وأخرى خلاءُ

قلَّ زادي فيها وشحَّ الماءُ   وتولىَّ الرفاقُ والخلصاءُ

كيف للمنازح الحبيب ارتحالي   وجناحاي السقم والبرحَاءُ

وجراحي الْمُستَنْزَفاتُ الدوامي   وخطاي المقَّيداتُ البطاءُ

أدركي زورقي فقد عبث اليم   به والعواصفُ الهوجاء

والعباب العريض والأفقُ الموحش   واللانهايةُ الخرساء

أفق لا يحدُّ للعين قد ضاق   فأمسى والسجن هذا الفضاء

سهرت ترقب الصباح وعين   النجم كلَّتْ وما بها إغفاء

عجبي من ترقبي ما الذي أرجو   ولمَّا يعدْ لقلبي رجاء ؟!

وأنا مرهف المسامع فيه   لي إلى كل طارقٍ إصغاءُ

***

التقينا كما التقى بعد تطوافٍ على القفر في السُّرى أنضاءُ

قطعوا شوطهم على الدم الشوك وراحوا على اللهيب وجاءوا

في ذراعيَّ أو ذراعيك أمنٌ وسلام ورحمة ونجاء

وعلى صدرك المعذب أو صدري حصنٌ وعصمة واحتماء

كم أناديكِ في التنائي فترتدُّ بلا مغنم لي الأصداءُ

وأناديكِ في دمائي فتنساب على حسرةٍ لدَّى الدماءُ
وأناديك في التداني وما أطمع إلا أن يستجابَ النداءُ
باسمكِ العذب إنه أجمل الأسماء مهما تعددت الأسماءُ
لفظة لا تبين تنطلق الأقدارُ عن قوسها ويرمى القضاء

***

وهى بين الشفاه نايٌ وتغريد وطير وروضة غناءُ
وهى في الطرس قصة تُذكر الأحباب فيها وتُحشد الأنباء
صدفةٌ ثم وقفة فاتفاق فاشتياق فموعد فلقاءُ
فقليل من السعادة لا يكمل فيه ولا يطول الهناءُ
فحنينٌ فلوعةٌ فاحتراقٌ فجحيمٌ وقوده الشهداء
ما بقائي وأجمل العمر ولَّىَ وانتظاري حتى يحين الشتاء؟
يطلع الفجر مرهقاً شاحب النور عليه الكلال والإعياءُ
وبنفسي دب المساء وحلَّ الليل من قبل أن يحين المساءُ

***

زرتني كالربيع في موكب الزهر له روعةٌ وفيه رواء
ولك الوجه أومض الحسنُ فيه والتقى السحرُ عنده والذكاء
وشحوب كظل خمر وللندمان تجلو شحوبها الصهباء
ولك الجيد أتلعا أودع الصانع فيه من قدرة ما يشاءُ
قدَّ من مرمر وشعشعه الفجر بوردٍ وصب فيه الضياء
وأنا الطائر الذي تصطبي نفسي السماوات والذرى الشماء
راشني صائد رماني فأدماني وولى الجاني وعاش الداء
مرحباً بالهوى الكبير فإن يبقَ وإن تسلمي يطب لي البقاء

فهو القمة التي تهزم الموت ... ولا يرتقى إليها الفناء

مر يومي كأمسه مسرحاً ... تعرضُ فيه الحياة والأحياء

آدم كالقديم قلباً وتفكيراً ... ولكن تُبدَّلُ الأزياء

لم يحل طبعه ولا ذاتَ يوم ... لبستْ غير نفسها حواءُ

والنضار المعبود قدسٌ وقربان ... وربٌ والشهرة الجوفاء

والحطام الفاني عليه اقتتال ... والأماني بريقها إغراء

وسفين تمر إثر سفينٍ ... والرياح اللذات والأهواء

والغيوب المحجبات رحاب ... تعبت في رموزها الحكماء

عندها المرفأ المؤمل والشط ... المرَّجى والصخرة الصماء

مر يومي كأمسه وأتى ... ليل بهيج تُزف فيه السماء

قد جلت فيه عرسها، كل نجم ... قدحٌ يستحم فيه الضياء

لم تزل تسكب السلاف وللأقداح ... فيها تجدد وامتلاء

لم تزل حتى هوّم الحان ... نعسان وأغفى البساط والندماء

غير نجم في جانب الليل ... يقظان له روعة بها وجلاء

ذاك نجم الحبيب منِّى له ... الشوق ومنه الوميض والإيماء

كم أغنية بالحنين كما ... غنت على فرع غصنها الورقاء

وذراعاي في انتظارٍ، وصدري ... فيه بالضيف فرحة واحتفاء

ُمو قداً للغريب نار ضلوعي ... فعسى للغريب فيها اهتداء

***

لم خليتني وباعدت مسراك ... ومالي إلى ذراك ارتقاءُ؟

بالذي فيك من سنا لا تدعني ... فيم هذا المطالُ والإبطاءُ ؟

ما تراني وقد ذهبتَ بحظي ... أخطأتني من بعدك النعماء

وانتهى بعدك الجميل فلا فضل لمسد ولا يد بيضاء

ومشى الحسن في ركابك والإحسان طرّاً والغرة السمحاء

حسنات كانت يدا الدهر عندي فانطوت بانطوائك الآلاء

٢.السراب على البحر

لا القوم راحوا بأخبارٍ ولا جاءوا ... ولا لقلبك عن ليلاك أنباءُ
جفا الربيعُ ليالينا وغادرها ... وأقفر الروضُ لا ظل ولا ماءُ
يا شافي الداء قد أودى بي الداءُ ... أما لذا الظمأ القتال إرواءُ
ولا لطائر قلبٍ أن يقرَّ ولا ... لمركب فزع في الشط إرساءُ
عندي سماء شتاءٍ غير ممطرةٍ ... سوداء في جنبات النفسِ جرداءُ
خرساء آونة هوجاء آونة ... وليس تخدع ظني وهي خرساءُ
وكيف تخدعني البيداءُ غافية ... وللسوافي على البيداء إغفاء
أأنتِ ناديتِ أم صوتٌ يخيل لي ... فلي إليكِ بأذن الوهم إصغاءُ
لبيكِ لو عند روحي ما تطير به ... وكيف ينهضُ بالمجروحِ إعياءُ

***

تفرق الناس حول الشط واجتمعوا ... لهم به صخبٌ عالٍ وضوضاءُ
وآخرون كسالى في أماكنِهم ... كأنهمْ في رمال الشط أنضاءُ
هم الورى قبل إفسادِ الزمان لهم ... وقبل أن تتحدّى الحبَّ بغضاءُ
ضاقت نفوسٌ بأحقادٍ ولو سلمت ... فإنها كسماء البحر روحاءُ...
تألقتْ شمسُ ذاك اليوم واضطرمت ... كأنها شعلٌ في الأفْقِ حمراءُ
طابت من الظل، ظل القلب ناحيةٌ ... لنا، وقد صَلِيَتْ بالحرِّ أنحاءُ
مالي بهم، أنت لي الدنيا بأجمعها ... وما وعت ولقلبي منك إغناءُ
لو أنه أبدٌ ما زاد عن سنةٍ ... ومدةُ الحلم بالجفنين إغفاءُ
أرنو إليك وبي خوفٌ يساورني ... وأنثني ولطرفي عنك إغفاءُ
إذا نطقتُ فما بالقول منتفعٌ ... وإن سكتُّ فإن الصمتَ افشاءُ
وأيما لفظة فالريحُ ناقلةٌ ... والشطُّ حاكٍ لها والأفقُ أصداءُ

يا ليل من علّم الأطيارَ قصتنا | وكيف تدري الصَّبا أنا أحِباءُ
لما أفقنا رأينا الشمسَ مائلةً | إلى المغيب وما للبين إرجاءُ
شابت ذوائبُ، وانحلت غدائرُها | شهباء في ساعة التوديع صفراءُ
مشى لها شفقٌ دامٍ فخضّبها | كأنه في ذيولِ الشعرِ حِناءُ

***

يا من تنفس حر الوجد في عنقي | كما تنفسُ في الأقداح صهباءُ
ومن تنفستُ حر الوجد في فمه | فما ارتوُيت وهذا الري إظماءُ
ما أنت عن خاطري بالبعد مبتعد | ولن تواريك عن عينيّ ظلماءُ..

٣.السراب في السجن

يا سجين الحياة أين الفرارُ؟   أوصد الليلُ بابه والنهارُ

فلمنْ لفتةٌ وفيم ارتقابٌ   ليس بعد الذي انتظرتَ انتظارُ

والتعلات من هوى وشباب   قصةٌ مسدلٌ عليها الستارُ

ما الذي يبتغي العليلُ المسجَّى   قد تولى العوادُ والسمارُ

طال ليلُ الغريب، وامتنع الغمض   وفي المضجع الغضا والنارُ

***

وَهب السجنُ بابه صار حرا   لكَ لا حائل ولا أسوارُ

وعفا القيدُ عنك كفاً وساقاً   فإذا الأرض كلها لك دارُ

أين أين الرحيل والتسيار؟   بعدت شقة وشط مزار

والخطى المثقلاتُ باليأس أغلالٌ   لساقيك، والمشيبُ عثارُ

ما انتفاع الفتى إذا عَفَتْ الجنة   واجتاح دوحَها الأعصارُ

عشتُ حتى أرى خمائلَ حبي   تتهاوي كشامخ ينهارُ

تحت عيني ويذبل الحسنُ فيها   ويموتُ الربيعُ والأنوارُ؟

ما انتفاع الفتى بموحش عيشٍ   بقيَتْ كأسُه وطاح العقارُ

وبقاء البساط بعد الندامي   كأس سم بها يدور البوارُ

ما انتفاعي وتلك قافلةُ العيش   وفي ركبِهَا اللظى والدمارُ

الدمار الرهيبُ والعدمُ الشامل   واللفحُ والضنى والأوارُ

يا ديارَ الحبيبِ هل كان حلماً   ملتقى دون موعد يا ديارُ؟

يا عزيز الجَنى عليك سلام   كيف جادتْ بقربك الأقدار

بــورك الـكــرمُ والـقــطـوفُ وأوقــاتٌ كأن العناقَ فيها اعتصـــارُ
كـلـمـا أطـلـقـتْـكَ كـفـي اســـتـرْدتـكَ كـمـا يـحـفـزُ الـغـريـم الـثـارُ

آمال كاذبة

لا البراءُ زار ولا خيالك عادا ... ما أكذب الآمال والميعادا

عجباً لحبك يا بخيلةُ كيف يخلقُ ... من جوانح عابدٍ حُسادا

إني لأهتف حين أفترش المدى ... وأرى الجحيم لجانبيَّ مِهادا

آها على الرأس الجميل سلا وأغفى ... مطمئنا لا يحسُّ سهادا

فُرشتْ له الأحلام واحتفل الهدوء ... يد ومدّ له الجمال وسادا

يا حبها ما أنت ما هذا الذي ... جمع الغريب وألّفَ الأضدادا؟

كم أشرئب إلى سماك بناظري ... مستلهماً بك قوةً وعمادا

ولكَم أبِيتُ على السآمة طاوياً ... في خاطري شبحاً لها عوّادا

فأراك تعبث بي كطفل في السماء ... يصرِّفُ الأقدار كيف أرادا

ولقد أقول هوىً كما بدأ انتهى ... فإذا الهوى وافى النهاية عادا

مات الرجاءُ مع المساءِ، وإنما ... كان المماتُ لحبنا ميلاداً

ماذا صنعت بناظر لا ينثني ... متطلعاً متلفتاً مرتادا؟

وأنا غريبٌ في الزحام كأنني ... آمالُ أجفانٍ حُرمنَ رقادا

ولقد ترى عيني الجموعَ، فما ترى ... دنيا تموج ولا تحس عبادا

فإذا رأيتك كنت أنت الناس ... والأعمار الآباد والآمادا

وأراك كل الزهر كل الروض، أنت ... لديَّ كلُّ خميلةٍ تتهادى

البعث

يــا جمــالًا وجــلالًا يــتــدفــقْ رجع البلبلُ أم عاد الربيعْ
بهـر الـنـورُ عـيـوني، فـتـرفـقْ حين تدنو أنني لا أستطيعْ

***

أيــهــا الــورد الــذي طــاف بــنــا أيـهـا الـطـل الـذي بَـلَّ الـفـمـا
لا أراك الله حــالي وأنــا أطأُ الشــوك ويـغـزوني الـظـمـا

***

يــا أمــانيَّ وحــبــي وخــيــالي لا تُضيْع لحظة، فالعمر ضاعْ
لا أراك الله حــالي، والــلــيــالي كاسفات ليس فيهن شعاعْ

***

قد بلوتُ الويلَ فيها، لا بلوتا وأنــا أبــدأ يــومــي بــالــمســاء
وعرفتُ الضيق ضيق، القلب، حتى لم أجد في الكون ثقباً من رجاء

***

لا وربـي، لـيـس في الـدنـيـا خـتـام حين يغدو البعث نجوى من حبيب
حين يستيقظ قلبٌ من منام والمنادي أنت، والحب مجيبُ

المنصورة

بأي معجزة في الحب نتفقُ ... يا قلب، لا يتلاقى الفجرُ والغسقُ

يا قلب إنَّا لقينا اليومَ معجزةً ... تكادُ في ظلماتِ الليل تأتلقُ

ظللتُ أسأل نفسي، كيف تعشقها ... بقيةٌ من بقايا العمرِ تحترقُ

وافيتُها وفلول النور دامية ... تطفو وترسب أو تعلو فتعتلقُ

لم أدر حين تبدتْ لي أذا شفقي ... أبصرتُه، أو على المنصورة الشفقُ؟

يا من منحتِ الأماني البيض معذرة ... إني بهذي الأماني البيض أختنقُ

أين الهدوء المرجَّى في جوانبها؟ ... إني رجعتُ وليلي كله أرقُ

أقبلتُ أنشد أمنا في هواك بها ... فلم أنلْ، وتولى قلبي الفرقُ

لا بالقلوب ولا الأرواح يا أملي ... إنَّا بشيءٍ وراءَ الروحِ نعتنقُ

ويحي على كفكِ البيضاء إذ بسُطتْ ... عند السلام، وويحي حين تنطبقُ

هل يسمع النيلُ إذ سرنا بجانبهِ ... والموجُ مجتمعٌ فيه ومفترقُ

صوتاً تماوجَ في روحي، فجاوبه ... من جانب القلبِ موجٌ راح يصطفقُ

تظل تنهبُ أُذْني من أطايبه ... كأنها من خفايا الغيبِ تسترقُ

يا جنة من جنان الله أعبدها ... لن تبعدي ولديَّ السحر والعبقُ

وقفة على دار

قفْ يا فؤادُ على المنازل ساعا ... فهنا الشبابُ على الأحبة ضاعا

وهنا أذلَّ إباءَه متكبرٌ ... أمرت عيونٌ قلبَه، فأطاعا

أحسستُ بالداء القديم، فعادني ... جرح أبيت لعهده إرجاعا

ومشى مع الأمل الذهول، كأنما ... طارت بلبي الحادثاتُ شعاعا

كثرت عليَّ متاعبي فمحونني ... ومحون حتى السقم والأوجاعا

يا من هجرتِ، لقد هجرتِ إلى مدى ... فإلى اللقاء، ولا أقولَ وداعا

الراهبة الباكية

يا ربة الحسن الذي تصبو له ... مهجُ العباد وترتجيه جميعا

الحُسْنُ من حق الورى و حملته ... متأبيًا مستخفيًا ممنوعا

في الدير مثواه وفي جنح الدجى ... يتحدر الحسنُ الشهيدُ دموعا

تتحرق الدنيا عليك وربما ... أو قدتِ نفسك في الظلام شموعا

من ن إلى ع

يا شِطر نفسي وغرامي الوحيد ما شئتِ يا ليلاي، لا ما أريد
يا من رأت حزني العميق البعيد داويت جرحي يجرح جديد

***

هتكت عن روحي خفيَّ النقاب فلم يزل يا ليل هذا الحجاب
حتى مشت كفاك فوق العذاب يا ليل إني لشقيٌّ سعيد

***

عمري سرابٌ في بقايا سراب وكل أيامي الماضي اغتراب
فاليوم يا ليلاي طاب المآب في ظلك الرحب الجميل المديد

فليذهب الماضي البعيد السحيق فيه صريعٌ للبلى لا يفيق
في جدث يزداد ضيقا وضيق في كفن ضم الشباب الشهيد

***

ويوم لقياك على سُلَّمِ في جانب مكتئب مُظلمِ
يا عذبة العينين والمبسم وغضة الحسن الشهيّ الفريد

***

في لحظةٍ يقفز فيها دمي وتعقد الدهشةُ فيها فمي
من أي كون جئت؟ لم أعلم يا نفحة من نفحات الخلود

***

هيا، أجل هيا، إلى أينا؟ لحيث نحكي حلم روحينا

لحيث نروي سر قلبينا فإن فرغنا من حديث نعيد

***

أي مكان يهوانا يضيق؟ فامض بنا، إن زحام الطريق

في ظل حبينا رحيب طليق وكل ركن طيب في الوجود

***

من أنت لا أدري ولا من أنا فيا إله الحب؟ ماذا اسمنا

إنا حبيبان، وذا حبنا إنا وليدان وهذا وليد

***

ومجلس قد ضمنا في الزحام رفّ على قلبين فيه السلام

ترمقنا فيه ظنون الأنام ولا تُخلينا عيون الحسود!

***

وحين ودّعتِ خلال الجموعْ مشى على إثرك قلبي الوجيع

مشى به الحب، وكيف الرجوع وفي ضميري هاتفٌ: هل تعود؟

أغنية أنت

أنـتِ إن تـؤمـنـي بـحـبـي كـفـاني   لا غـرامـي ولا جمـالـك فـاني
أجـدب الـهـجـرُ خـاطـري وخـيـالي   وأجـفَّ الـنـوى دمـي ولســاني
فـتـعـالي روِّي الـظـمـا في عـيـوني   واجـنـوني لـقـطـرةٍ مـن حـنـانِ
طـال والله في تـنـائـيـك ذُلِّـي   ووقــوفي عــلى ديــارِ الــهــوانِ
أي روح أحســه أي ســر   في جـنـاحـيـك كـلـمـا ظـلـلاني
أي روح أحسّــهُ أي ســحـر   ســكـبـتْ فيَّ هـاتـه الـعـيـنـان
لـكـأن الـرمـيـم مـا تـبـعـثـان   وكـأن الـنشـور مـا تسـكـابـان
وكـأني مـحـلـقٌ في ســمـاء   ومُـطـلٌ مـنـهـا عـلى الأكـوان
مُســتـعـزٌّ بـمـا مُـنـحـتُ قـويٌّ   أجمـع الـكـون كـلـه في عـنـاني

مصر

أَ جلْ إن ذا يوم لمن يفتدي مصـرَا | فمصـر هي المحرابُ والجنةُ الكبرَى
حلفنا نولِّي وجهَنا شـطرَ حبها | وننفد فيه الصـبرَ والجهدَ والعمرَا
نـبـث بهـا روحَ الـحـيـاةَ قـويـةً | ونقتل فيها الضـنك وا لذل والفقرَا
نحطم أغلالاً ونمحو حوائلا | ونخلق فيها الفكر والعَمَلَ الحُرَّا
أجل إن ماء النيل قد مر طعمه | تنَـاوشـه الـفـتـاك لم يَـدَعـوا شـبـرّا
فدالت به الدنيا ورِيعَتْ حمائم | مغردة تسـتقبل الخيرَ والبُشْـرَى
وحامت على الأفْق الحزين كواسـرٌ | إذا ظفرتْ لا ترحمُ الحُسـنَ والزهرَا
تحط كما حط العُقَاب من الذرى | وتلتهم الأفنانَ وا لزغب والوكرَا
فهلا وقفتم دونها تمنحونَها | أكفا كماء المزن تمطرها خيرَا
سـلامًا شـباب النيل في كل موقفٍ | على الدهر يجني المجدَ أو يجلبُ الفخرَا
تعالوا نُشّـيِّدْ مصـنعًا رُبَّ مصـنعٍ | يدر على صُـنَّاعنا المغنمَ الوفرَا
تعالوا نُشـيدْ ملجأ، رُبَّ ملجأ | يضـم حطامَ البؤس والأوجهَ الصـفرَا
تعالوا لنمحو الجهلَ والعلل التي | أحاطتْ بنا كالسـيل تغمرنا غمرَا
تعالوا فقد حانتْ أمورٌ عظيمةٌ | فلا كان منا غافلٌ يصـم العصـرَا
تعالوا نَقُلْ للصـعب أهلاً فإننا | شـبابٌ أَلِفْنَا الصـعبَ والمطلبَ الوعرَا
شـباب إذا نامت عيونٌ فإننا | بكرْنَا بكور الطير نسـتقبل الفَجرَا
شـباب نزلنا حومةَ المجد كلنا | ومن يغتدي للنصـر ينتزع النصـرَا

حب على الصحراء

أحبكَ ما حييتُ وأنتَ حسبي ... فجرَّبْ أنت قلباً بعد قلبي

ويا أسفاً على صحراءِ عمرٍ ... جفاها بعدكَ المطرُ الملبي

نهاري في لوافحِها سرابٌ ... وليلي من أباطيلٍ وكذبِ

وفي أذنيَّ من شفتيكَ عتبٌ ... إذا أنا ساعةً أضجعتُ جنبي

وتلك قوافلُ الأيامِ تترى ... تمُّر علّي سرباً بعد سربِ

عوابِسُ لا يطل سناك منها ... ولم ألمحْ مطالعُهَ بركب

فإن غفلتْ عيونُ الحظِّ عنا ... وصرتَ ـــ ولم أكن أدري ـــ بقربي

تبيَّنِّي فتلك خيامُ حبيٍّ ... واني موقدٌ لك نار قلبي

القافلة الصغيرة

قافلة صغيرة يقتادها زعيمها وقد أوشكت على الفناء بينما زعيمها يجيل النظر هنا وهناك باحثًا عن واحة أو ظل أو ماء

تعالَ سَلِ القبيلةَ والجمالا   لأيةِ غايةٍ شدوا الرحالا

وكيف تبدلوا أرضاً بأرضٍ   وكيف تغيروا حالا وحالا..

تطلعتِ العيونُ لعل ماءً   يتاحُ على الهواجرِ أو ظلالا

ومدّ الشيخُ في الصحراء لحظاً   كلحظ الصقرِ في الآفاق جالا

كأن بنيه - سقما أو هزالا -   خيال جر هيكلهُ خيالا

***

أقافلة الحياة أريتنيها   فلم ترَ مثلها عيني مثالا

أجل هي نحن في الدنيا حيارى   وما ندري لقافلةٍ مآلا

رأيتُ حياتَنا، كم من غريب   على جنبيه بالإعياء مالا

وكم من سائلٍ لم يلقَ ردا   وقد سأل الهواجرَ والرمالا

فإن تُجب القفارُ عليه يوماً   تردُّ له سوافيها السؤالا

***

أقافلة الحياة أريتنيها   خيالًا أو ضلالًا، أو محالًا

عاصفة

صـــورة لـلـبـحر أم صـــورة نـفسٍ   عـنـد مـا الـنـفس من الـيأس تـثور

قد علا الـموج و قد عز الـتأسِّـــي   لم يـعـد إلا عـبـاب وصـــخـور

***

زلــزل الــبــحــر عــلى راكــبــه   مـثـلـمـا زُلـزل قـلـبٌ ضـــجـر

ســـفــرٌ طــال عــلى طــالــبــه   ركب ضـــنك، والـمـنا يا ســـفر

***

غـرب الـحـظُّ كـمـا مـال الشـــراع   هـكـذا الأعـمـار في الـدنـيـا تـمـيـل

وســـرت في الـجو أشـــباح الـوداع   وتـنــادي كـل شـــيء بـالـرحـيـل

***

أإذا اشـــتـد عـلى الـقـلـب الـبـلاء؟   أإذا جــار عُــبــابٌ وتــنــاهــى ؟

تعصـــفُ الأمواج عصـــفاً بالرجاء   كـيـف نـنســـى أنَّ لـلـكـون إلـهـا؟

عينان

طوى السنين وشق الغيبَ والظلما | برقٌ تألق في عينيك وابتسما
يا ساري البرق من نجمين يومضُ لي | ماذا تخبئُ لي الأقدارُ خلفهما؟
أجئتَ بي عتبات الخلدِ أم شركا | نصبتَ لي من خداع الوهم أم حلما؟
كأنني ناظرٌ بحراً وعاصفةً | وزورقاً بالغد المجهولِ مرتطما
حملتني لسماءٍ قد سريت لها | بالروحِ والفكرِ لم أنقل لها قدما
شفّت سديماً ورقّت في غلائلَها | فكدت أبصر فيها اللوحَ والقلما
رأيت قلبين خطَّ الغيبُ حبَّهما | وكاتباً ببنان النورِ قد رسما
وسحر عينيكِ إني مقسم بهما | لا تسألي القلبَ عن إخلاصه قسما
واهاً لعينيكِ كالنبعِ الجميل صفا | وسال مؤتلق الأمواجِ منسجما
ما أنتما؟ أنتما كأسٌ وإن عذُبت | فيها الحِمامُ ولا عذرٌ لمن سلما
لمّا رمى الحبُّ قلبينا إلى القدرِ | له المشيئةُ لم نسألْ لمن ولما
في لحظةٍ تجمع الآباد حاضرها | وما يجيء وما قد مرَّ منصرما
قد أودعتْ في فؤاد اثنين كل هوىً | في الأرضِ سارتْ به أخبارُها قدما
كلاهما ناظرٌ في عين صاحبهِ | موجاً من الحب والأشواقِ ملتطما
وساحة بتعلاّت الهوى احتربت | فيها صراعٌ وفيها للعناق ظما
يا للغديرين في عينيك إذ لمعا | بالشوق يومضُ خلفَ الماءِ مضطرما
وللنقيضين في كأسين قد جمعا | فالراويان هما والظامئان هما
بأي قوسٍ وسهم صائب ويدٍ | هواك يا أيها الطاغي الجميل رمى

يرمي ويبرئ في آنٍ وأعجبه   أن الذي في يديه البرءُ ما علما

وكيف يبرئني من لست أسأله   برءاً وأوثر فيه السهدَ والسقما

لو أن للموت أسبابا تقربني   إلى رضاك لهان الموتُ مقتحما

إن الليالي التي في العمر منك خلتْ   مرت يبابا وكانت كلها عقما

تلفتَ القلبُ مكروبا لها حسرا   وعض من أسف إبهامه ندما

إيمان

قـدرٌ أراد شـقـاءنـا　　لا أنـتِ شـئـتِ ولا أنـا

عَـزَّ الـتـلاقـي والـحـظـوظ　　السـود حـالـتْ بـيـنـنـا

قـد كـدتُ أكـفـر بـالـهـوى　　لـو لم أكـن بـك مـؤمـنـا

إليها

أيـهـا الـمـاضـــي الـذي أودعـتـه   حـفـرةً قـد خـيَّـم الـمـوتُ بهـا
أيــهــا الشـــعــر الــذي كـفـنـتـهُ   مقســما لا قلتُ شــعرا بعدها
أيـهـا الـقـلـب الـذي مـزقـتُـه   صــار خا: عهدك يا قلب انتهى
قســمـا مـا مـات مـنـكـم أحـدٌ   إنهـــا رقـــدةُ يـــأسٍ إنهـــا
آه لــو قــام رســـولٌ ضـــارعٌ   أو شـــفيعٌ منكمُ يمضـــي لها
آه مــن يــخــبــرهــا عــن طــائــر   نســـي الأوكــارَ إلا وكــرهــا

بعد الحب

أرى ســـماءي انحدرتْ وانطوتْ   لا تحســبي النجم هوى وحده
فيا نجومَ الليل لا نجم لي   ولا أرى لي أفقًا بعده

أنوار المدينة

ضحكتْ لعينيَّ المصابيحُ التي ... تعلو رؤوسَ الليلِ كالتيجان

ورأيتُ أنوارَ المدينةِ بعدما ... طال المسيرُ وكَلَّتِ القدمان

وحسبتُ أنْ طاب القرارُ لمتعبٍ ... في ظلِّ تحنانٍ وركنِ أمانِ

فإذا المدينة كالضباب تبخرتْ ... وتكشفْ لي عن كذوبِ أماني

قدرٌ جرى لم يجرِ في الحسبانِ ... لا أنتِ ظالمةٌ ولا أنا جاني

خمر الرضا

يا حبيبي اسقني الأمانيَّ واشربْ بُوركتْ خمرةُ الرضا وهي تُسكبْ

بورك الكأسُ والحُبابُ الذي يرقصُ في الكأس والشعاعِ المذَّهبْ

نضبتْ رحمةُ الوجودِ جميعاً وبكَ الرحمة التي ليس تنضبْ

وإذا ضاقت السماءُ بشجوي فالسماءُ التي بعينيكَ أرحبْ

كم تمنيتُ والصدور تجافيني وتزّورُ والوجوه تقطَّبْ

كم تمنيتُ صدرك البرَّ يرتاحُ على خفقهِ الطريدِ المعذبْ

هاتِ وسّدنيَ الحنانَ عليهِ جسدي متعبٌ وروحي متعب

في حفلة تكريم
الدكتور ناجي صاحب الديوان سان جيمس ١٩٣٤

يا صفوةَ الأحباب والخلانِ
عفواً إذا استعصى عليَّ بياني

الشعرُ ليس بمسعفٍ في ساعةٍ
هي فوق آي الحمدِ والشكرانِ

وأنا الذي قضى الحياةَ معبراً
وُمّرجعاً لخوالج الوجدانِ

أقفُ العشيةَ بالرفاق مقصراً
حيران قد عقد الجميل لساني

يا أيها الشعر الذي نطقت به
روحي وفاض كما يشاء جناني

يا سلوتي في الدهرِ يا قيثارتي
ما لي أراكِ حبيسةَ الألحانِ..

أين البيان وأين ما علمتني
أيام تنطلقين دون عنانِ

نجواك في الزمنِ العصيبِ مخدرٌ
نامت عليه يواقظُ الأشجانِ

والناسُ تسأل والهوا جسُ جمةٌ
طبٌّ وشعرٌ كيف يتفقان؟

الشعرُ مرحمةُ النفوسِ وسرُّهُ
هبةُ السماءِ ومنحةُ الديانِ

والطبُّ مرحمةُ الجسومِ ونبعُه
من ذلك الفيض العَليِّ الشانِ

ومن الغمامِ ومن معينٍ خلفَهُ
يجدان إلهاما ويستقيانِ

يا أيها الحب المطهر للقلوبِ
وغاسل الأرجاس والأدرانِ

ما أعظم النجوى الرفيعة كلما
يشدو بها روحان يحترقانِ

أنفا من الدنيا وفي جسديهما ذلُّ السجين وقسوةُ السجانِ
فتطلعا نحو السماءِ وحلّقا صَعدا إلى الآفاق يرتقيان

وتعانقا خلف الغمامِ وأترعا كأسيهما من نشوةٍ وحنانِ
أكتبْ لوجه الفن لا تعدلْ بهِ عرضَ الحياة ولا الحطام الفاني
واستلهمِ الأمَّ الطبيعةَ وحدَها كم في الطبيعة من سري معاني
الشعرُ مملكةٌ وأنت أميرُها ما حاجة الشعراء للتيجانِ
هوميرُ أمَّره الزمان بنفسه وقضت له الأجيال بالسلطانِ
اهبطْ على الأزهار وامسح جفنَها واسكبْ نداكَ لظامئ صديانِ
في كل أيكٍ نفحةٌ وبكلِّ روضٍ طاقةٌ من عاطر الريحانِ
مهما أقل بقيت لديَّ قصيدةٌ في القلبِ لم تنطق بها الشفتانِ

الخريف

يا حبيبي غيمةٌ في خاطري   وجفوني، وعلى الأفق سحابهْ
غفر اللهُ لها ما صنعت   كلما شاكيتها تندى كآبهْ
صرخ القفرُ لها منتحِباً   وبكى مستعطفاً مما أصابهْ
فأصمّ الغيثُ عنهُ أذنَهُ   ما على الأيام لو كان أجابهْ؟

***

كثر الهجرُ على القلب فهل   من سلوٍّ أو بعادٍ يرتضيهِ
أنت فجرٌ من جمال وصِبا   كل فجر طالعٌ ذكَّرنيهِ
كيف جانبتك أبغي سلوةً   ثم ناجيتك في كل شبيهِ
أيها الساكن عيني ودمي   أين في الدنيا مكان لست فيهِ

***

عندما أزمعَ ركب العُمرِ   رحلةً نحو المغاني الأُخرِ
ظهرت تجلوك كفُّ القدرِ   صورةً أروع ما في الصورِ
تتراءى في الشباب العطرِ   نفحةً تحمل طيبَ السَّحرِ
وقفَ العمرُ لها معتذراً   وثنى الرَّكبُ عنانَ السفرِ

***

عندما أقفرتِ الدُّنيا جميعاً   لُحتَ لي تحمل عمراً وربيعا
إن يكن حلماً تولى مسرعاً   أجمل الأحلام ما ولَّى سريعا
إن يكنْ ما كان دَيْناً يقتضيْ   خلنِّي أدفعه عنك دموعا
قد شريناه عزيزاً غالياً   إن تكن بعتَ فإني لن أبيعا

***

يا ندامى الحب سُـمّار الهوى ... سكبوا لي السهدَ في ذاك الشراب

أرّقوني أجرع السقمَ وبي ... صَفرةُ الكأس وأوهامُ الحباب

كلما تقبل أيام المنى ... تنجلي النعماءُ عن ذاك السراب

وترى أياميَ الحيرى على ... عرسها الضاحك أحزان الضباب

***

لم أقيدك بشيء في الهوى ... أنت من حبي ومن وجدي طليقْ

الهوى الخالص قَيدٌ وحده ... رُبَّ حُرٍّ وهو في قيد وثيقْ

مزّقت كفيك أشواكُ الهوى ... وأنا ضقت بأحجار الطريقْ

كم ظميٍّ بظميٍّ يرتوي ... وغريقٍ مستعينٍ بغريقْ

***

يا ليالي العمر ما سرُّ الليالي ... البطيئات المملات الطوالِ

مسرعات مبطئات ولها ... خفة الموت وأثقال الجبالِ

كاسفات البال عرجاء المنى ... عاثرات الحظ شوهاء الظلالِ

عجباً للعمر يمضي مسرعاً ... لِمَ نا يا بسلحفاة الملال ؟!

***

يا كنار الرَّوض في أيْكِ الهوى ... جفّتِ الروضةُ من بعد النديمْ

حلَّ بالأيك خريفٌ منكرٌ ... وظلال قاتماتٌ وغيومْ

ماتت الروضةُ إلا طائفاً ... من هوى حيّ على الذكرى يقومْ

فإذا أنكر ما حلَّ بها ... فر يبغي سِربْه بين النجومْ

***

شـــاهـت الـدنـيـا وجـوهـاً ورؤىً — وتـولاهـا سـهـومٌ ووجـومْ

يا عذارى الحسـن في ظل الصِّـبا — كل حسـن بعد ليلاي دميمْ

يا نعيم العيش في ظل الرضّـا — آه لو أعرفُ ما طعم النعيمْ

أنـكـرَ الـجـنـةَ قـلـبٌ ضـجـرٌ — أبديُّ النار موصـول الجحيمْ

***

طالما موّهتُ بالضـحك فما — غـيَّـر الـتـمـويـهُ رأيـاً لـك فـيَّـا

كـلـمـا تـنـظـر في عـيـنـي تـرى — سـريَ الغافي ومعناي الخفَّيا

وتـرى في عـمـق روحـي زهـرةً — قد سـقاها الحزنُ دمعاً أبدَّيا

ويـراه الـنـاسُ طَـلاً وتـرى — أنت دمعاً غائماً في مقلتَّيا

***

يا فـؤادي ما تـرى هذا الغـروبْ — مـا تـرى فـيـه انهـيـار الـعُـمـرِ؟

ما ترى فيه غريقاً ذا شـحوبْ — يـنـلاشـى في خضـمِّ الـقـدرِ؟

ما تراها اَّتأدتْ قبل المغيبْ — ور متْ من عرشـها المنحدرِ

لفتةَ الحسـرةِ للشـط القريبْ — قبل أن تسـقط خلف النهرِ...

***

يـا فـؤادي قـاتـل اللهُ الضَّـجـرْ — وعـذابـي بـيـن حـلٍّ وسـفـرْ

مـا تـرى قـنـطـرةً مـن بـعـدهـا — راحـة تـرجـى وبـال يسـتـقـرْ

ذلـك الـجـرح ومـا أفـدحـه — ما عليه لو إلى السـلوى عبرْ

قـد طـواه الـيـوم في بـردتـه — وأتـى الـلـيـلُ عـلـيـه فـانـفـجـرْ

***

مـرَّ يـومـي فـارغـاً مـنـك ومـن أملِ اللُّقيا فما أتعسَ يومي

أنـت يـومـي، وغـدي أنـت، ومـا مـن زمـان مـرّ بـي لم تـكُ همـيِّ

آهِ كم أغدو صـغيراً، حاجتي لـكَ كـالـطـفـل إلى رحمـةِ أمِّ

ولـكـم أكـبـرُ بـالـحـبِّ إلى أن أغتدي مستشـر فاً آفاق نجمِ

***

أي سـرٍّ فيك إني لسـت أدري كل ما فيك من الأسـرار يغري

خطرٌ ينسـابُ من مفتر ثغر فتنة تعصـف من لفتة نحرِ

قدرٌ ينسـجُ من خصـلة شـعر زورقٌ يسـبحُ في موجةِ عطرِ

في عُبابٍ غامض التيَّار يجري واصـلاً ما بين عينيك وعمري

***

ذات لـيـلٍ والـدُّجـى يـغـمـرنـا أترى تذكر إذ جزنا المدينهْ؟

كـلـمـا رُوّعـت مـن نـار شـجٍ حَرَّ ما يصَـلْى تلمسـتَ جبينَهْ

بيدٍ شـفافة مثل الندى الرَّطبِ تـعـيـد الـنـار بـردا وسـكـيـنـه

أيـهـا الآسـي لـنـاري هـذه ما الذي تصـنع بالنار الدفينه؟

***

أخـيـالاً كـان هـذا كـلُّـهُ ذلك الجسـر الذي كنا عليه؟

والمصـابيح التي في جانبيه ذلك النيل وما في شـاطئيه؟

وشـعـاع طـوَّفـت في مـائـه وظـلالٌ رسـبـت في ضـفـتـيـه

وحـبـيـب وادعٌ في سـاعـدي ووعودٌ نلتها من شـفتيه؟

***

رب لحن قص في خاطرنا		قصةَ الحادي الذي غنّى سهادَهْ

وكأن الصمت منه واحةٌ		هيأتْ من عشبِها الرطبِ وسادَهْ

ها أنا عدت إلى حيث التقينا		في مكان رفرفت فيه السعادَهْ

وبه قد رفرف الصمتُ علينا		إنَّ في صمت المحبين عبادَهْ

***

رفرفَ الصمتُ ولكن أقبلتْ		من أقاصي السهلِ أصداءً بعيدَهْ

تتهادى في عبابٍ ساحرٍ		مرسلٍ للشطِّ أمواجاً مديدَهْ

كم نداء خافت مبتعد		تشتهي أذنُ الهوى أن تستعيدَهْ

عاد منساباً إلى أعماقها		هامساً فيها بأصداءٍ جديدَهْ

***

رفرف الصمتُ ولكن ها هنا		كلِّ ما فيك من الحسن يغني

آه كم من وتر نام على		صدر عودٍ نومَ غافٍ مطمئنِ

وبه شتى لحون من أسىً		وحنينٍ وأنينٍ وتمنِّي

رقدَ العاصفُ فيه وانطوتْ		مهجةُ العودِ على صمتٍ مرنّ

***

هذه الدُّنيا هجيرٌ كلُّها		أين في الرَّمضاء ظل من ظلالكْ

ربما تزخر بالحسن وما		في الدمى مهما غلت سر جمالكْ

ربما تزخرُ بالحسن وكم		من ضياء وهو من غيرك حالكْ

لو جرت في خاطري أقصى المنى		لتمنيتُ خيالاً من خيالك

أنا إن ضاقت بي الدنيا أفئْ ... لثوانٍ رحبةٍ قد وسعتنا

إنما الدنيا عُبابٌ ضمنا ... وشطوطٌ من حظوظٍ فرَّقتنا

ولقد أطفو عليه قلقاً ... غارقاً في لحظة قد جمعتْنا

كلما تترى المعاني أجتلي ... خلف معناها لأسرارِك معنى

***

ما الذي صبَّك صبَّاً في الفؤادْ ... ما الذي إن أُقصِه عنيِّ عادْ؟

طاغياً يعصفُ عصفاً بالرَّشادْ ... ظامئاً سيان قرِب وبعادْ

ساهر العينين موصول السهادْ ... ما الذي يجري لهيباً في الرمادْ

ما الذي يخلقنا من عدم ... ما الذي يجري حياةً في الجمادْ

***

كم حبيب بعدَتْ صهباؤه ... وتبقَّتْ نفحةٌ من حببِهْ

في نسيجٍ خالدٍ رغم البلى ... عبث الدهرُ وما يعبث بِهْ

ما الذي في خصلة من شعرهِ ... ما الذي في خطه أو كُتبِهْ؟

ما الذي في أثرٍ خلَّفه ... من أفانين الهوى أو عجبِهْ؟

***

ما الذي في مجلس يألفه ... عقد الحبُّ عليه موعدَهْ؟

ربما يبكي أسى كرسيُّه ... إن نأى عنهُ وتبكي المائدَهْ

ربما نحسبها هشتْ إذا ... عائدٌ هشَّ لها أو عائدَهْ

ربما نحسبها تسألنا ... حين نمضي أفراقٌ لعِدَهْ؟

***

كم أعدَّتْ لك ستراً في الخفاء وتوارت عن عيون الرقباء
كم أعدَّت نفسها وانتظرت واستوتْ موحشةً تحت السماء؟
وهي لو تملكُ كفًّا صافحتْ كفَّك الحلوةَ في كل مساء
وهي لو تملكُ جوداً بذلت كل ما تملك كفٌّ من سخاء

***

رُبَّ كرم مدَّهُ الليلُ لنا فتواثبنا لهُ نبغي اقتطافَهْ
وعلى خيمته أسوده عربيُّ الجود شرقيُّ الضيافَهْ
وجد العرس على بهجته وسناه دون وردٍ فأضافَهْ
ثم وارت يدَه جنيةٌ وطوته كأساطير الخرافَهْ...

***

أرجٌ يعبق في أنحائه حملته نحو عرشينا الرِّياحْ
كل عطر في ثناياه سرىَ كان سرّاً مضمراً فيه فباحْ
يا لها من حقبة كانت على قِصَرٍ فيها كآماد فساحْ
نتمنى كلّما طابتْ لنا أن يظلَّ الليلُ مجهول الصباحْ

***

يا فؤادي العُمر سِفرٌ وانطوى وتَبقتْ صفحةٌ قبل النَّوى
ما الذي يُغريك بالدنيا سوى ذلك الوجه، وذيَّاك الهوى

العائد

أجرْ غربتي أيها العائدُ　　　فقد ملّني الداءُ والعائدُ

أجرْ غربتي فبلادي الهموم　　　وليلٌ بطيء الخطى راكدُ

تقاسمني في نواك الديار　　　وأنتَ لي الوطن الواحدُ

محياك داري ومنك نهاري　　　إذا ضمك الصدرُ والساعدُ

***

أجرْ شفتي من عذاب الظما　　　أما أذن اللهُ أن ترحما!

أتمعن في الهجر حتى ترانا　　　بكينا دما واحترقنا فما؟

ولي رمقٌ صنتُهُ كي أراك　　　فاشفِقْ على رمقي ريثما

إذا طلب الحبُّ برهانَهُ　　　من الموت لبَّيتُ كي تعلما

***

ليالِيّ مرّتْ هباء عقيما　　　فهل تتوالى البواقي سُدى؟

أسائل جرحيَ عمَّنْ جناهُ　　　وأرنو فأستخبُر العودا

فما اطلعوا اليوم بالبشريات　　　ولا علَّلوا بالتلاقي غدا

فلما تنَّكرَ حتى المحبُّ　　　تلفتُّ أسألُ عنك العدا

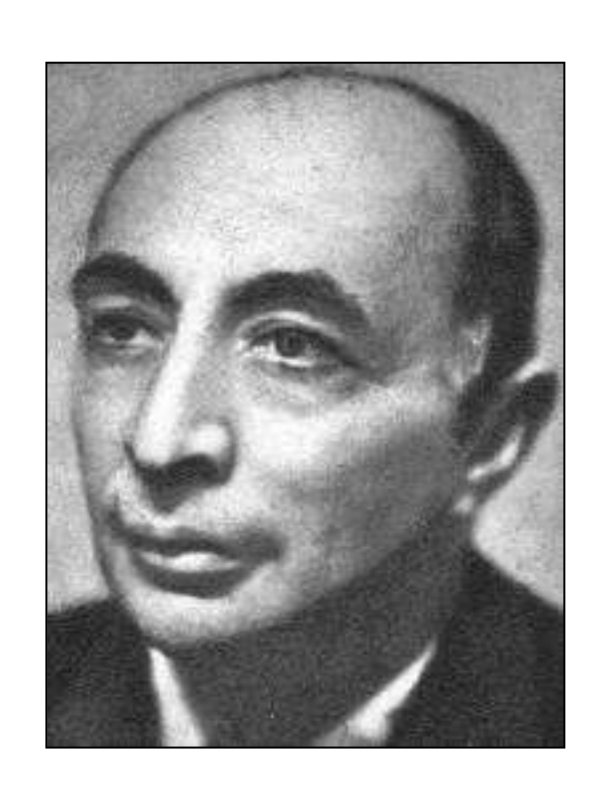
***

سلامٌ على غائب عن عيوني　　　حملتُ حطامي إلى دارهِ

وقلتُ لقلبي تمهَّل بنا　　　وخبِّئ شقاءَك أو دارهِ

تناسَ الأسى ها هنا أو يُقال　　　حملتَ الظلامَ لأنوارهِ

أتغدو إ



المختار من ديوان
الطائر الجريح
(١٩٥٧)

زازا

أنا وحدي في البيدِ حيرانُ هائمْ فمتى تذكرُ القفارُ الغمائمْ

رحمةً يا سماء إن فمي جفّ وحلقي عن المواردِ صائمْ

غاض نبع المُنى ولم يبقَ حتى ومضة الحلم في محاجر نائمْ

أيها الطاعم الكرى ملء جفنيك وجفني من الكرى غيرُ طاعمْ

أَبكني، واستبد بي، واقضِ ما شاء لك الحسنُ فيَّ، واظلِمْ، وخاصمْ

غير هذا النوى فإنَّ لياليهُ ظلالٌ من المنايا حوائمْ

تضمحلُّ الحياةُ فيه وتنهدُّ كأن النهارَ معْولُ هادمْ

لا تكلْني لذلك الأبد الأسود في قاع مُزبدِ اللُّج قاتمْ

لا تكلني لِهُوَّة تعصف الأشباحُ في جوفها وتعوي السمائمْ

لا تكلْني إلى جناحِ عُقابٍ في ضلوعي محَلِّق الرعبِ جاثمْ

لا تكلْني إلى جناحِ عُقابٍ في ضلوعي محَلِّق الرعبِ جاثمْ

لا تكلْني لضائع في حنايا ها غريب في مهمهٍ من طلاسمْ

يسأل الزهرُ والخمائلُ والأنوارُ عن تِربها الضحوك الباسمْ

ذاق ما ذاق في الصبابة إلا ذبحة الروح وانفصال التوائمْ

إن تَعُدْ محسناً إليّ فعُد بي للعهود المقدسات الكرائمْ

وإذا ما رأيتَ عزميَ ينهارُ فثِّبتْ بالذكريات الدعائمْ

جئتني في الخريف والروضُ عارٍ فكسوتَ الرُّبى عذارى البراعمْ

وأجال الربيعُ أخضرَ كفّيهِ ليمحو اصفرارَه المتراكمْ

رحلة للنجوم لم تكُ أوهاماً وبعضُ النعيمِ أوهامُ حالمْ

آه كم ليلة أراجع أيامي أعُدُّ العُلا وأُحصي العظائمْ

وحسبت الخسار فيها فكان الغبنُ عندي زمانيَ المتقادمْ

قبل أن نلتقي فلما تلاقينا ... عرفت الغنى وذقت المغانمْ

حيثما أغتدي فإن الدراري ... ملءُ روحي وفي خيالي بواسمْ

إن أبتْ جائعاً فثمّة زادي ... أو أبتْ معسراً فثمَّ الدراهمْ

وعجيبٌ قد كنت لي حسد الحساد ... فيها وكنت أنت التمائمْ

بالذي صنتُ عهدَه لم أخنْهُ ... ومتى خانتِ الأكفُّ المعاصمْ؟

والذي حكمه كأقدار عينك ... فما منهما ولا منه عاصمْ

أيُّ صوتٍ من الغيوب يناديني ... فأطوي له الدُّنى والمعالمْ

قدر مشعلٌ على شفةٍ تدعو ... فأخطو على اللظى غيرَ نادمْ

وفؤادي يحومُ بالنار لا يحفل ... أني على المنيَّة حائمْ

الهوى مصرعي وكم من حِمامٍ ... كان باباً إلى الخلود الدائمْ

وطريقاً من الأسنّةِ والشوكِ ... روتْ أرضَه الدموعُ السواجمْ

شهد اللهُ ما قضيتُ الليالي ... ناعمَ الجنب فوق مهدٍ ناعمْ

أيُّ جَيشيك مغرقي ليلي الطاغي ... أم الشوق وحدهُ وهو عارم؟

آهِ مِن رُبما ومن أملٍ يُمْسكُ ... نفسي رجاء يومٍ قادم

قد تجيءُ الأنباءُ من شاطئ النيل ... غداً والمبشراتُ النسائمْ

وتكونُ النجاةُ في القمر الساري ... على زورقٍ من النورِ حالمْ

بقايا حلم[٤]

آهِ من وَجْدك بالهاجر آه   تتمنى أن تراه؟ لن تراه
خدعَتْنا مقلتاهُ خدعتْنا   وجنتاه خدعتنا شفتاهْ
والذي من صوته في مسمعي   وخيالي غادرٌ حتى صداهْ
حلم مرَّ كما مر سواه   وكذا الأحلام تمضي والحياهْ

***

أين يا ليلاي عهد الهرم   أين يا ليلاي حلو الكلِم؟
هامسات بين أذني وفمي   ساريات غرداتٍ في دمي
كلمات عذبة معسولة   ضيَّعت وارحمتا للقسمِ
ذهبت مثل ذهاب الحلم   إنني أعلم ما لم تعلمي

***

كيف صدَّقنا أضاليلَ الهوى   بنُهى طفل وإحساس صبي؟
حسبُنا منه سماء لمعتْ   فوق رأسينا وكوخ خشبي
حلم ولّى ووهم لم يدُم   ما تبقّى غير خيط ذهبي
ذات يوم في أصيل فاتن   ذابت الشمسُ فسالت ذهبا

---

(٤) تحتوي قصيدة «بقايا علم» على ٣٨ بيتًا وردت في مطولة «الخريف» التي نشرت في ديوان «ليالي القاهرة» ويبدو أن هذا راجع إلى أن الشاعر أحمد رامي عندما جمع ديوان «الطائر الجريح» الذي صدر عام ١٩٥٧، اعتمد على الأوراق المخطوطة لناجي وبها هذه المسودة للقصيدة.

كست النيلَ نُضاراً وانثنَتْ تغمر الصحراء نخلاً ورُبى

ما على الجيزة أن قد أبصرتْ شفقي معتنقاً فجر الصبا

قد رأتنا مثل طيفَيْ حلمٍ ما عليها أقبلا أم ذهبا!

***

قلتُ هيا! قلتِ نمشي سرْ فما من طريق طال لا نذرعهُ

قلتُ والعمر بعيني كالكرى وأنا في حلم أقطعهُ

جمع الدهرُ حبيباً وامقاً بحبيب وغداً ينزعهُ

أطريقان: طريق دونه في حياتي وطريق معهُ؟

***

كلما خلَّى حبيبي يده لحظة قلت وحبّي أبقِها!

أبقها أنفض بها خوف غدٍ وأحسَّ الأمن منها وبها

أبقها أشددْ بها أزري إذا ضَعُفَ الأزرُ أو العزمُ وهي

أَبْقِها أُومنْ إذا لامَسْتُها أن حبي ليس حُلْماً وانتهى

في ظلال الصمت

ها أنا عُدْتُ إلى حيثُ التقينا   في مكانٍ رفرفت فيه السعادهْ
وبه قد رفرفَ الصمتُ علينا   إنّ في صَمْت الحبيبين عباده
رب لحنٍ قص في خاطرنا   قصةَ الساري الذي غنى سهادهْ
وكأنّ الصمتَ منهُ واحةٌ   هَيّأَتْ من عُشبها الرّطبِ وساده

***

صمتَ السّهلُ ولكن أقبلتْ   من ثنايا السهل أصداءٌ بعيدهْ
كلُّ لحنٍ في هدوءٍ شاملٍ   تشتهي النفسُ به أن تستعيدَهْ
يتهادى في عُبابٍ ساحرٍ   باعِثٍ للشّطِّ أمواجاً مديده
فإذا ما ذهب الليلُ بها   تزخرُ النفسُ بأصداءٍ جديدهْ

***

هدأ الليلُ هنا لكنني   كنتُ في حُسنِكِ بالصّمتِ أُغنّي
كلُّ لحنٍ لَجِبٍ يغشى دمي   لَعِبَ العازف بالعُود المَرنّ
ناقلاً للنّهر والسهل معاً   قصةً يشرحُها عنك وعني
قصة الشاعر والحسنِ إذا استبقا   للخلْدِ في حَوْمة فنّ

***

ما الذي في خصلةٍ راقدةٍ   ما الذي في خطِّه أو كتبِهْ؟
ما الذي في أثرٍ خَلّفَهُ   من أفانينِ الهوى أو عَجَبِه
ما الذي في مجلس يألفه   عقد الحب عليه موعده
ربما يبكي أسىً كرسيُّه   إن نأى عنه وتبكي المائده

ولقد نحسبها هشّتْ إذا ... عائدٌ هَشّ لها أو عائده

ولقد نحسبها تسألنا ... حين نمضي أفراقٌ لعِدَه؟

***

كم أعدّتْ نفسَها وانتظرتْ ... واستوتْ موحشةً تحت السماء

وهي لو تملك كفّاً صافحت ... كفَّكِ الغضّة في كل مساء

***

رُبّ كَرْمٍ مَدّه الليلُ لنا ... فتواثبنا له نَبْغي اقتطافَه

وعلى خيمته حارسه ... عربي الجود شرقي الضيافهْ

وجَد العرس على بهجته ... وسناه دونَ وَرْدٍ فأضافهْ

ثم وارتْهُ غَياباتُ الدّجى ... كخيالٍ من أساطيرِ الخُرافه

***

أرجٌ يعبقُ في جُنحِ الدّجى ... حمَلَته نحو عَرْشيْنا الرياحْ

كلّ عطرٍ في ثناياه سَرَى ... كان سِرّاً مُضْمراً فيه فباح

يا لها من حقبة كانت على ... قِصَرٍ فيها كآماد فساحْ

نتمنى كلما امتدت بنا ... أن يظل الليل مجهول الصباحْ

***

أنا إن ضاقتْ بيَ الدنيا أَفِئْ ... لثوانٍ رحبةٍ قد وَسِعَتْنا

إنما الدنيا عُبابٌ ضمَّنا ... وشطوطٌ من حظوظ فرَّقتنا

ولقد أطْفُو عليه قَلِقاً ... غارقاً في لحْظةٍ قد جمعتنا

ومعاني الحسن تترى وأنا ... ناظرٌ فيها لمعنىً خلف معنى

***

هذه الدنيا هجيرٌ كلُّها أين في الرمضاء ظلٌّ من ظلا لكْ

ربما تزخرُ بالحسن وما في الدُّمى مهما غَلَتْ سحر جمالك

ولقد تزخر بالنور وكم من ضياء وهو من غيرك حا لكْ

لو جَرَتْ في خاطري أقْصى المُنى لتمنّيتُ خيالاً من خيالِك!

***

قلتُ للّيلِ الذي جلّلنا والذي كان على السرّ أمينا

أينَ يا قلبيَ مَنْ قلبي اجتَبى لهواهُ واصطفاهُ لي خدينا؟

لم أكن أطمع أن ترحمني بعد أن قَضَّيْتُ في الوجدِ السنينا

لم أكُنْ أطمعُ أن تُضْمِرَ لي آسياً يُبْرئُ لي الجُرح الدفينا

لم أكن أعلمُ يا ليلَ الأسى أن في جُنْحِكَ لي فجراً جنينا

***

أيها اللائذُ بالصّمتِ كَفَى وأدِرْ وجْهَكَ لي وانظرْ طويلا

لا تمِل واسخرْ من الدنيا إذا شاءت الأيام يوماً أن تميلا

***

ما الذي مكّن في القلب الودادْ ما الذي صبّك صبّاً في الفؤادْ؟

ما الذي ملّك عينيك القيادْ ما الذي يعصف عصفاً بالرشادْ؟

ما الذي إنْ أُقْصِهِ عنِّيَ عاد طاغياً سِيّانِ قرب أو بعاد؟

ما الذي يخلقنا من عدم ما الذي يُجري حياة في الجمادْ؟

***

كم حبيب بَعُدت صهباؤه وتبقت نفحة من حبَبهْ

في نســـيـج خـالـدٍ رغـم الـبـلى   عـبـث الـدّهـرُ ومـا يـعـبـث بـه

***

أين ســلطاني ومجدي والذي   حـبُّـه مـجـدٌ وســلـطـانٌ وعـزَّه؟

أيـن إلـهـامـي ونـوري والـذي   أيقظَ القلبَ إلى البَعْثِ وهَزَّه؟

نأى عني

قـد نـأى عـنـي الـذي يـرحـمُـنـي   والـذي يـفـهـمُ آلامـي وروحـي

والــذي أعــبــد مــنــه غُــرَّةً   كَنَدَى الأز هارِ في الو جه الصـــبيحِ

والــذي أَشْـــتَـــمُّ مـنـه غـاديـاً   عبقَ الأ نداءِ في ا لوادي الصـــدوحِ

آه يـا هـنـدُ جـراحـي كـثُـرَت   فتعاليْ ضــــمدي أ نتِ جرو حي

قصة حب

مرت حياتي دون أمنيةٍ   وتقلّبت مَللا على مللِ
حتى لقيتكِ ذات أمسية   فعرفت فيكِ مطالع الأمل

***

طافت بي الأيامُ واحدة   لم تلقني فرحاً ولا جزعا
وتمرّ فارغة وحاشدة   و قد استوت ضِيْقا و متسعا

***

والعمرُ سارَ كأنه العدمُ   سقمي به عندي كعافيتي
فأذقتني ما لم يذقه فمُ   من أي كأس كنت ساقيتي؟

***

ما هذه الدنيا التي اقتربتْ   فيها المنى والظلُّ والثمرُ؟
تجتاز وامضة فمذ وثَبَتْ   وثَبَ الهوى وتمهَّلَ القدرُ

***

قدماك ما انتقلا على درج   حاشاك بل خطرا على ثبجِ
كسفينة خفّت على اللجج   نشوى بما حملت من الفرَجِ

***

في مظلم متعرج كابٍ   والليل تغزوني جحافلهُ
دقّت يدُ النعمى على بابي   والعيش خابي النجم آفلهُ

***

يـا لـلـمـقـاديـر الـجســام ولي		من ظلمها صـر خات مجنون

بـاكـي الـفـؤاد مشـــرّد الأمـل		وقـف الـزمـان وبـابـه دوني

***

مـزّقـتِ ظـلـمـة كـل ديـجـورِ		وألنت ما قد كان منه عصَــى

وفـتـحـتِ مصـــراعـيـه لـلـنـورِ		ما كنتِ إلا ســا حراً وعصــا

***

ماءٌ ضــر بتُ الصــخر فانبجســا		وجـرى الـغـداةَ زلالـهُ الـعـذبُ

أيـقـول دهـري إن مـا يـبســا		هيهات يرجع عودهُ الرطبُ

***

صــــيّـرت دعـواه لـتـفـنـيـدِ		وحـطَّـمـتـه وهـزمـت حـجّـتـهُ

وأعدتِ ما قد جفّ من عودي		مخضــوضــراً وأقمت صــعدَتهُ

***

يـا مـن رأت طـلـلاً كـتـمـثـالِ		يســتعرض العمرَ الذي مرَّا

وكــأنــه في رســـمِـهِ الـبــالي		نـدم الأســيـف ودمـعـة حـرَّى

***

وردٌ ذوي أو طـائـر صـــمـتـا		الـعـمـر مـثـل الـظـلّ مـنـتـقـلُ

الـنـاس لا يـدرون مـن ومـتـى		والناس إن علموا فقد جهلوا

ما خطبهم في روضــة حالت		أو صــوّحت أفنانها الخضُــل

***

نـزل الـربـيـع بهـا فـنضّـــرهـا وأحـالـهـا بشـــبـابـه لـحـنـا

ومشـــى الشـــتـاءُ لـهـا فـغـبّـرهـا وأحـالـهـا لـفـظـاً بـلا مـعـنـى

***

هـذا حـديـثٌ يشـــبـه السِّـــحـرا هـيـهـات أفـرغ مـن روايـتـهِ

شـــفق المغيب جعلته فجرا وبـدأت عـمـري مـن نهـايـتـهِ

***

إني لـــطـــيـــرٌ حـــائـــر بـــاكِ قد كانتْ الأحزانُ فلســفتي

ذابـــت حـــنـــانـــاً يـــوم لـــقـــيـــاكِ وجرت أغار يداً على شـــفتي

***

يـا مـن طـويـت عـلـيـه جـارحـتـي وســألت عنه الأنجمَ الزّهرا

وضـــربت في الصـــحراء أجنحتي أســـتلهم الكثبانَ والقفرا

***

والـمـاء أنهَـل حـيـثـمـا كـانـا والبرق أتبع حيثما لمعا

فـأرى صـــفـاءَ الـوردِ غـيـمـانـا والمطلقُ المجهولُ ممتنِعا

بقية القصة[٥]

كــلاّ ولا لـــغـــة لـــه إلا		قـد جـال في عـيـنـيـك أو عـيـنـيّـا
أو لفظة جمدت على شــفتيك من		فـزع كـمـا مـاتـت عـلى شــفـتـيّـا
أو حســـرة مـنـي إلـيـك وحســـرة		مـرتـدة مـن نـاظـريـك إلـيّـا

***

لا أنــت نــائــيــةٌ ولا أنــا نــاء		إني لــديـك مُـقَـيَّـدٌ بـوفـائـي
بعض الهوى يُســدي كمَّنةٍ منعم		وجمـيـلُـه دَيْـنٌ رهـيـنُ قضـــاء
ويـقـلُّ عُـمـر الـدهـر تـوفـيـة لـمـا		أَسْــدَيْـتِـه بـجـمـالـك الـوضَّـــاء
عُمر الزمان ِفدىً لســاعةِ مُلتقىً		ســمحتْ بها الأقدارُ ذات مســاء

***

أنتِ التي علَّمتِني معنى الحياة		حـبـيـبـةً ونـجـيَّـةً وصــديـقـا
أنكرتُ معناها بغيرك واســتوتْ		وتشــابهتْ ســعةً عليَّ وضــيقا
وَوَددْتُ لـو غـال الـخـلائـق غـائـلٌ		مُفْنٍ أو اشــتعل الصــباحُ حريقا
وســلمت أنتِ فأنتِ أدناهم إلى		روحـي وأبـعـدهُـم عـليَّ طـريـقـا !

(٥) هذه القصيدة استرسال لقصيدة «قصة حب» في هذا الديوان .

***

لا تسألينى عن غدٍ لا تسألي ... فغداً أعود كما بدأتُ غريبا

هَتكَ الستار مُقنَّعٌ حسناتُه ... يخفين خلف ريائهن الذِّنوبا

كان التلاقي بيننا كفَّارةً ... للدهر عن آثامِه ليتوبا

فلتذهب الحسناتُ غيرَ كريمةٍ ... سأَعُدُّهنَّ على المتاب ذنوبا

***

أرنو وحيدًا للمكانِ الخالي ... كأسي وكأسُك فارغانِ حِيالي

مرَّ المساء مُخَيِّبًا فتساءلا ... وتَلَفَّتا لك في المساء التالي

حتى إذا ملَّا ترقب عائدٍ ... يحيي ويبعثُ ميتَ الآمال

بَكياكِ بالحَببِ الحزين وربما ... بكت الكؤوسُ على النديم السالي!

***

أرنو إلى الصهباء غامَ شعاعُها ... وامتد نحو النفس ظلُّ حبابها

وكأنما روحى هناك حبيسةٌ ... تطفو وتَرْسُبُ في خطوطِ حَبابها

وكأن راهبةٌ هناك سجينة ... مغمورةً بدموعها وعذابها

ظلت تُقيم على الشموع صلاتها ... حتى تلاشى النور في محرْابها

كم ذكرياتٍ في الحياة عزيزة ... مرَّتْ عليَّ فكنتِ أغلاهُنَّ

حتى إذا عفَتِ الصبابةُ وانقضى ... ما بيننا أقبلتُ اسألهنَّ

وسألتُ عنك العمر ماضيه وحاضره ... فكان العُمر أنت وهُنَّ

والله ما غدر الزمانُ وإنما ... هانت عليكِ الذكرياتُ وهُنَّا

***

يـا زهـرة عـذراء تـنشـــر عِـطـرْهـا ... وتُذيعُ في جفنِ الضُّــحى أحلامَها

لاقيتها والريحُ تجمعُ شــملَها ... والسُّــحبُ تجمع بَرْقها وغَمامها

عانقتها ظمآنَ أشـــربُ راحَها ... واســتقطرتْ قلبي لتملأ جامَها

فإذا الرياحُ نزعْنَها عن خافقي ... ضـــمَّتْ على أنفاسِـــه أكمامَها

***

حُلمٌ كما لمع الشـــهابُ توارى ... ســـدلتْ عليه يد الزمان ســتارا

وحبيسُ شـــجْوٍ في دمى أطلقْتُه ... متـدِّفـقـاً ودعَـوتُـهُ أشـــعـارا

ووديعةٌ رَجعتْ فما خطبي إذا ... رُدَّ الـذي كـان الـزمـانُ أعـارا؟!

قد كان قلباً فاســتحال على المدى ... لـحـنـاً تـنـاقـلـهُ الـرواة فســـارا

***

يا حِصْــنَي الغالي فقدتُك وانطوى ... رُكـنـي وأقـفـرَ مَـوْئـلي ومـلاذي

نعطى ونأخُذ في الحديث ومُقلتي ... مســـحـورة بـجـمـالـك الأخـاذ

والدهر يُغريني فأعرضُ لاهياً ... فيظَلَ يفتتُنني بتلكَ وهذى

والدهرُ يَهْزلُ والغرامُ يَجدُّ بي ... ما كنتِ ســـاخرةً ولا أنا هاذي

***

هل كان عهدُك قبل تشــتيت النَّوى ... إلا مخالســـةَ الخيال الطارق؟

إشـــراقةٌ وطغى عليها مَغْرِبٌ ... غيران يَخْطفُها كخطفِ الســـارق

أو لـمـعـةٌ لم تـتـئَّـدْ ذهـبـتْ بهـا ... دَكْـنـاءُ مـدَّتْ كـفـهَّـا مـن حـالـقِ

وكأن ثغرك والنوىَ تَعدْو بنا ... شـــفقٌ يلوحُ على نضـــيدِ زنابقِ

***

شفتاكِ في لُجِّ الخواطر لاحَتا — كالشاطئين وراء لُجٍّ ثائر

لهما إذا التقتا على أغرودةٍ — خرساءَ في ظل الجمالِ الساحر

إسْعادُ ملهوفٍ ونجدةُ غارقٍ — وعناقُ أحبابٍ وعَوْدُ مسافر

وبراءةُ الملك المتُوَّجِ حُسنُه — بجمال رحمانٍ وطيبةِ غافر

صحبَ الحياةَ فآدهُ استصحابُها — ركْبٌ على طُرق الحياة كليلُ

خدعت ضلالاتُ الحياة تبيعَها — والدَّربُ وَعْرٌ والطريقُ طويل

فتلفَّتَ الساري لعَلَّ لعينهِ — يبدو صباحٌ أو يلوحُ دليل

فبدا له نورٌ وأشرق منزلٌ — ألِقٌ ورَّفتْ جنةٌ وخميلُ

***

لك في خيالي روضةٌ فينانةٌ — غنَّى على أغصانها شاديها

يَحْمى مغارسَها ويَرْعَى نبتَها — راع يُجنبَهُا البِلَى ويقيها

فإذا النوى طاَلتْ عليّ وشفنّي — جرحى وعاد لمهجتي يدميها

نَسقَ الخيالُ زهورَها وورودها — فقطفتُها وشممتُ عِطْركَ فيها

***

بعض الهوى فيه الدمارُ وإنما — بعض النفوس على الدّمارِ حِرَاص

فيكونُ فيه القيدُ وهو تحررٌ — ويكون فيه الموتُ وهو خلاص

آمنتُ بالحبِّ القويّ وحتْمِه — ما مِنْ هوايَ ولا هواكِ مناص

إن كان داء فالسقامُ دواؤُه — أو كان ذنباً فالمَتابُ قصاص !

***

أصـــبـحـتُ والـدنـيـا وداعُ أحـبـةٍ ودمـوُع خـلان وحـزُن رفـاق

فســخرتُ من صــر خاتْهم وبكائهم لا دمَـع إلا الـدمُـع في أحـداقـي

لا صــوتَ إلا صــوتُ حبك في دمى أصـــغـى لـه وأراه في أطـواقـي

متدفقاً مثل العُباب و ُمز بداً متفجراً كالسَّــْيل في أعماقي

***

ســـاهرتُ أحلام الظلام وكُلَّها أشـــباحُ هجر أو طيوفُ وداع

مـرّتْ مـواكـبُـه عـلىَّ بـطـيـئـةً وإلى الفناء مشْــَين ِجدَّ سِـــراع

حتى إذا سَـــفكَ الصـــباحُ دماءَهَ وهوى قتيلُ الليلِ بعد صـــراع

أبصـــرتُ في المرآة آخر قصـــتي ونَعى بها نفســـي إلىَّ الناعي

***

يا ربِّ أرســـلتَ الأشَّـــعةَ ها هنا وهنك تُشـــرقُ في الحِمَى والدُّور

ومن الشّـــموس دفينةٌ في خاطري مخبوءةُ الأضـــواء طَيَّ شـــعوري

وأحسُّ في نفســـي نقاءَ ســـمائِها أصْـــَفى ِبرَوْنقِها من البلُّور

يا ربَّ أودعتَ الضّـــحى في مُهجتي وأنا الذي أَشْـــَقى بهذا النور

خاطرة

نـــارٌ مـــن الشـــــوقِ إثـــرَ نـــارْ   فـــــلا هـــــدوءٌ ولا قـــــرارْ
إنــــك لي مـــبـــدأ وَعَـــوْدٌ   مـــنـــك إلى صـــــدرك الـــفِـــرارْ
يـــا مـــرفـــأ الـــروحِ لا تـــدعْـــنـــي   بـــــلا دلـــيـــــلِ ولا مـــنـــــارْ
مـــوجٌ وريـــحٌ وزحـــفُ لـــيـــلِ   فـــمـــــن دمــــارٍ إلى دمـــــارْ
إن أنـــتِ أخـــلـــفـــتِ وعَـــد حـــبّـــي   لم تُـــــؤْوِني في الـــــديــــارِ دارْ
ولـــيـــسَ لي في الـــهـــوى اصـــــطـــبـــار   ولـــيـــــس لي دونـــك اخـــتـــيـــار

ظلام

لا تـقُـلْ لي ذاكَ نـجْـمٌ قـدْ خَـبـا | يـا فـؤادي كـلُّ شـيْءٍ ذَهَـبـا

ذلك الكوكبُ قدْ كانَ لعيْنيَّ | السـمَـاواتِ وكـانَ الشُّـهُـبـا

هـذهِ الأنْـوارُ مـا أضْـيَـعَـهـا | صِـرْنَ في قـلْـبي جِراحاً وظُبى

كُلّما أهدتْ شُـعَاعاً خلَّفَتْ | بـعـدَهُ سـجْـنـاً ومَـدَّتْ قُضُـبـا

***

قـلـتُ أسْـلـوكِ وكـمْ مـنْ طَـعْـنَـةٍ | بـالـمُـداراةِ وبـالـوقْـتِ تهـونْ

فـإذا حـبُّـكِ يـطْـغـى مُـزْبِـداً | كَدَفوقِ السَّيْلِ طغْيانَ الجنونْ

وكـذا تـمْضـي حـيـاتي كـلُّـهـا | بـيْـنَ يـأسٍ ورجَـاءٍ وظـنُـونْ

مـا عـلى الـهـجْـرِ مُـعـيـنٌ أبَـداً | وعلى النِّسْيانِ لا شيْءَ يُعينْ

***

ذلـك الـحُـبُّ الـذي فُـزْتُ بِـهِ | لا أُبـالي فـيـهِ ألْـوانَ الـمـلامَـةْ

ذلـكَ الشَّـطُّ الـذي ذُقْـتُ بِـهِ | بعْدَ لُجِّ البحْرِ أمناً وسَلامَهْ

إنَّـهُ مـزَّقَ قـلـبـي قسْـوةً | وسَقاني المُرَّ منْ كأسِ النَّدامَهْ

صـارَ نـاراً ودَمـاراً في دَمـي | وصِـراعـاً بـيْـنَ قـلْـبٍ وكَـرامَـهْ

***

ذلـك الـحـبُّ الـذي عـلَّـمَـنـي | أن أُحِـبَّ الـنَّـاسَ والـدُّنـيـا جميـعـا

ذلـكَ الـحـبَّ الـذي صَـوَّرَ مـنْ | مُـجـدِبِ الـقَـفْـرِ لـعـيْـنـيَّ ربـيـعـا

إنَّـهُ بصَّـرني كـيْـفَ الـورى | هَدَموا منْ قُدْسِهِ الحِصْنَ المنيعا

وجـلا لي الـكَـوْنَ في أعـمـاقِـهِ | أَعْـيُـنـاً تـبْـكـي دمـاءً لا دمـوعـا

***

لمْ تُعيِنيني على صَرْفِ الهوى | آهِ لو كُنْتِ على الدَّهْرِ أعَنْتِ
قَدَرٌ نكَّسَ منِّي هامَتي | آذنَ الدَّهْرُ ببَيْنٍ وَأَذِنْتِ
وعجيبٌ أمْرُ حبٍّ لمْ يَهُنْ | هو لوْ هانَ على نفْسي لهُنْتِ
لهْفَ قلبي لهْفةً لا تنْقَضي | كُنتْ دُنْيايَ جميعاً كيْفَ كُنْتِ

***

كُنْتِ في بُرْجٍ من النُّورِ على | قمَّةٍ شاهقةٍ تغْزو السَّحابا
وأنا منْكِ فراشٌ ذائِبٌ | في لُجَيْنٍ منْ رقيقِ الضَّوْءِ ذابا
فَرِحٌ بالنُّورِ والنَّارِ معاً | طارَ للقمَّةِ محْموماً وآبا
آبَ منْ رحْلتِهِ مُحْترقاً | وهْوَ لا يألوكِ حبّا وعِتابا

***

بَرِئَتْ نفْسي منَ الحِقْدِ وَلمْ | أُخفِ ضِغْناً لكِ بيْنَ العَبراتِ
إنَّ يوْماً واحِداً أسْعَدَني | جَمَعَ الأفْرَاحَ طُرًّا منْ شَتاتِ
وهْوَ عُمْرٌ كاملٌ عِشْتُ بهِ | كلَّ أعْمارِ الورى مجتمِعاتِ
لسْتُ أنْساكِ، وقدْ علَّمْتِني | كيْفَ يَحْيا رَجُلٌ فَوْقَ الحياةِ

***

افْرحي ما شِئْتِ يا رُوحي افْرَحي | أنْشِدي ما نقَلَتْهُ الطَّيْرُ عنِّي
واغْنَمي نَفْحَ الصِّبا، وانْتَقِلي | في الصِّبا المِمْراحِ منْ غُصْنٍ لغُصْنِ
وعلى أَيْكِكِ ناغي كُلَّ منْ | مرَّ بالأَيْكِ ، وناغي كُلَّ خِدْنِ
لنْ يُحبُّوكِ كحُبي ! لنْ تَرَيْ | ضاحِكاً مثْلي ، ولا حُزْناً كحُزْني

***

يا كتابَ الحُسْـــنِ جلَّتْ آيةٌ　　　مِـنْ جَـمَـالٍ وكَـمـالٍ وشَـــبـابِ
زَعَـمـوا أنِّـيَ قـدْ خـلَّـدتْـهـا　　　بـأغـانِـيَّ وألْـحَـاني الـعِـذابِ
مـا أنـا شَـــادٍ ، ولـكـنْ قـارئٌ　　　سِــوَراً منْ ذلكَ الحُسْــنِ العُجابِ
لمْ أزلْ أقـرأُ حـتـى سَـــجَـدوا　　　وجَعَلْتُ الخُلْدَ عُنْوانَ الكِتابِ

***

يا ابْنةَ الأصْـــدافِ والبحْرُ أبي　　　قبـلَ أنْ يُـلْـقـي بـي الـمـوجُ هُـنـا
ســـائلي الأعْماقَ عنْ غوَّاصِـها　　　أنــا صـــيَّـادُ لآلـيـهـا أنـا
إنْ هـجَـرْنـا الـقـاعَ والـلـيْـلَ إلى　　　قِمَمٍ شُـــمٍّ ، وعشْــنا في السَّـــنا
فبِنا الأمْواجُ والصَّـــخْرُ ، وما　　　بَـرِحَ الـعـاصِـــفُ في أعْـمَـاقِـنـا

***

عاصِـــفٌ عاتٍ ، تمنَّيْتُ لهُ　　　هَـدْأَةً أيْـنَ لـهـا مـا تـطْـلُـبـيـنْ
اسْـــأَلي عنْ مُقْلَةٍ مُخْلِصَـــةٍ　　　خَبَّأَتْ رَسْـــمَكِ في جَفْنٍ أمينْ
ســـهِرَتْ ترْعاكِ مهْما لَقِيتْ　　　في ســـبيلِ العَهْدِ والودِّ المَكِينْ
أقْسَـــمَتْ لا تسْـــأَلُ النَّوْمَ ولا　　　تطْلُبُ الرَّحْمةَ منْهُ بعْدَ حينْ

***

بـعْـدَمـا غَـوَّرَ نَـجْـمـي ودَلـيـلي　　　ما مســـيري دونَ تِرْبٍ وخَليلِ؟
في طَريقِ الشَّـــوْكِ والصَّـــخْرِ وفي　　　شُـــعَبِ الإرْهاقِ والكَدِّ الوبيلِ
الـغَـريـبـانِ عـلـيْـهَـا الْـتَـقَـيـا　　　يسْـــتعينانِ على الدَّرْبِ الطَّويلِ
ما انْتفاعي بحياتي بعْدَ ما　　　ســـاقَكِ التَّيَّارُ في غَيْرِ ســـبيلي ؟

***

يـا لِـجـهـلِ اثْـنـيـنِ أقْـدارَهـمـا   آهِ يـا لـيْـتَـهُـمـا قـدْ عـرَفـا
ما الذي نصْـنَعُ بالعيْشِ إذا   ما صَحا القلْبُ غريباً وغَفا ؟
ما الذي نصْـنَعُ بالعيْشِ إذا   ما السبيلانِ عليْهِ اخْتَلَفا ؟
ما الذي نصْـنَعُ بالعيْشِ إذا   صـارَ تذْكاراً ، فأمْسى أسَفا ؟

***

عنْد ما تُقْفِرُ دارٌ منْ رِفاقِ   وتَحِسُّ السُّمَّ في كأْسٍ وساقِ
عنْدَ ما يكْشِفُ بُؤْسٌ وجْهَهُ   سـافِرَ اللّعْنةِ مفْقُودَ الخَلاقِ
عند ما تُمْسي بِظِلٍّ عالِقاً   وبِخَيْطِ الوهْمِ مشْدودَ الوَثاقِ
يا فؤادي انْظُرْ وفَكِّرْ وَأَفِقْ   أيُّ قـيْـدٍ لـكَ بـالأحـبـابِ بـاقِ ؟

***

كلُّ جدٍّ عَبَثٌ ، والليْلُ سَاخِرْ   وخبيءُ السرِّ للعيْنيْنِ ظاهِرْ
أدَّعـي أنّـي مُـقِـيـمٌ ، وغَـداً   ركْبِيَ المُضْنى إلى الصَّحْراءِ سائرْ
عنْدَما صافَحْتُ خَانتْني يَدي   ووَشى خافٍ من الأشْجانِ سَافِرْ
كَـذَبَـتْ كَـفٌّ عَـلى أَطْـرافِـهـا   رِعْشَةُ البُعْدِ وإحْساسُ المُسافِرْ

***

يا دِياراً يوْمُها منْ حُجُبِ   وغـيـومٌ وضَـبـابٌ أُفْـقُ غَـدْ
كلُّ نَبْتٍ عبْقَرِيٍّ أَطْلَعَتْ   جعَلَتْ منْهُ طعاماً للحَسَدْ
أخْلفَ الميثاقَ منْ كانَ بها   كـلَّ آمـالي فـلـمْ يـبْـقَ أَحَـدْ
ضـاعُ عُمْرٌ وحَصادٌ ، وغَدا   مـنْ هشـيـمٍ كـلُّ مـا كـنْـتُ أعِـدْ

***

قُمْ بنا، والكوْنُ جَهْمٌ كا لدُّجى نَتَلمَّسْ منْ جحيمٍ مَخْرَجا
وانْجُ منْهُ ببقايا رَمَقٍ أوْ حُطامٍ، وقليلٌ منْ نَجَا
لا تُدِرْ رأْياً بهِ ؛ أضيَعُ مِنْ في لظاهُ ، مُسْتَعينٌ بالحِجا
واسْألِ الرحمنَ أنْ يُصلِحَ عهْدًا كسيحاً وزماناً أعْرَجا

***

عِشْتُ وامتدَّتْ حياتي لأرى في الثَّرى منْ كانَ قبْلاً في القِمَمْ
انْهِيارُ المُثُلِ العُلْيا ، وإنْكارُ آلاءٍ ، وكُفْرٌ بالْقِيَمْ
منْ يكُنْ عَضَّ بناناً نادماً فأنا قطَّعْتُ إبْهامَ النَّدَمْ
وإذا انْحَطَّ زَمَانٌ لمْ تَجِدْ عالِياً ذا رِفْعَةٍ إلا الألَمْ

***

ضِحْكةٌ ساخِرَةٌ هَازِلَةٌ وخيالٌ تافهٌ هَذي الحياهْ
هذه الأكذوبةُ الكَبْرى التي خُدِعَ النَاسُ بها وا أسفاه
ذلَّ فيها المالُ والجاهُ إلى أنْ غَدا أحقرَها مالٌ وجَاهْ
نحْمَدُ اللهَ عَلى أنَّا بهَا لمْ نصُنْ منْ ذِلَّةٍ إلاَّ الجباهْ

***

عَبثاً أَهْرُبُ منْ نفْسي ومنْ ذلكَ السَّاكنِ روحي والبَدَنْ
منْ لقَلْبٍ مُسْتطارِ اللُّبِّ مَنْ؟ كُلَّما عاوَدَهُ التَّذْكارُ جُنّْ
أيْنما أمْضي فحَوْلي ذِكَرٌ وحبيبٌ ومَكانٌ وزَمَنْ
وربيعٌ دائمُ الخُضْرةِ في روْضَةِ النَّفسِ وطيرٌ وفَنَنْ

***

قصَّـــةٌ خـالِـدَةٌ لا تـنْـتَـهـي | وهْيَ ما كانَ لها يوْمُ ابْتِداءِ
أنـا لا أدري مـتـى كَـانَ ولا | أيْنَ، عِنْدَ اللهِ أَسْـــرارُ اللِقَاءِ
حينما لاحَ شِــهابٌ في سَــمائي | أسْـــمرُ النورِ، رفيعُ الخُيَلاءِ
عـبـقـريٌّ مُـوحِـشٌ مُـنْـفَـرِدٌ | مُـتـعَـالٍ قـلـقُ الأضْـــواءِ نـاءِ

***

هُـو في الأُفْـقِ بـعـيـدٌ وهْـوَ دانِ | هُو لي نفْســي وروحي وكَياني
مخْطِئٌ منْ ظنَّ أنَّا مُهْجتانِ | مخْطِئٌ منْ ظنَّ أنَّا توْأمانِ
هو شَـــطْرُ النَّفْسِ لا توْأمها | هو منْها، هو فيها كلَّ آنِ
نـحْـنُ نـبْـضٌ واحِـدٌ نـحْـنُ دَمٌ | واحدٌ حتَّى الرّدى متَّحِدانِ

وحيد

إني على كاسي أُعيد السنين — وأبعثُ الماضي البعيدَ الدفينْ
وحدي وقد أقسمتُ لن تعرفي — وما الذي يجديك لو تعرفين؟
وما الذي يُجدي طعينَ الهوى — لَمْسُكِ يا هندُ جراحَ الطعينْ
أصبحتُ لا أدري شربتُ الطِّلَى — عند بكائي أم شربتُ الأنين

***

كم أزرع السّلوانَ في خاطري — وكيف ينمو في مَحيلٍ جديبْ؟
بالخمر أسقيه وفي مسمعي — إرنانُ باكٍ وتشاكى حبيب
الجامُ يبكي لوعةً أم أنا — جامي غريبٌ وفؤادي غريبْ
واحيرتي ترى أصُبُّ الطِّلَى — أم أنني فيه أصبّ النحيب ؟

***

يا إلف نفسي لم يكن هاهنا — همٌّ لإلف وسلوٌّ هناك
لم يَجْرِ همسٌ لك في خاطرٍ — إلا جرى عندي كأني صداكْ
ولم أكن أعرفُ لي مدمعًا — إلا الذي تذرفُه مقلتاك
أصونُ حزني لك حتى اللقا — وأحبسُ الفرحَةَ حتى أراكْ

***

إن كنت غنيتُ فإني الذي — وقفتُ ألحاني على سَرحَتك
حَبَستُ هذا الصوتَ لم ينطلقْ — إلا على حزنكِ أو فرحتِكْ
خمائلُ الروض بأعطارها — لم تشجني إلا على نفحتك
أنكرته طُرًّا ولم أعترف — إلا بطيبٍ من جنتك

***

وَافرَحِي اليومَ بحريَّتي بأيِّ ليل مدلهمٍّ أطير

رُدِّي على قلبي قيودَ الأسير وذلك الصبحَ الوضيء المنير

كم شُعَبٍ لا حتْ فلم تختلفْ لأيِّها نغدو وأنَّى نسيرْ

بعد سِنِي الأنوار خلَّفتِ لي جَهْمَ المساعي وخفيَّ المصير

***

علمتِ حالي؟ لا وحقِّ الذي صيرني أشفُق أن تعلمي

هيهات تدرين انطلاقَ الهوى كجمرةٍ نضّاحةٍ بالدمِ

هيهات تدرين وإن خلته وثبَ الهوى الضاري وفتكَ الظمِي

وصارخاً كبحتُه في فمي وطاغياً كبّلتُه في دمي

***

لا أنت تدرين وما من أحدْ بواصفٍ حسنَكِ مهما اجتهدْ

أو بالغٍ سرَّ الذكاءِ الذي يكادُ في لحظِكِ أن يتّقِدْ

أو مدركٍ عمق المعاني التي في لمحةٍ عابرةٍ تحتشدْ

أو فاهمٍ فنَّ الصناع الذي أبدع الاثنين: الحِجا والجسدْ

أطلال

يا من بِواديه حَطَطتُ الرحال ... ورحَّبت بي وارفاتُ الظلال

بذلت أقصى ما يكون القِرَى ... وما تمنَّى طامعٌ من منال

بسطتَ كالآباد عمر المنى ... لطامعٍ في لحظاتٍ قِلال

بنيتُ محرابيَ لم أتَّخِذ ... ديناً سوى حبّك في كل حال

أمهل فؤادي ساعةً ريثما ... أخلعُ عن عيني قِناعَ الخيال

أمهل فؤادي ساعةً ريثما ... أخلعُ عن قلبي سرابَ الضلال

فهذه الصحراءُ عريانةٌ ... ممتدّةٌ خانقةٌ كالملال

خليعةُ الطبعِ على كُثبِها ... عَربَدةُ الريح وكُفرُ الرمال

هيهات للقلب صَلاةٌ بها ... ولا عليها معبدٌ وابتهال

خلعتُ إيماني على شكِّها ... وبدَّدته السارياتُ الثِّقال

نادتنيَ الصحراءُ وهي التي ... آدَت جحيمي في السنين الطّوال

تُريد سرّي إن سرِّي هنا ... في مُغلَقٍ أسرارهُ لا تنال

قالت بهذا الصمتِ ما لم يقل ... وقلتُ بالزفراتِ ما لا يُقال

ذنبي

أيكون ذنبي أن رفعتُك   وارتفعت إلى السماءْ؟
وعلى جناحك أو جناحي   قد رقيتُ إلى الصفاءْ
إن كان حقّاً أو خيالاً   فهو وَثْبٌ للضياءْ
وتحرُّرٌ مما جناه   طينُ آدم في الدماءْ
أيكون ذنبي أن جعلتُكِ   فوق عرش من سناءْ
وجثوت في محراب قُدْسكِ   عابداً هذا الرُّواءْ
أيكون ذنبي أنني   بك أحتمي من كل داءْ
وأراك عافيتي فأَضْرعُ   طالباً منكِ الشفاءْ
أيكون ذنبي أن أراك   لخاطري قَبَساً أضاءْ
وأُحسُّ وحيَكِ من علٍ   لي دون أهل الأرض جاءْ
أيكون ذنبي أن يُناط   بك التعلُّل والرجاءْ
وإليك شكوى القلبِ نجوى   الروحِ أجمع والنداء
أيكون ذنبي أن حُبَّكِ   لي من الدنيا وقِاءْ
فإذا رضيتِ فإن نعمَتَها   ونقمتَها سواءْ؟
أيكون ذنبي .. أي ذنب   صار لي إلا الوفاءْ

***

إني عشقتكِ ما طلبتُ   على محبّتيَ الجزاءْ
مَن همُّه هَمّي سيحمل   من حبيبٍ ما يشاءْ
ولقد يُساءُ فما يرى   من حُبِّه أحداً أساءْ
قد كان عندي عزّةٌ   بصبابتي وليَ احتماءْ
إن لانَ عُودي للخطوبِ   شدَدتِ أزري باللقاءْ

أنســـيـتِ؟ كـيـف نسـيـتِ؟ يـا دنـيـا   عــلى الــدنـيـا الــعــفــاءْ
يـــا لــلـــهـــوى لا صُـــبـــح لي   إلا هـــواكِ ولا مســـــاءْ
أشـــــوامـــخُ الأحـــلامِ والـــمـــثـــلُ   الـرقـيـقـةِ كـالـهـبـاءْ؟

الطائر الجريح

أيُّ جوادٍ قد كبا   وأيُّ سيفٍ قد نبا

تعجبت زازا وقد   حَقَّ لها أن تعجبا

لما رأت فيّ شحوبَ   الشمسِ مالت مغربا

وهي التي زانت مَشيبي   بأكاليلِ الصّبا

وهي التي قد علَّمتني   حين ألقَى النُّوَبا

كيف أُداري النابَ إن   عضَّ وأخفى المخلبا

لاقيتُها أرقصُ بشرًا   وأُغنِّي طربا

وهي التي تهتِكُ سِتر   القلب مهما انتقبا

لا مُغلقاً تجهَلُه   يوماً ولا مُغَيَّبا

في فطنةٍ تُومِضُ حتَّى   تستشفّ ما خبا

رأت وراء الصدر طَيرًا   قَلِقاً مضطربا

في قفصٍ يحلمُ بالأفق   فيلقَى القُضُبا

إنَّ زماناً قد عفا   وإن عمراً ذهبا

وصَيَّرتهُ طارقاتُ   السقم وَقراً مُتعِبا

ورنَّقَت موردَه   أنَّى له أن يَعذُبا

***

إني امرؤٌ عشتُ زماني   حائراً معذَّبا

عشتُ زماني لا أرى   لخافقي مُنقَلَبا

مسافراً لا قومَ لي   مُبتعداً مُغتربا

مشاهداً عَلِّي في   مسرحه أن أرقبا

روايةً مُلَّت كما   مُلَّ الزمانُ ملعبا

وظامئاً مهما تُتَح   مواردٌ أن أشربا

وجائعاً لا زاد في   دنيايَ يَشفى السَّغَبا

فراشةً حائمةً   على الجمال والصّبا

تعرّضت فاحترقت   أُغنيةً على الرُّبى

تناثرت وبَعثرَت   رمادَها ريحُ الصَّبا

أمشي بمصباحي وحيدًا   في الرياحِ مُتعبا

أمشي به وَزَيتُهُ   كاد به أن يَنضبا

وشدّ ما طال الصراع   بيننا وَأحَرَبا

ريحُ المنايا تقتضيني   نسماتي الخُلبا

وليس بالأحداث في   ما قيلَ أو ما كُتبا

كالعمرِ والسُّقمِ إذا   تحالفا واصطحبا

لولاكِ ما قلتُ لشيءٍ   في الوجود مَرحَبا

ولم أَجِد ركناً غنيًا   بالحنان طيِّبا

أنتِ التي أقمت مرفوعَ   البناء مِن هَبَا

وإنني الصَّخر الذي   أردتِ أن لا يُغلَبا

ويضربُ البحر عَلَيهِ   مَوجَه مُنتحِبا

علمتِ يأسي وَجنوني   وجهلتِ السَّببا

يا أملي إِنك يأس ... القلب مهما اقتربا

يا كوكباً مهما أكن ... من بُرجِه مُقَرَّبا

فإنه يظلُّ في السمتِ ... البعيد كوكبا

وأين منّي فَلَكٌ ... قد عزّني مُطَّلَبا

ليس إلى خياله ... إلا السهادُ مركبا

أستبطئُ الريح له ... وأستحِثُّ الكُتُبا

ولو طريقُ حبّه ... على القتاد والظُّبا

وقيل للقلب هنا الموتُ ... فَعُد تسلم أَبَى

إني امرؤٌ عشت زماني ... حائراً معذّبا

لا أحسبُ الأيام فيهِ ... أو أَعُدُّ الحِقبا

ضِقتُ بها كيف بمن ... ضاق بها أن يَحسبا

تغيّرت واختلفت ... وسائلاً ومطلبا

وارتفعت وانخفضت ... طرائقاً ومأربا

ساوت على الحالين حُملانًا ... بها وأذؤُبا

وشاكلت لناظري ... سهولَها والهُضُبا

دخلتُها غِرّاً وعدتُ ... فانياً مجرّبا

لا أسألُ الأيام عن ... أعمالها مُعَقِّبا

إن كان هذا الدهر فيما ... جرَّه قد أذنبا

فإِنّه تاب وأدى ... وعدَه المرتَقَبا

لِقاكِ ماحٍ للذنوب ... كيف لي أن أعتبا

ضممتُ عِطفَيكِ غداةَ الرَّوعِ أَبغي مَهربا
كم خِفتُ من أن تذهبي وخفتِ من أن أذهبا
كأن طفلا خائفاً في أضلعي حَلَّ الحُبى
يضربُ ما اسطاعَ على جُدرانها أن يضربا
يكافحُ الأمواج أو يصرعُ جيشاً لَجِبا
إن بَعُدَ الشطُّ فقد آن له أن يَقرُبا
أنتِ الحياة والنجاة والأمانُ المُجتَبَى

القمة

يا أيها العالي الغفورُ الصفوح هل ترحم القمّةُ ضَعف السُّفوح
تاجُك في النور غريقٌ وفي عرشك غَنّى كل نجمٍ صَدُوح
وأين هاماتُ الرُّبى نُكِّسَتْ من هامةٍ فوق مُنيفِ الصُّروح
وأين أوراقٌ خريفيّةٌ أرجحَها الشكُّ فما تستريح
من باسقٍ راسٍ به خضرةٌ ثابتةُ الرأي على كل ريح
بَرِئتَ من هذى الوِهاد التي نَغدُو على أنّاتِها أو نَروح
وأين في مبتسماتِ الذرَى برقُ الأماني من وميض الجروح؟
أصِخ لهذي الأرضِ واسمع لما تشكو لمن غَيرك يوماً تبوح؟
تطفو على طوفان آلامها وأين في آلامها فُلكُ نوح
أروَعُ شيءٍ صامتٍ في العُلا أفصح مُفضٍ بالبيان الصّريح
يُعَيِّرُ الأرض إذا أظلمت بما على مَفرِقِه من وضوح
هل تسخرُ الحكمةُ ممّا بنا من نزواتٍ وعنانٍ جَموح
حَمقَى، قُصارَى كلِّ غاياتنا عزمٌ مَهيضٌ وجَناحٌ كسيح

***

أُعيذُ عدلَ الحقِّ من ظلمنا فكم على القيعان نَسرٌ جريح
ونازحٌ من قِمَمٍ في علٍ أوطانُه كل سَموقٍ طروح
أنت له كلُّ الحِمى المُرتَجى وكلُّ مَبغاه إليكَ النُّزوح
ما النسرُ إلا راهبٌ في العُلاَ محرابُه وجهُ السماء الصبيح

***

وقلبُها السَّمحُ فما حَطَّهُ على الثَّرَى الجَهمِ الدميمِ الشحيح
على الثَّرَى حيثُ تسابيحُه نوح الحَزَانى ونداءُ القُروح

مبتهلٌ باكٍ بدمع الأسى على الليالي وسقيمٌ طريح
ما أتعس الأرضَ بعُبَّادها تُبهِجُ من أخلاطِهم ما تُبيح
قد أنكرَ الهيكلُ زُوَّارَه وأصبح الديرُ غريبَ المُسوح
لم يعرف الجسمُ خلاصاً به من كُدرَةِ الطين ولم تَنجُ روح

***

يا سيِّدَ القمَّةِ أَنصِت لنا لا يعرفُ الإشفاقَ قلبٌ مُشيح
وانظر إلى السِّكِّين في ساحةٍ قد زمجرت فيها دماء الذَّبيح
واسكب نَدَى الحبِّ بأفواهنا كم من بَكِيٍّ وظَمِيٍّ طليح
فربما يُشرقُ بعد الضَّنى وجهٌ مليح وزمانٌ مليح

أيها الغائب

أيـهـا الـغـائـبُ الـعـزيـزُ الـنـائـي
فَســدت ليلتي وضــاع هنائي

قَـمَـري أنـتَ لـيـسَ لي مـنـك بـدٌّ
في اعتكار الســحائبِ السّــوداء

هـذه الشُّــرفَـةُ الـتـي جَـمَـعـتـنـا
يـا حـبـيـبـي بـوجـهِـك الـوضَّــاء

ســألـت عـنـك فـالـتـفـتُّ إلـيـهـا
وبـنـفســي كـوامـنُ الـبُـرَحَـاء

قـائـلاً صَــه! بـالله لا تســألـيـنـي
فـكـلانـا مـن دونِـهـا في عـنـاء

أين ذاك الوجهُ الذي يُرســلُ النورَ
ويُـوحِـي إشــراقُـه بـالصَّــفـاء؟

شك

تَشُــكِّين في حبي لك الحقُّ إنني ... جديرٌ بهذا الظُّلم والريبِ والشــكِّ
خليقٌ بأن تَنسَــي هواي فتنطوي ... ســعادةُ أيامي التي ذُقتُها منكِ
إذا أنــا لم أذكُــركِ في كــل لــحظــةٍ ... وقصّـــرتُ لم أســـأل ثوانِيها عنك
إذا أنــا لم أبـذُل شــــجـايَ وعَــبـرَتي ... على كل وقتٍ ضـــائعٍ كنتُ لا أبكي
فلا حبَّ عندي أســتلذُّ به الجوى ... بما فيه من ســقمٍ وما فيه من ضــنك

***

أليلايَ حُبِّي فيك حُبُّ مُوَحِّدٍ ... تَنَزَّهَ عن ريبٍ وجلَّ عن الشِّـــرك
تَبَقَّى بقاءَ القلب يَنبِضُ دائماً ... ولـيـسَ لســــلـوانٍ ولـيـس إلى تَـرك

ليلة

ولَيلةٍ باتَ من أهوى يُنادمني ... ما كان أجملَه عندي وأجمَلَها

بِتنا على آيةٍ من حسنه عَجَبٍ ... كتابُه من خَفايا الخُلدِ أنزَلَها

إذا تساءلتُ عمّا خَلفَ أسطرِها ... رَنا إليَّ بعينيه فأَوَّلَها

مُصَوِّباً سَهمَه مُستشرفاً كبدي ... مُستهدفاً ما يشاء الفتكُ مقتلَها

***

يا للشَّهيدة لم تعلم بمصرعها ... ما كان أظلَمَ عينيه وأجهَلَها

حتى إذا لم يَدَع منها سوى رمقٍ ... عَدَا على الرَّمقِ الباقي فجندلها

وصَدَّ عنها وخلاَّها وقد دَمِيَت ... في قبضة الموت غَشَّاها وظلّلها

***

وحان من ليلة التوديع آخرُها ... وكان ذاك التلاقي الحُلوُ أوَّلها

ضممتها لجراحاتي التي سَلَفت ... إلى قديمِ خطايا قد غفرتُ لها

في الباخرة

أحبُّ أجَل أحبّ كأن نبعاً سماوياً تفجّر في دمائي
لقد طاب الوجود بحالتيه شقائي فيك أجملُ من هنائي
وليلي فيك أحسنُ من نهاري وصبحي فيك أجملُ من مسائي
فمفترقان فيه إلى لقاءٍ وملتقيان حتّى في التنائي

***

أميمةُ إنَّ عمر الحبّ حقّاً لأعجبُ آيةٍ تحت السماء
فما أدري لأيّهما ثنائي ثوانيه السِّراع أم البطاء
أهذا الحُلم يمضي شبه لمح أم الأبدُ المديد بلا انتهاء
أتفكيري هناك أم انتظاري لأروع هالةٍ حول البهاء
وأزهى من تثنَّى في حُليٍّ وأبهج من تَهادى في رداء
وأسنى من تخطَّر في دلال وأطهر من تعثَّر في حياء

***

سيذكر ملتقانا النيلُ يوماً غداةَ تُعَدُّ أيام الصفاء
وحيدٌ غير أني في زحام من الآمال تَترى والرجاء
إلى أن لاح عرشُ النور مني قريباً والهلالُ إلى اعتلاء
فمؤتلقٌ على أفقٍ بعيدٍ ومنعكسٌ على فضِّيِّ ماء
كذلك أنت في فكري وروحي سناك مع الهلال على سواء
وطيفٌ عبقريٌّ في خيالي وحيدُ الذّات مختلفُ الرُّواء

سر بي

أحبك فوق ما عشقت قلوبٌ ولا أدري الذي من بعد حبي
وأعلم أن كُلِّي فيك فانٍ وعيني فيك ذائبةٌ وقلبي
وأعلم أن عندك من يُنادي خفيّاً هاتفاً وأنا الملبّي
وأعلم أن حبي ليس يشفي وبعدي ليس يُجديني وقربي

***

ولما لم أجد للحب حلا هتفتُ به كما يرضيك سِر بي
وخذني حيث هند لا تسلني لأية غايةٍ ولأيِّ دَرب

الفراق

يا ســا عةَ ا لحســرات وا لعبرات — أَعَصَــفْتِ أم عَصَــفَ الهوى بحياتي؟
ما مَهْرَبي ملأ الجحيم مســالكي — و طغى على سُــبُلي وســد جهاتي
من أي حصــن قد نزعت كوامنا — من أدمعي اســتعصــمن خلف ثباتي
حطمت من جبروتهن فقلن لي — أزف ا لفراق فقلت و يحك هاتي

***

أأمــوت ظـمـآنـاً وثـغـرك جـدولي — وأبيت أشــرب لهفتي وولوعي
جفت على شــفتي الحياة وحلمها — وخـيـالـهـا مـن ذلـك الـيـنـبـوع
قد هدني جزعي عليك وأدعي — أني غـداة الـبـيــن غـيــر جـزوع
وأريـد أشـــبـع نـاظـري فـأنـثـنـي — كي أســتبينك من خلال دموعي

***

هــان الــردى لــو أن قـلـبـك دار — أأمــوت مـغـتـربـاً وصـــدرك داري
يا من رفعت بناء نفســي شــاهقاً — مـتـهـلـل الـجـنـبـات بـالأنــوار
الـيـوم لي روح كـظـل شــاحـب — في هـيـكـل مـتـخـاذل الأســـوار
لو في الضــلوع أجلت عينك أبصــرت — مـنـهـارة تـبـكـي عـلى مـنـهـار

***

لا تسألي عن ليل أمس وخطبه ... وخذي جوابك من شقيٍّ واجم

طالت مسافته عليّ كأنها ... أبدٌ غليظ القلب ليس براحم

وكأنني طفل بها وخواطري ... أرجوحة في لجها المتلاطم

عانيتُها والليل لعنة كافر ... وطويتُها والصبحُ دمعة نادم

ليلة العيد

اليوم منكِ عرفتُ سر وجودي　　وعرفتُ من معناك معنى العيد
ما كنت بالفاني وسرُّك حافظي　　وبمقلتيك ضَمِنتُ كلَّ خلودي

***

الآن أعرف ما الحياة وطيبُها　　وأقول للأيّام طبتِ فعودي
عاد الربيع على يديك وأشرقت　　روحي وأورق في ربيعك عودي

كذب السراب

البحرُ أسألهُ ويسألني ما فيه من ريٍّ لظامئه
متمرِّدٌ عاتٍ يضلِّلني كَذِب السَّراب على شواطئه

***

كم جال في وهمي فأرَّقني أربٌ وأين الفوزُ بالأرب؟
وسرى بأحلامي فعلَّقها فوق السُّهى بلوا مع الشهب

***

في يقظةٍ مني وفي وسنٍ صَرحٌ بِذِروَتِهنّ متَّحد
الفجرُ والسحر المخضَّبُ من لَبِناته والقمةُ الأبدُ

***

واهاً لضافي الظلّ وارِفه قضَّيت عمري في توهّمه
لما طلعت على مشارفه أيقنتُ أني فوق سُلَّمه

***

ومن العجائب في الهوى اثنان لم يضربا للحبِّ ميعادا
ومحيِّرُ الأفهام لحظان قَرَآ كتابَهما وما كادا

***

سارا فمذ وقف الهوى وقفا يتبادلان الشوقَ والشغفا
عرف الهوى أمراً وما عرفا من ذلك الداعي الذي هتفا

***

قَدَرٌ على قدرٍ تلاقينا كلُّ الذي أدري وتدرينا
أنّا أطعناه مُلبّينا من أنت؟ من أنا؟ من يُنبِّينا؟

أنت

إن كـنـت عـارفـةً وواثـقـةً   وبـعـمـق هـذا الـحـبِّ آمـنـتِ
فـثـقـي بـأنـك قِـبْـلـتـي أبـدًا   وصـلاةُ روحـي حـيـثـمـا كـنـتِ
إن كـان لي في الـدهـر أمـنـيـةٌ   مـنشـودةٌ أمـنـيـتـي أنـتِ

قيثارة الألم

إن حـان لـحـنُ الـخـتـامْ صـار الـنشـيـدُ دعـاءْ
مـرّ الـهـوى في سـلامْ فـلـنـفـتـرق أصـدقـاءْ
سـرٌّ وراء الـظـنـونْ أظـلّـنـي وأضـاءْ
لم أدرِ مـاذا يـكـونْ ولم أسَـلْ كـيـف جـاءْ

***

مـا بـيـن ضـحـكِ الـريـاحْ وقـهـقـهـات الـغـيـوبْ
ولّـى خـيـالٌ وراحْ وحـلَّ ظـلٌّ غـريـبْ

***

يـا ذنـبُ فـات الـمـتـابُ لـمـا تـحـطَّـمَ صـرحـي
مـا لي عـلـيـهـا عـتـابُ إني أعـاتـبُ جـرحـي

***

وهـذه قـيـثـارتي ذاتُ الشـجـى والأنـيـنْ
وهـذه أوتـاري أصـرتِ لا تـطـربـيـنْ؟

***

يـا كـم شـدوتُ بـلـحـني مـا بـيـن حـزني ودمـعـي
مـا بـالـه طـيَّ أذني لـكـنْ غـريـبـاً لسـمـعـي

حلم الغرام

لا حبَّ إلا حيث حلَّ ولا أرى   لي غير ذلك موطناً ومقاما
وطني على طول الليالي دارهُ   مهما نأى وهواي حيث أقاما
والأرضُ حين تضمُّنا مأهولةٌ   لحظاتُها معمورةٌ أيّاما
لا فرق بين شَمالِها وجنوبِها   فهما لقلبي يحملان سلاما
وهما لعهدي حافظان وقلّما   حفظ الزمانُ لمهجتين ذماما

***

وإذا بكيتُ فقد بكيتُ مخافةً   من أن يكون غرامُنا أحلاما
ولربما خطرَ النّوى فبكيتُهُ   من قبل أن يأتي البعادُ سجاما

ثلاث سنين

ثـلاث ســـنـيــن أم ثـلاث لـيــالِ   هي البرق أم مرَّتْ كلمحِ خيالِ؟

و ما كان هذا العمرُ إلا صـحائفاً   تلاشـــتْ ظلالاً رُحْن إثر ظلالِ

ومـا كـان إلا أمـس لـقـيـاك إنـه   لأثـبـتُ مـا خـطّ الـزمـانُ بـبـالي

و ما العمر إلا أنت والحب والمنى   و ما كان باقي العمر غيرَ ضــلالِ

عدنا وعدت

عُـــدنـــا وعـــدتِ وعـــادت إن الـــحـــظـــوظ أرادت

وبـــالـــعـــجـــائـــب جـــاءت ومـــا بـــذاك غـــريـــبـــه

***

إن الـــغـــريـــب الـــتَّـــنـــائـــي فـــإن فـــيـــه شـــقـــائـــي

وإن أردت دوائـــــي داوي الـــهـــوى ولـــهـــيـــبـــه

***

أنـــت الـــمـــنـــى والـــعـــبـــاده ولـــيـــس عـــنـــدي زيـــاده

يـــا هـــنـــد هـــذي شـــهـــاده لـــو أنَّـــهـــا مـــطـــلـــوبـــه

***

وأنـــت مـــنّـــي كـــنـــفـــســـي هـــواك يـــومـــي وأمـــســـي

وأنـــتِ جـــهـــري وهمـــســـي صـــديـــقـــةً وحـــبـــيـــبـــه

المقعد الخالي

هـــمٌّ أنـــاخ فـــمـــا انـــجـــلى		وخـــلا مـــكـــانُـــك - لا خـــلا!
لـــيـــل الـــحـــيـــاة وكـــان لـــيـــلي		في الـــهـــواجِـــسِ أطـــولا
كـم لـحـظـةٍ في الصـدر نـاشـبـةٍ		كـــجـــزّارِ الـــكـــلا
كـــالـــرَّمْـــسِ فـــارغـــةٍ وإن		حـــفـــلـــت بـــإيـــحـــاشِ الـــبـــلى
في إثـــر أخـــرى لم تـــكـــن		إلا كـــجـــرداءِ الـــفـــلا
بَـــرَّحْـــنَ بـــي مـــن وحشـــةٍ		وقـــتـــلـــتـــهُـــن تـــمـــلـــمـــلا
وجَـــنِـــنّ مـــن قـــلـــقـــي عـــلـــيـــك		وكـــيـــف لي أن أعـــقـــلا؟
قـــد رِشْـــنَ لي ســـهـــمـــاً يـــحـــاول		مـــن يـــقـــيـــنـــي مـــقـــتـــلا

***

فـــتـــعـــرّض الـــمـــاضـــي الـــجـــمـــيـــلُ		بـــوجـــهِـــهِ مـــتـــهـــلـــلا
فـــلـــوى عـــنـــاني فـــالـــتـــفـــتُّ		فـــلـــم أجـــد لي مَـــوئِـــلا
إلا دروع الـــيـــأسِ		إنّ الـــيـــأسَ أيســـرَ مـــحـــمِـــلا
يـــقـــتـــادني فـــأردُّهُ		عـــن خـــاطـــري وأقـــول لا!

***

يـــا هـــنـــدَ إن يـــكُ قـــلـــبُـــك الـــوافي		تـــغـــيّـــرَ أو ســـلا
وحصـــدتُ آمـــالي فـــإنّ		الـــمـــوتَ أرحـــمُ مـــنـــجـــلا

رحلة

نقلتِ حياتي والحياة بنا تجري ... من الحلُمِ المعســولِ للواقعِ المرِّ
فيا منتهى فنّي إلى مُنتهى الهوى ... على ذروةٍ بيضــاءَ في النور والطُّهرِ
عرفتكِ عِرفان السـماء ولم تكنْ ... سوى هَمساتِ النَّجمِ ما جال في صدري
وغامتْ خطوطُ السفحِ حتى نَسيتُها ... وحتى توارى السفح من عالم الذِّكر
وفي القممِ الشّـمّاءِ حلَّقتُ حائماً ... وأذبتُّ في أعلى شـوا هقها وكري
ولم يبقَ إلا أنت والجنَّةُ التي ... زرعنا وكلّلّنا بيانعة الزهرِ
ولم يبقَ إلا أنت والنسـمةُ التي ... تهبُّ من الفردوسِ مسـكيَّةَ النشـرِ
ولم يبقَ إلا أنت والزورقُ الذي ... ترَّنحَ منسـاباً على صـفحة النهرِ

***

فيا منتهى مجدي إلى منتهى الغنى ... غنىَ الرَّوحِ بعد الضّـنكِ والذلِّ والفقرِ
أعيذك أن أغدو على صـخرة لَقىً ... وكنتِ مِجَنّي في مقارعةِ الصـخرِ
أعيذك بعد التاجِ والعرشِ والذي ... تألّقَ من ماسٍ وشعشـع من تبرِ
أعيذك من ردّي إلى سَـفهِ الثّرى ... وحِطَّتِه بين الأكاذيبِ والغدرِ
أعيذكِ أن تَنْسـي ومن باتَ ناسـياً ... هواهُ فأحرى بالنُّهى عقم الفكرِ
فيا لكِ من حلمٍ عجيب ورحلةٍ ... تعدَّتْ نطاقَ الحُلمِ للأنجمِ الزُّهرِ
ويا لكِ من يومٍ غريبٍ وليلةٍ ... عَفَتْ وغفتْ عن ظُلمِ روحين في أسـر
ويا لكِ من ركنٍ خَفِيٍّ وعالمٍ ... خَفِيٍّ غنيٍّ بالمفاتنِ والسِّـحرِ
ويا لكِ من أفقٍ مديدٍ ومولدٍ ... جديدٍ لقلبينا ويا لكِ منْ فَجرِ

***

عرفْتُكِ عرفان النَّهار لمُقلةٍ مخضّبةِ الأحلام حالكةِ الذعرِ

رأتْ بك روحَ الفجرِ حين تبيّنتْ بياض الأماني في أشعّتِهِ الحُمرِ

بيَ الجرحُ جرحُ الكونِ من قبل آدمٍ تغلغلَ في الأرواحِ يَدْمي ويستشري

تولّتهُ بالإحسانِ كفٌّ كريمةٌ مقدّسةُ الحُسنى مباركةُ السرِّ

***

فإن عدتُ وحدي بعد رحلتِنا معاً شريداً على الدُّنيا ذليلاً على الدهرِ

رجعت بجرحي فاغرَ الفمِ دامياً أداريه في صمتٍ وما أحدٌ يدري

هو العيشُ فيه الصبرُ كاليأس تارةً إذا انهارت الآمالُ واليأسُ كالصبرِ

عرفتكِ كالمحرابِ قدساً وروعةً وكنتِ صلاةَ القلبِ في السرِّ والجهرِ

وقد كان قيدي قيدَ حبِّكِ وحدَهُ أنا المرءُ لم أخضعْ لنهيٍ ولا أمرِ

وأعجبُ شيء في الهوى قيدُكِ الذي رضيتُ به صِنْواً لإيماني الحرِّ

***

بَرِمْتُ بأوضاعِ الورى كل أمرهمْ وسيلةُ محتاجٍ ومسعاةُ مضطرِّ

برمتُ بأوضاعِ الورى ليس بينهمْ وشائجُ لم توصَلْ لغايٍ ولا أمرِ

إذا كان ما استنُّوا وما شرعوا القِلى فذلك شرعُ الطينِ والحمَإِ المَزرى

تمرّدتُ لا أُلوي على ما تعوّدوا ونفسي بهذا الشرعِ عارمةُ الكفرِ

وهبْ ملَكي الغالي الكريمَ وحارسي تخلَّى فما عذرُ الوفاءِ وما عُذري؟

عشقتُكِ لا أدري لحُبِّيَ مبدءاً ولا منتهى حسْبي بحُبِّكِ أن أدري

إذا شئتِ هجراناً فما أتعس المدى من النورِ للّيلِ المخيِّمِ للحشرِ

شعرة

وشَعْرةٍ خطفتُها   كأنَّني قطفتُها

ملكتُ مُلكَ الدهر وحـ   ـدي حينما ملكتُها

إذا الرياحُ نازعتني   أمرها ضممتُها

بقبضتيَّ خائفاً   إذا اعتدتْ رددتُها

***

وفي مكانٍ ليس في   بالٍ جَرى خَبأتُها

خبَّأتُها حيث إذا   جُنَّ الهوى رأيتُها

حبستُها قرب عيوني   إن أشَأْ نظرتُها

كأنَّما في بَصري   ومُقلتي أخفيتُها

هذي لديَّ صورةٌ   من حالنا جلوتُها

***

أنت كهذي الشَّعرةِ   السمراء مُذ عرفتها

أقسم بالحبُّ وهاتيك   السنين عشتُها

كأنَّني في جنَّة الفِردوسِ   قد قَضيتُهَا

يوم الجمعة

أصبحتُ يوم الجمعة　　ذا غربة ما أضيعهْ
منفرداً لا خلُّ لي　　وأينَ مَنْ قلبي معهْ؟
ضاقت بي الأرضُ فما　　في فُسحة الكون سَعَهْ
أقطع يومي مُبْطئاً　　كأنني لن أقطعَهْ
إني امرؤٌ يُفضي إلى　　أزمانه المرقَّعَهْ
يَلُمُّ من شَتاتها　　بجهده ما وَسِعَهْ
فلا يصيبُ غير ما　　أمَلّهُ وصدَّعهْ

***

يا هند من يُعيد لي　　آماليَ الممزعَهْ؟
وإنّ يوماً واحداً　　حِبالُه مُقطّعّهْ
فكيف لو مرّ بنا　　ثلاثةٌ أو أربعهْ؟
قلبي خلا من نسمةٍ　　مشرقةٍ مُرَصّعهْ
طالَعَهُ اليوم بها　　كأنه قد ودَّعهْ
إن عاشه دونك ياهند　　تمنّى مصرعهْ

تعلة

هــكــذا كــلُّ جمــيــلــه ليــس لي في الــغــدر حــيــلــهْ

انــجُ مــنــهــا وامــضِ عــنــهــا أخــذتْ قــلــبــكَ غِــيــلــهْ

بــعــد هــاتــيــك الــلــيــالي الــمــطــمــئِــنَّــات الــظــلــيــلــه

بــخــلــت لــيــلاك حــتــى بــالــتــعــلاتِ الــقــلــيــلــه

***

لم تَــدَعْ لــلــقــلــب من طــول الــتــبــاريــح وســيــلــه

لم تــدعْ لــلــقــلــب ما يشــفــي مــن الــوجــد غــلــيــلــه

لم تــدعْ إلا رفــيــفــاً مــن نســيــمٍ في خمــيــلــه

وخــيــالاتٍ يُــداوي طــيــفُــهــا نــفــســي الــعــلــيــلــه

والــرســالاتِ الــلــواتي والأكــاذيــبَ الــنّــبــيــلــه

من لي ؟

أناشـــدُك الـهـوى هـل أنـت مـثـلي   نـهـاري فـيـك أشـــجـانٌ ولـيـلي
زمـانٌ لا يـفـارقـنـي عـذابـي   ولازمـنـي الشـــقـاء بـه كـظـلّي
كـأنَّ الـلَّـيـل أصـــبـح لي مِـداداً   أُسَـــطِّـر مـنـه آلامـي ويُـمـلي
حـيـاتي فـيـه قـفـرٌ بـعـد قـفـرٍ   وعـمـري فـيـه كـالأبـد الـمُـمِـلِّ

***

أبـعـد جـوار هـنـدٍ والأمـاني   أُكـابـد جـيـرة الـنـجـم الـمُـطِـلّ
أحـبُّـكِ لأ أَمَـلُّ لِـقَـاكِ يـومـاً   ومـن لي بـالـذي يُـدنـيـكِ مَـنْ لي؟
أحـبُّـك لســت أدري ســرَّ حُـبِّـي   وعـلـمـي فـيـه أشـــقـاني كـجـهـلي
أقـول لـعـلّ هـذا الـدهـرَّ يصـــفُـو   ويـا أســـفـاهُ لـو تُـغـنِـي لـعـلِّـي
أحـاول ســـلـوةً وأرى الـلـيـالي   بـغـيـر هـواكِ لي هـيـهـات تُســـلي

في لبنان

قـلـبٌ تـقسَّــم بـيـن الـوجـد والألم ... هل عند لبنانَ نجوى النيل والهرم؟
أشكو جواي إلى الرُّوح التي احتضنت ... ناري وضــمَّت إلى أســقامها ســقمي
وقاســمتني الهوى حتى إذا رحلت ... ألقت فؤادي بضــنكٍ غير مقتســم
ميثاقنا أســطرٌ من مدمعٍ ودمِ ... يا طاهر النفحة اذكر طاهر القَســم

***

يـا مـن أعـاتـب دهـري إذ أودِّعـه ... وما عتابي على الأقدار والقِســم
إنّ الـنَّـوى غـرَّبـتـهُ وهـي عـالـمـةٌ ... أنّي رجعتُ أُداري النار بالضــرم
ورنَّحتْ بعده خطوي وما عرفت ... من عثرة الحظِّ أم من عثرة القدم
خَلَتْ وران عليها الصــمت وانقلبت ... كـأنـمـا لَـفَّـهـا ثـوبٌ مـن الـعـدم

***

بـالله أيـامَـنـا هـل فـيـك مـنـتَـفـعٌ ... ونحن من سَــأَمٍ نمشــي إلى سَــأم؟
ومـا أُرقِّـع ثـوبـاً فـيـكِ مُـنـخـرقـاً ... لـكـنْ أرقِّـع جُـرحـاً غـيـرُ مُـلـتـئـمِ

في شم النسيم

أنتِ يا من جعلتِ روضَ حياتي مهدَ وردٍ إليك وردك رُدَّا
آيةُ الورد أنه نفحةٌ منك ومن عطرك العبيرَ استمدّا
هذه باقةٌ من الورد تجثو مَلَكٌ في الرياضِ أصبح عبدا
يا جمال الجمال من خلَّد الحسن جميعاً في نظرةٍ منك تَندَى؟
يا صباح الصباح من يَملكُ الأضواء وصفاً أو الفرائد عَدًّا؟

***

ليس بدعاً يا وردة العمر أن كانت لمغناك وردةُ الروض تُهدى
لا تظني ورداً يكافئ ورداً أنت أغلى حسناً وأكرم وردا
غير أني وإن عجزتُ عن التقدير حاولتُ ما تمكَّنتُ جهدا
باعثاً للوفاء ورداً وللقلبِ إلى أعمق السرائر ودّا
وإلى العيدِ أنتِ عيدٌ لأيَّامي جميعاً أنت الحبيبُ المُفدَّى

في العيد

أفـدي نهـاراً طـلـعـتِ فـيـه نـجْـمَ جمـالٍ ونـجْـمَ سَـعْـدِ

إنِّـي لـهـذي الـعـيـون عـبـدٌ والدَّهرُ إما رضـيتِ عبدي

إن كـان عـيـدٌ بـه ورودٌ فـأنـتِ عـيـدي وأنـت وردي

يـا خـيـر مـن مـرَّ في وجـودي إنـكِ كـلُّ الـوجـود عـنـدي

عـنـدي خَـفِـيٌّ مـن الأمـاني أضـعـافَ مـا جـئـتُ فـيـهِ أُبـدي

مـعـذرةً في الـقـلـيـل إني والله أعـيـا الـكـثـيـرُ جُـهـدي

***

يـا فـتـنـتـي والـهـوى ديـونٌ حسـبـيَ أَني لـه أؤدّي

مـا أنـتِ مـن أنـت؟ هـل مـجـيـبٌ عـلى سُـؤالٍ بـغـيـر رَدّ

لم يَـخْـلُـقِ الله مِـنْ جمَـالٍ يـلـفُّـه في سَـنِـيٍّ بُـرد

حسـنٌ قُـصـاراه مـن شـفـاهٍ عـطـرُ ثـنـاءٍ وطـيـبُ حمـد

ويـخـلُـقُ الله مُـعـجـزاتٍ يـجـمـعُـهـا كـلَّـهـا بـفـرد

كسـحـرِ عـيـنـيـكِ كـيـدَ بـاغٍ وسـحُـر عـيـنـيـكِ لـلـتَّـحـدّي

خطاب

قَـبَّـلـتُ خـطَّـك ألـفَـا   ولم أدَعْ مـنـه حَـرفـا
قـد كـنـتِ تـوأم قـلـبـي   وكـنـتِ في الـغـيـبِ إلـفَـا
يـا هـنْـدُ مـا الـحسـن إنِّـي   أُجِـلُّ حُسـنـكِ وصـفـا
رأيـتُـهُ بـخـيـالٍ   عـلى جمـالـك رَفَّـا
وكـيـف أُخـفـي اشـتـيـاقـي   مـا بـيـنـنـا لـيـس يَـخـفَـى

آه

آهِ مـــن مَـــيَّـــةُ آهٍ ثُـــمَّ آه   وحَـبـيـبٍ سَــحـرتـنـي مُـقـلـتـاه
لـو تَـمـنَّـيـتُ قُـبـيـل الـمـوت مـاذا   أتـمـنَّـى؟ قـلـت تـقـبـيـل ثـراه
أتـمـنـى الـمـوت مـن مُـقـلـتـهِ   مـا الـذي يـمـنـع أن أشـتـاق فـاه؟
آه مـــن مَـــيَّـــةُ آهٍ ثـــم آه   وحـبـيـبٍ عـزّني الـيـوم لـقـاه

في ليلة غارة

يا مَيَّةُ الحسناء هل يغزو الهوى قلبين ما كانا على ميعاد؟
لا شيءَ إلا أن ذُكرتِ فهزّني طربٌ وبات على الحنين فؤادي
وظللتُ أحلم والتفتُّ لساعةٍ تدنو إِليَّ بطيفك الميّاد

***

يا مَيَّ إني قد مُنيت بظلمةٍ والليلُ يجثم فوق صدر الوادي
فأنرتِ لي قلبي وصرتُ كأنما هذا السواد الجَهمُ غير سواد

سمراء المحفل

مــلــكــي ومــحــرابــي وقــدس   فــؤادي الــمــتــبــتــل

لــمــن الــجــمــال الــفــخــم يــرفُــل   في الــغــلائــل والــحُــلي؟

مــتــألــقــاً في خــاطــري   مــتــألــقــاً في الــمــحــفــل

أقــبــل بــمــا ولَّــت بــه الــدنــيــا   وهــاتِ وعــلــل

وابســط جــنــاحــك فــوق قــلــبــيــنــا   الــغــداةَ وظــلِّــل

طِــر حــيــث شــئــتَ فــإن دنــوت   لــنــاظــري فــتــمــهَّــل

***

واهــاً لــهــذي الــطــلــعــة السَــمــراء   عــنــد الــمــجــتــلي

بــغــلائــل الأضــواء وشَّــتــهــا   رِقــاقُ الأَنــمــل

وشَّــت بشــاشــتــهــا نضــارةُ   وجــهــكِ الــمــتــهــلّــل

فــكــأن طــفــلَ الــفــجــر نــام   عــلى وســادة جــدول!

روض الحسن

في أي روضٍ من رياضك أمرح؟ — وبأيّ آلاءٍ لَديكِ أُسَبِّح؟

ثمرٌ على ثمرٍ وإنَّ المُجتني — ليحارُ من عذْبِ الجنَى ما يطرحُ

بالشَّعْر أم بالمُقلتين معلَّقٌ — من ناظري وخواطري لا يبرحُ

تلك المحاسن في نُهاي جميعها — رفّافةٌ ومغرّداتٌ صُدَّحُ

فإذا غفوتُ فإِنني أُمسي بها — وعلى مَغانيْها الفواتنِ أُصْبح

قلبي الثاني

أحـبـبـتُ مـيَّـة حـبّـاً لا يُـعـادلـه ... حُبٌّ وأفنيتُ فيها العُمرَ أجمَعه

أُحبُّ عمري الذي في قُرب ميَّ وما قد ... مرَّ من دونها ما كان أضـــيـعـه

يا ميّ يا قلبي الثاني أعيش به ... وإن يكن فوق ظنِّي أنّني معه

يا بضــعةً من كيان الصـــبَّ نابضــةً ... بـكـل حـبٍّ بـه الـرحمـن أودَعـهُ

ما أضيع الصبر

ما أضـــيع الصـــبر في جُرح أدار يه　　أر يد أنسَـــى ا لذي لا شـــيء يُنســـيه
و ما مـجانبتي من عاش في بصـــري　　فأ ينـما ا لـتـفـتت عـيـني تلا قـيه؟

ما حيلتي

ما حيلتي يا هند وجهك لاح لي   بأنوثةٍ جبَّارة الطغيان
يا هند أين رجولتي وعزيمتي   في قرب وجه ساحرٍ فتَّان؟
وأنا حزينٌ ظامئٌ قد جدَّ لِي   وردٌ وراء مَعِينهِ شفتان!

يا نسيم البحر

يا نسيم البحر ريَّانَ بطيبِ   ما الذي تحملُ من عطر الحبيب؟

صافحتني من نواحيك يدٌ   تمسح الدمعة عن جفن الغريب

وتلقَّاني رشاشٌ كالبُكا   وهديرٌ مثل موصول النَّحيبِ

ذات ليلة

بين سهدٍ وعذابٍ وضنَى   مرَّ ليلِي ذاك حالي وأنا
أسأل الأنجم عن حال المُنى   يا حبيبي كيف صارت بيننا
كيف أمسى يا حبيبي عهْدُنا   بعدَ ما طابَ هوانا ودنا
كلُّ ما كان بعيداً، ورنا   كلُّ نجمٍ من سماوات السنا؟
آه لو ينظر حالي الآن آه   حينما ضاقت بآلامي الحياه
ندم النَّجمُ على غالي سناه   ورأى كيف انطوينا فطواه

إلى هند

غـرامُـكِ لي مَـعْـبـدٌ طـاهـرٌ دعـائـمـهُ شُـيِّدت مِـنْ ولُـوعـي
تَـعـهـدتُ مـحـرابُـه بـالـوفـاء وأو قدتُ فيه الهوى من شُـموعي
جـوانـبـهُ مـن دُمـوعـيَ قـامـتْ وأضْـلُعهُ بُنيتْ من ضُـلُوعي
ومَـنْ ذا رأى هـيـكـلاً في الـوجُـودِ يُـقـام عـلى عَـمـدٍ مـن دُمـوعِ؟

يا دار هند

إنِّي لأقنعُ مِنْ ظلال أحبَّتي ... بحنانِ أُخت أو بكفٍّ مُسلِّم
وبجلسة طابتْ لدىّ بُغرفةٍ ... حَملتْ عبير الغائبِ المُتوسّم
يا أُخت هند خبّريها أنني ... صبٌّ يعيش بمهجة المتألم
صبٌّ سئِمتُ من الحياةِ بدونها ... أنا لا أحبُّ إذا أنا لم أسأم

***

ومضى النَّهارُ ولا نهار لأنَّهُ ... يمتدُّ عندي كالفراغ المظلم
يا دارِ هندٍ إن أذنت تكلَّمي ... يا دارها عيشي لهندٍ واسلمي
َفدمى الفداءُ لُحبٍّ هندٍ وحدها ... وأنا المقّصِرُ إن بذلتُ لها دمي
ولقد حَلفتُ لها ودمعي شاهدٌ ... أنّي فَنيتُ عَلمتِ أم لم تعلمي

شفاعة

لا تَمحُ رَوعَتَها بذكر فعالها   دعها تَمرّ كما بدتْ بجلالها

لا تنكرنَّ الشمس عند غُروبها   أوَ ما نعمت بِدفئها وظِلالها؟

إن كان فاتكَ مجدُها رَأدَ الضُّحى   فاحمد لها ما كان مِنْ آصالها

قسوة

قَسَت الحياة على الطّرِيدِ   فقم بنا نَنعَى الحياه

وقسا الحبيب على الغريبِ   فلا الدموع ولا الصَّلاه

فرغ الحديث ومن رواه   طُوِي الكتاب فمن طواه؟

عجباً لهذا الحب من   بدء الزمان لمنتهاه

وقضائِه بين الذي   حفظ الوفاء ومن سلاه

قتلى الهوى لا يُذكرون   ولا حساب على الجناه

محنة

هي محنةٌ وزمان ضِيق … وتكشَّفَت عن لا صديقْ

جرَّبت أشواك الأذى … وبلوتُ أحجار الطريقْ

وكأنَّ أيّامي التي … من مصرع ليست تُفيقْ

وكأنَّ موصول الضنى … يَمتاحُ من جُرحِ عميقْ

زرعٌ على ظُلَلِ فذا … أبداً لصاحبه رفيقْ

هذا الذي سَقَت الدُّموع … وذاك ما أبقى الحريقْ

الحب والربيع

جدّدي الحبَّ واذكري لي الربيعا		إنني عشت للجمال تبيعَا
أشتهي أن يلفّني ورق الأَيكِ		وأَثوِى خلف الزُّهور صريعا
آه دُر بي على الرِّفاق جميعاً		واجعل الشَّمل في الربيع جميعا
لا تقل لي اشترِ المسرَّة والجاه		فإنِّي حُسنَ الرُّبى لن أبيعا
فلغيري الدنيا وما في حماها		إنني أعشقُ الجمال الرَّفيعا

***

أنا من أجله عَصيتُ وعُذِّبتُ		وأقسمتُ غيرَه لن أطيعا
وبطيبِ الرَّبيع أقتاتُ زهراً		وعبيراً ولا أُكابد جوعَا
فَهو حسبي زاداً إذا عَفَت الدُّنيا		وأقوَت منازلاً وربوعَا

إلى ابنتي ضوحية

يا من طلبت الشــعر هاك تحيّتي ... وهواي يا روحي ويا ضــو حيّتي
أيُرادُ تفصـــيلٌ لما عندي وكَمْ ... قلــبٍ وموجـز أمـره في لـفـظـة
لـكـن فـنَّ الشــعـر وردُ أحـبـةٍ ... يُهدى فهاك قصــيدتي بل وردتي
والشــعـر روضٌ يـانـعٌ وعـبـيـره ... ســارٍ إلـيـنـا مـن عـبـيـر الـجـنَّـة
وأراك روضـــة رقـةٍ ومـحـاســـنٍ ... هل روضـــةٌ تهدي البيان لروضـــة؟

***

فـإليـك يـا أغـلى عـزيـزٍ يـا ابـنـتـي ... وأحبَّ من تصـــبو إليه مهجتي
تـذكـار والـدك الـمُـحـبِّ وديـعـةً ... فـإذا ذكـرتِ فـهـذه أُمـنـيَّـتـي
والخطُّ مثلُ الرَّســم إن يوماً نأى ... رســمي فللأثر العزيز تلفّتي

غيوم

أملٌ ضائعٌ ولُبٌّ مشرَّد   بين حبٍّ طغى وجُرحٍ تمرّدْ
وضلالٌ مشت إليه الليالي   هاتكاتٍ قناعهُ فتجرّدْ
وبدا شاحباً كيوم قتيلٍ   لم يكد يلثم الصباح المورّدْ
غفر الله وهمها من ليالٍ   صوَّرتْ لي الرَّبيعَ والرَّوضُ أجردْ
قاسمتني الورقاء أحزان قلبي   وشجاهُ وغَرَّدَتْ حين غرّدْ
ثم ولّت والقلب كالوتر الدَّامي   يتيمُ الدُّموع واللحنُ مُفردْ

***

ما بقائي أرى اطِّراد فنائي   وانتهائي في صورةٍ تتجدّدْ
ورثائي وما يُفيدُ رثائي   لأمانٍ شقيةٍ تتبدّدْ
عبثاً أجمع الذي ضاع منها   والمنايا منِّي ومنها بمرصدْ
وبقائي أبكي على أملٍ بالٍ   وأحنُو على جريحٍ موسَّدْ
واحتيالي على الكرى وبجفنيَّ   قتادٌ ولي من الشوك مرقدْ
وشكاتي إِلى الدُّجى وهو مثلي   ضائعٌ صبحه ضليلٌ مُسهَّدْ
وشخوصي إِلى السماء بطرفي   وندائي بها إلى كل فرقدْ
فجعتني الأيام فيه فلم يَبقَ   على الأرض ما يسرُّ ويُحمدْ
ذهبت بالجميل والرائع الفخم   وطاحت بكل قُدسٍ ممجّد
مال ركنٌ من السَّماءِ وأمسى   هلهلَ النَّسج كلُّ صَرحٍ مُمرَّد
ربِّ عفواً لحيرتي وارتيابي   وسؤالٍ في جانحي يتردّد
هو همسُ الشقاء ما هو شَكٌّ   لا ولا ثورةٌ فعدلك أخلد

أين يا ربِّ أين من قبل حيني ... ألتقي مرَّةً بحلمي الأوحد
بخليلٍ ما ردَّه كيدُ نمام ... ولم يَثنِه وشاةٌ وحُسَّد
وحبيبٍ إذا تدفَّق إحساسي ... جزاني بزاخرٍ ليس ينفد
وعناقٍ أُحِسُّه في ضلوعي ... دافقاً في الدِّماء كاليمِّ أزبد

***

ذهب العمر

قضيتَ العمر تذكر لي　　وأذكرُ في الهوى جُرحك
فَقُمْ نسخرْ من الأَمَلِ　　ومن أعماقِنا نضحك

***

وقُمْ نسخر من الدُّنيا　　وقُم نَلهُ مع اللاَّهي
طويتُ صحيفة الأمسِ　　فَدَعها في يد الله

***

هي الدُّنيا كما كانت　　وماذا ينفع الوعظُ؟
وما عتبتْ ولا خانتْ　　ولكن خانك الحظّ

***

أردنَا الجاه والذَّهَبا　　فلم يتلطَّفِ المولَى
وهذا العُمر قد ذهبَا　　وأحسنُ ما به ولَّى

رباعيات

صــيَّركَ الحســن أميرَ الوجود والشـــعــر مــن درّاتــه كَـلَّـلَـكْ
مســتلهماً منك معاني الخُلود فـكـل تـاجٍ في الـعـلا مـنِـك لـكْ

***

فَـنَـاهِـبٌ بـرق الـثـنَّـايـا الـعـذاب وســـارقٌ يـاقـوتـةً مـن فـمـك
وكُلُّ تغريد الهوى والشَّــبابْ أغـنـيّـةٌ حـامـت عـلى مـبسَـــمِـك

***

وذلـكَ الـمـاسُ الـرَّفـيـعُ السَّـــنَـا والـجـوهـرُ الـغـالي الـذي صِـــدتُـهُ
أرفـع مـن فِـكْـرِ الـورى مَـعْـدِنـا وكـل فضـــلي أنَّـنـي صُـــغـتُـهُ

***

لا فكر لي عشـــتُ على فكرتك أقـبـسُ مـا أقْـبـسُ مـن غُـرَّتـكْ
ودمـعـتـي تـقـتـاتُ مـن عـبـرتـك فـانـظُـر بـمـرآتي إلى صُـــورتـك

***

أشــقانيَ الحبُّ وقلبي ســعيدْ يَـعُـدُّ هـذا الـدمـع مـن أنـعـمـك
أجـزلُ مـا كـافـأ هـذا الشـــهـيـد بـلـوغُـهُ الـمـجـد عـلى سُــلَّـمـك

***

لا شــيء من يوم النَّوى مُنقذي إني امرؤٌ عنكَ وشــيكُ المســير
وأنـت بـاقٍ والـجـمـالُ الـذي غنّى به شِــعْري ليومي الأخير

***

انـظُـر إلى آيـات هـذا الـجـمـال تـرتـدُّ عـنـهـا عـاديـات الـبِـلَـى
عـاجـزةَ الـبـاع ويـأبـى الـزَّوال لـوردةٍ مـن عَـدن أن تـذبـلا

***

للأنفسُ الظَّمأى إليك التفاتْ ولهفةٌ ملءَ اللّحاظ الجياع
ولي التفاتٌ لسري الصّفات واللؤلؤِ اللمَّاح خلف القناع

***

قلبي مع النَّاس وفكري شَرُود في عالم رَحبٍ بعيد الشِّعابْ
عيني على سرٍّ وراء الوجود وبُغيتي عرشٌ وراء السحابْ

***

كم طرتَ بي واجتزتَ سُورَ الضبابْ والضوءُ ملءُ القلب مِلءُ الرحاب
وعُدتَ بي للأرض أرض السَّراب والليلُ جَهمٌ كجناح الغُراب

***

أريتَني الغيب الذي لا يُرى كشفتَ لي ما لا يراهُ البصر
ثم انحدرنا نستشفُّ الثَّرَى علّ وراء التُّرب سرَّ السَّفَرْ

***

صدري وسادٌ زاخرٌ بالحنانْ تصوُّري أعجب ما في الزمان
موجٌ على لُجَّتهِ خافقان قَرًّا على أرجوحةٍ من أمان

***

كمركب في البحر يومَ اغتراب ما أبعد المحنة بعد اقتراب
هيهات يُنجِي من شُطوط العذابْ إلا عبابٌ دافقٌ في عُباب

***

ملأتُ كأسي وانتظرتُ النَّديم فما لساقي الرُّوح لا يُقبلُ
شوقي جحيمٌ وانتظاري جحيم أقلُّ ما في لفحِهِ يقتلُ

***

أنتَ كريمُ الودِّ حُلو الوفاء فما الذي عَاقَكَ هذا المساء؟
وما الذي أخَّر هذا اللقاء وحرَّم النَّبْعَ وصدَّ الظِماء؟

***

أذمُّ هـذا الـوقـت في بُـطـئِـهِ آخـرهُ يَـعـثُـر في بَـدئِـهِ
لله مـا أحمـلُ مـن عِـبـئِـهِ ومـا يُـعـاني الـقـلـبُ مـن رُزئِـهِ

***

تـدقُّ فـيـه سـاعـةٌ لا تـدور وإن تَـدُر فـهـو صـراعُ الـلُّـغـوب
رنـينُـهـا يُـقـلـق صُـمَّ الصُّـدور وطَـرقُـهـا يَـقْـرعُ بـاب الـقـلُـوب

***

يا ذاهباً لم يَشفِ مِنِّي الغليل ما أسرع العقربَ عند الرَّحيل
هتفتُ: قف لم يبق إلا القليل وكـلُّ حـيٍّ سـائـرٌ في سـبـيـل

***

يـومٌ تـولّـى أو ظـلامٌ سَـجـا كـلاهمـا بـالـقُـرب مـنـك انـتـصـار
أأحمـدُ الـيـوم تـلاهُ الـدُّجـى أم أحمَـدُ الـلـيـلَ تـلاهُ الـنـهـار؟

***

إن نَـوَّر الـنـجـم بـه مـرَّةً فـإن إشـراقَـكِ لي مـرّتـان
وكـيـف يُـبـقـى الشـكُّ لي حيـرةً ولي عـلى بـرج الـمُـنـى نـجـمـتـان؟

***

فـهـذه تـلـمـعُ في خـاطـري مِـلءُ دمـي إشـراقُـهـا والـبـهـاءْ
وهـذه تُـومِـئُ لـلـسَّـاهِـر والـلـيـلُ صـافٍ وأديـمُ الـسـمـاء

***

وهـذه تـجـلُـو كـثـيـف الـغُـيـوم وهـذه تَـدرَأُ عـنـي الـهُـمـومْ
وتَمحقُ الحزنَ وتَأسُو الكلُوم فما الذي أجرَى دموع النُّجوم؟

***

هـيـهـات أنســى دُرَّة الأنـجـم　　إِلَيَّ مـن آفـاقـهـا تـرتـمـي
وفي جـريـح أعـزلٍ تـحـتـمـي　　مـن أيِّ هـولٍ؟ هـي لم تـعـلـمِ

***

إنَّ ضــلُوعاً تحتمي في ضــلُوعْ　　مـقـادرٌ لـيـسَ بهـا مـن رجـوع
أخلدُ أصــفاد الجوَى والنزوع　　هـوى الـحـزانى وعـنـاقُ الـدمـوع

***

رضــيتُ بالدَّهر على ما جَنَى　　وأُبتُ بالحكمة بعد الجنون
ومـرّ يـومـي هـادئـاً سـاكـنـاً　　وأيُّ شـيءٍ خـادع كـالسـكـون

***

أرنو إلى الصَّــحراءِ حيثُ الرِّمالْ　　نـامـتْ كـأنَّ الـلـفـحَ فـيـهـا ظِـلالْ
يـا لـيـت لي والـدَّهـرُ حـالٌ وحـالْ　　من وقدة الإِحســاسِ بعض الكلال

***

فـأقـبـلُ الـدُّنـيـا عـلى حـالِـهـا　　مُسـلِّـمـاً بـالـغَـدْرِ في آلـهـا
وراضـيـاً عـنـهـا بـأغـلالـهـا　　مُـحـتـمـلاً وطـأة أثـقـالـهـا

***

الـرُّعـبُ سـيَّـان بهـا والأمـان　　والـحسـن زادٌ سـائـغٌ لـلـزَّمـانْ
والـوهـمُ في حـالاتهـا كـالـعِـيـان　　والـحـبُّ والـكـره بهـا تـوأمـان

***

وَدِدتُ لو قلبي كهذي القفار　　أصـمُّ لا يسـمـع مـا في الـديـار
أعـمـى عـن الـلـيـل بهـا والـنـهـار　　وددتُ لـو قـلـبـي كـهـذي الـقـفـار

***

وددتُ لـو عـنـديَ جـهـل الـثَّـرَى　　تَـعـمُـرُ أو تُـقـفـرُ هـذي الـبـيـوت
غـفـلان لا يـعـنـيـه أمـرٌ جـرى　　أيُـولَـد الـحـيُّ بهـا أم يـمـوت

***

وليلةٍ تمضي وأخرى وما جئتَ فهل ألهاك عني أحد؟
ما ضاء من ليلاتنا أظلما والسبت خَدَّاعٌ بها كالأحد

***

يمتلئ السطح على ضيقه والوقت عندي كانفساح الأبد
حسدته والقلبُ في ضيقه أنا الذي لم أدرِ طعم الحسد

***

وذلك «الجاز» وهذا النغم منتقلاً بين الرضا والألم
يحمل لي طيف خيالٍ قَدِم تراه عيني في ثنايا حُلُم

***

في واحةٍ يرسو عليها الغريب فكلُّ ما فيها لديه غريب
وهكذا الدنيا خداعٌ عجيب إذا خلتْ أيامها من حبيب

***

وهكذا يومٌ ويومٌ سواه ينكرها القلب الصَّبورُ الحمُولْ
وهكذا يذهب طِيْبُ الحياة بين التمنّي واعتذار الرَّسولْ

***

هُنا مِهادُ الحبِّ هل تذكرين؟ وها هُنا بالأمس طابَ السَّمرْ
وتلكَ أحلامُ الهوى والسنين يحملُها التَّيارُ فوق النَّهَرْ

***

والقمرُ الفضيُّ بين الغُيوم يخفقُ كالمنديل عند الوداع
يا حَسرتا هل صوَّرتُه الهمومْ كالزَّورقِ الغارقِ إلا شِراعْ

***

قد جلَّلتهُ غيمةٌ عابرة تسحبُ أذيال الأسى والنَّدمْ
وأغرقتهُ موجةٌ غامرة فأطبق الصَّمتُ وَرَانَ العدمْ

***

ضممتُ أضلاعي على نعشهِ فلم يزل فيها لهاوٍ شعاع
لأي غورٍ زال عن عرشهِ وغاص في اللُجِّ إلى أيِّ قاع

***

أرثي لحظّ الأُفق وهو الذي يرمقني بالنظرة الساخره
وتهرب الأنجم هذي وَذِي ويجثم الليل على القاهره

***

ويزحف الكون على خاطري كأنه في مقلة الساهر
سَدٌّ من الرُّعب بلا آخر يعبُّ عبَّ الأبد الزاخر

***

وفي ظلال الموت موتِ الوجود وخلفَ أطلال البِلى والهمود
وبين أنفاس الرَّدى والخمود وتحت سُحبٍ عابساتٍ وسود

***

تدفعني عاصفةٌ عاتيه تقصف من خلفي وقُدَّاميه
قد مزّقتْ روحي وآماليه وقرَّبت لي طرَف الهاويه

***

تلمعُ في الظلمةِ أحداقُها قَدْ رحَّبَتْ باليأسِ أعماقُها
شافيةُ النفسِ وترياقُها مشتاقةٌ أقبل مشُتاقُها

***

قد كان لي عندك عزُّ الذَّليل وكان للآمال ومضٌ ضئيل
يلمع في ظَنِّيَ قبل الرَّحيل فانطفأ النُّور ومات القليل

***

فـداك يـا جـاهـلـةً مـا بِـيَـهْ   قلبي وأنفاسي الظِّماء الحِرار

وكيف أنسى ليلتي الداميه   ولهفتي أَلَهثُ خلف القطار؟

***

وعـودتي أجـرع كـأس الـحـيـاة   مُـعـاقِـراً سُـمَّ الـفـنـاء الـبـطـيءْ

أُنـكِـرُ أو أفـزع مـمـن أراه   سيان من يذهبُ أو من يجيءْ

***

وليلةٍ فاضت بوسواسها   تعجبُ من إلفين بين البَشَر

ذلـك يـعدو خـلـف أنـفـاسـهـا   وهـذه تـتـبـعُ سـيـر الـقـمـر

***

تـتـبـعـهُ بـيـن الـرُّبـى والشِّـعـابْ   تتبعُه يَسْري خلال السَّحابْ

كم هلَّلتْ وهو يضيءُ الرِّحابْ   والتفَتت محسورةً حِينَ غابْ

***

وذلك الطِّفلُ اللهيفُ الغيُورْ   في فَلَكٍ من ضوء ليلى يدُورْ

يقفُو خُطاها وهي بين الطّيورْ   لـهـا جـنـاحـان مـراحٌ ونـورْ

***

كـزورقٍ يـعـبـرُ بـحـر الـوجـوْد   لـهُ شـراعـان ولـحـظٌ شَـرُود

كم شرَّقا أو غرَّبا في صعود   وارتـفـعـا حـتَّـى كـأنْ لـن يـعـودْ

***

ليلى ارجعي إنِّي شقيٌّ كئيبْ   أهـتِـفُ مـفـقُـودَ الـهُـدَى والـقـرارْ

يـا هـاتـه الأوطـان إنِّـي غـريـب   وعـالـمـي لـيـس هـنـا يـا ديـارْ

***

تـركـتـنـي وحْـدي وخـلَّـفـتـنـي   أرزحُ تحت المُبكيات الثِّقال

أنـكـرتِ مـيـثـاقـي وأنـكـرتـنـي   أَكُـلُّ مـاضـيـنـا ولـيـد الـخـيـال؟

***

فرغتُ منْ أحلامه وانطوى بِمُرِّهِ وارتحتُ من عَذْبهِ
الأمرُ ما شئتِ فذنبُ الهوى على الذي يكفُر يوماً بهِ

***

كان إلى الله سبيلي وما كان إلى الإيمان دَربٌ سواه
وكان في جُرح الهوى بَلسَما وكان عندي مِنحةً من إله

***

مهما تكن ناري فإنّ الجحيمْ أرأفُ بي من ظُلم هذا البعاد
ورُبّ هَمّ مُقعِدٍ أو مقيمْ قد لطَّفَتهُ نسماتُ الوداد

***

فخفَّتِ النار وقرَّ الهشيم وعاودتني الذِّكَرُ الغابره
والنيلُ يجري هادئاً والنَّسيم مُعربدٌ في الخُصَلِ الثائره

***

كم تهتفُ الأيَّامُ: خانتْ فَخُنْ ويحَ حياتي إن تَخُنْ أمْسها
إن هُنتُ هذا عهدُها لم يَهُنْ ولا لياليها وإن تَنَسْها

***

تُهيبُ بي الفرصةُ قبل الفوات ويعرضُ الصَّيد فلا أقنصُ
إني امرؤٌ زادي على الذِّكرياتْ وما غَلا عِندي لا يرخصُ

***

ومطلبٍ في العمر ولَّى وفاتْ وكان همِّي أنَّهُ لا يفُوتْ
كأنَّ فجراً ضاحكاً فيَّ مات وملءُ نفسي مغربٌ لا يموتْ

***

في السَّــأم الـحيِّ الـذي لا يَـبـيـد والأمـلِ الـطَّـاغـي بـأن تَـرْجـعـي
أجـدِّدُ الـعـيـشَ ومـا مـن جـديـد وأدّعـي السّــلـوان مـا أدَّعـي!

***

كـمْ خـانـنـي الـحـظُّ ولا أنْـثـنَـي أقضـــي زمـاني كُـلَّـه في لَـعَـلْ
وتُــقســـمُ الــمــرآةُ لي أنَّــنــي رَقَّـعـتُ بـالآمـال ثَـوْبَ الأجَـلْ

***

قد فاتني الصَّــيفُ و خانَ الرَّبيعْ وكـان همِّـي كُـلُّـهُ في الـخـريـفْ
و ما شــكاتي حينَ شــملي جميعْ وأنــتِ لي أيــكٌ وظِـلٌّ ورِيْــفْ

***

والآن قـد مـزَّقَ عـنـدي الـقـنـاعْ موتُ الأبا طيل وز حفُ الشِّـــتاء
وبـدَّد الـوهـمَ وفـضَّ الـخِـداعْ بَـردُ الـمـنـايـا وشـــحـوبُ الـفـنـاء

***

وَأسِــفَ الـقـلـبُ لـكـنـزي الـذي غَصَّـــتْ بـه أفـئـدةُ الـحُسَّـــدِ
صـــحوتُ من و همي ولا كنزَ لِي قـد صَــفِرتْ مِنْـهـا ومِـنـهُ يَـدي

***

أيــن زمــانٌ مُـكـتـسٍ يـومُـهُ با لحبِّ مَوشِـــيٌّ بحُلم الغد؟
مــن هــاتــه الأيــام مـحـرومـةً عــريــانــةَ الآمــال والــمــوعــد

***

قـد قـتـلَ الـدَّهـرُ هـنـائـي كـمـا ما تتْ بثغري ضــحكاتُ السـعيد
وربَّـــمـــا رقَّ زمـــانٌ قسَـــا فا نعطف الجافي ولانَ الحديد

***

مــحــقِّـقُ الآمــال أو واعــدٌ بـفـرحـةٍ يـوم لـقـاء وعـيـد!
فـإن يَـعـدِني ثـار شـــكِّـي بـه كـأنَّـمـا وعـدُ الـلـيـالي وعـيـدْ

***

واأســفـاً هـذا ســجـلٌّ كُـتِـبْ خَطَّتهُ كفُّ القدَرِ المُحتَجبْ
فـفـيـم عَـودِي لـقـديـم الـحِـقَـبْ وفـيــم تَســآلي عـمَّـا ذهــب؟

***

ضـاقت بنا مصرُ وضـقنا بها وكُلُّ سـهل فوقَها اليومَ ضـاقْ
وضــاقـتِ الـدُّنـيـا عـلى رَحْبِـهـا أيــن نـدامـاي وأيــن الـرِّفـاق؟

***

كـفٌّ تَـلُـمُّ الـعُـمَـر والـعُـمْـرُ راحْ وقبضـةٌ تجمعُ شـمْلَ الرِّياحْ
لا حَـبَـبٌ بـاقٍ ولا ظِـلٌّ راحْ لـيـلٌ تـولَّـى وتـولَّـى صَـبـاحْ

***

هـذا نهـارٌ مـات يـا لَـلـنَّـهـار كــل مســاءٍ مصـرعٌ وانهـيـار
مـال جـدار الـنـور بـعـد انـحـدار وغـابـت الشَّـمْـس وراءَ الـجِـدار

***

وذا مســاءٌ صَـبـغـتُـه الـهـمُـومْ بـلـونهـا الـقـاني وهـذي غُـيـوم
تـحـوُم والـظُّـلـمـةُ فـيْـهَـا تـحُـومْ تـبـسـطُ مـهـداً لـيّـنـاً لـلـنـجُـومْ

كـأن ثـوبـاً في السَّـمـاءِ احـتـرقْ فلم يَزُلْ حتَّى استحالَ الأُفقْ
ظِـلَّ دُخـانٍ أو بـقـايـا رمَـقْ ولمْ يـعُـدْ إلا ذيُـولُ الشَّـفـقْ

***

وتزحفُ الظَّلماءُ زحْفَ المُغير حـاجـبـةً مـا دُونهـا كـالسِّـتـارْ
وكـلُّ حـيٍّ وادعٌ أو قـريـرْ ما اختلف الشَّأنُ ولا الحظُّ دار

***

الـعـيـشُ أمـرٌ تـافـهٌ والـمـنـونْ والحكمةُ الكُبرى بها كالجنُون
وهكذا نمضــي وتمضــي السُّــنونْ وهـكـذا دارت رحـاهـا الـطَّـحُـونْ

***

في شَــجِّـهـا حـيـنـاً وفي طَـعـنِـهـا ســيـنقضــي العمرُ وأين الفرار؟
وثـورةُ الشــاكـيـن مـن طـحـنـهـا نـوحُ الشــظـايـا وعـتـابُ الـغُـبـار



المختار من قصائده المجهولة

القصائد المجهولة

ترك شاعر الأطلال ، ناجي العديد من قصائده المخطوطة والمنسية على صفحات المجلات والصحف القديمة تغطي الفترة من عام ١٩٢١ حتى رحيله في مارس ١٩٥٣م .

وقد اخترت هذه القصائد المنسية من عدة مصادر هي :

١ – من مجلات : الرسالة ، الثقافة ، الاستديو ، العالم العربي ، الأديب البيروتية ، والحديث (الحلبية) .

٢ – مقالات وديع فلسطين في مجلة الأديب البيروتية عام ١٩٦٣ عن قصائد ناجي المنسية .

٣– كتاب محمود الشرقاوي (ناجي، الشاعر والإنسان) .

٤ – كتاب : ناجي : القصائد المجهولة للشاعر حسن توفيق عام ١٩٧٨.

٥ – كتاب : ناجي، حياته وشعره لصديقه الشاعر صالح جودت الصادر في القاهرة عام ١٩٦٠.

وقد سلمتني كريمة ناجي السيدة / أميرة إبراهيم ناجي في لقاء منذ بضع سنوات بعض قصائد ناجي المجهولة وأخبرتني أنها قد سلمت كل القصائد المخطوطة والمنشورة في المجلات للشاعر حسن توفيق ، حيث أورد حوالي مائة قصيدة في كتابه قصائد ناجي المجهولة .

وقد رجعت إلى كل هذه المراجع والمصادر واخترت حوالي ٣٥ قصيدة من بينها وهناك عدة ملاحظات على تلك القصائد المجهولة والمنسية وهي :

بعض تلك القصائد كانت مسودات لقصائده المطولة التي نشرها بعد تعديلها فيما بعد مثل قصائده (الخريف، الأطلال، ليالي القاهرة) .

نشر ناجي العديد من المقطوعات القصيرة في بعض الفنانات والأديبات اللائي ألهمنه الشعر بناء على طلبهن مثل سامية جمال – سهام رفقي – شهرزاد ، والشاعرة الصحفية أماني فريد .

***

لقد قرأت كل آثار ناجي المنشورة في الصحف والمجلات والمخطوطة أو التي نشرت في بعض الكتب واخترت هذه الباقة من شعره المنسي ومن بينها بعض قصائده الشهيرة في صورتها الأولى قبل تعديلها ونشرها بعد ذلك في ديوانيه وراء الغمام وليالي القاهرة ، وفي ديوانه الثالث (الطائر الجريح) الذي نشر عام١٩٥٧، بعد رحيله بإشراف صديقه الشاعر أحمد رامي وبمقدمة الشاعر محمد عبد الغني حسن آملاً أن تفي هذه القصائد بالغرض لتقديم هذه المختارات من شعر ناجي بجانب أعماله الكاملة التي صدرت قبل ذلك في عدة طبعات في القاهرة وبيروت.

وأود هنا أن أثمن جهود كل من قام بجمع ونشر قصائد ناجي المعلومة والمنسية، وكل من قام بدرا سة وتحليل شعره ومنهم الشعراء والأدباء: صالح جودت، وأحمد رامي ، ومحمد عبد الغني حسن ، ووديع فلسطين ، وحسن توفيق، وبشير عياد ، فكانت جهودهم الطيبة هي بمثابة العلامات المضيئة على طريق دراسة حياة شاعر الأطلال، إبراهيم ناجي ، وشعره ، كما لا أنسى الفنان المبدع جمال قطب (١٩٣١-٢٠١٦) الذي أبدع بورتريه الغلاف ، فعبر عن روح ناجي وأعماقه المضيئة.

مناجاة الهاجر

أنتِ التي بعثت إليَّ خيالها — يوماً يلوم على قليلِ نعاسِ

صبراً لقد هجر الكرى وهجرتِني — فكلاكما مُرُّ القطيعةِ قاسِ

إِن نمتُ فَهوَ رقادُ منهوكِ القوى — تمضي لياليه بلا إِيناسِ

تمضي كما مضتِ الليالي قبلها — لا أنتِ ذاكرةٌ ولا أنا نَاسِ

***

ما هاته النُسُمُ التي هبَّت على — وجهِ الغدير عليلةَ الأنفاسِ

ما بالها عطفت على زهراته — ما بين إِشفاقٍ ولينِ مساسِ

من نامَ منها قبَّلته ومن بكى — فله من الريحِ الطبيبةِ آسِ

وأنا الذي ذبلت زهورُ شبيبتي — وجرى الأوارُ اليومَ في أغراسي

أمسيتُ لا نسماً ولا كلماً ولا — قلماً يخطُّ الصبرَ في قرطاسي

ما هاته النارُ التي قد أوهنت — جَلَدِي وهدَّت قوتي ومراسي

أكلت ذكائي في النضوج وسطَّرت — في عارضيَّ رسائلَ الأرماسِ

والله ما أدري أذاكَ رمادُهَا — أم أنه وَخطُ المشيبِ براسي

***

لو كان يغني الدمعُ كان لها غنىً — سيظلُّ ما عشنَا حديثَ الناسِ

لكنَّ هذا المالَ ليسَ بنافعٍ — والروحُ مقبلةٌ على الإفلاسِ

(قصائد مجهولة) نشرت هذه القصيدة في نوفمبر ١٩٢١م

الذكرى (*)

«إلى حبيب مريض»

هل تأمرينَ فأفتدِي وأقيكِ ... لو كان فوق الروحِ ما يفديكِ
أمسيتُ أقلَقَ راقدٍ في مضجعٍ ... وكذلكَ يمسي مَن يفكِّرُ فيكِ
مستعرضاً صوَرَ الهوى وفصولَه ... من كلِّ ثاوٍ في النهى متروكِ
من محزنٍ مشجٍ ومن مستنهضٍ ... جبلاً وَهى من عزميَ المدكوكِ
وقديمِ سرٍّ في هواكِ كتمتُه ... أبداً وآخرَ ظاهرٍ مهتوكِ

***

ولَرُبَّ آمالٍ عليكِ حبستُها ... وخشيتُ لو تبدو قِتالَ ذويكِ
كالطيرِ لو كانت تطيرُ لأسرعت ... ظمآنةً نحو الحياة بفيكِ
أطلقتُها وفككتُ عنها قيدَها ... حتى بلغْتُكِ بالمنى المفكوكِ
فدنوتُ حتى إذ ضممْتُكِ باكياً ... وجعلتُ حولك هالةً تحميكِ
فإذا الخيالُ مكذَّبٌ وإذا الفؤادُ ... معذَّبٌ عبثت به أيديكِ

***

ولقد مرضتِ فرحتُ أشقَى ذاكرٍ ... يبكي لأجلكِ كلما ذكروكِ
جندُ السقامِ وتلك جندُك في الهوى ... من أيّ عهدٍ أصبحت تغزوكِ
يا زهرتي لم أدرِ هل عَرَقُ الضنى ... هذا عليكِ أم الندَى يعلوكِ
ولقد ظمئتِ فكدتُ أبذلُ مدمعي ... لو كنتُ أعلم أنه يرويكِ
ووددت لو أنَّ الحياةَ تحولت ... ماءً وإني ماءها أسقيكِ

(*) أبوللو : سبتمبر ١٩٣٣ وسبق نشرها عام ١٩٢١ (قصائد مجهولة)

لكنَّ تلك حياةَ صبٍّ بائسٍ   عَرَفَ الردى مما يكابدُ فيكِ
ملئت بكاء فاستحالت مُرّةً   فغدت كمثلِ الدمعِ لا تغنيكِ
رفقاً بمهجتي التي تدرينها   قفراً رماه الحظُّ من واديكِ
وَضَعَت بساحتِكِ الرجاءَ وأقسمتْ   بالحبِّ والإخلاصِ لا تعدوكِ

نشرت في ديسمبر ١٩٢١م

إلى القمر

قـل تـمـهـل واصـطـبـر سَـكِّـن خـفـوقَـكَ واسـتـقـر
أتـجـنُّ مـن صُـورِ الـطـبـيـعَـةِ رائـعـاتٍ لـلـنـظـر
ذكـرنَ إلـفـاً غـائـبـا آهـاً عـلى تـلـك الـذِكَـر
يـا عـيـنُ هـل تـجـديـنَـه يـبـدو بهـاتِـيـكَ الصـور

***

يـا عـيـنُ لا نـومٌ ولا تـدريـنَ مـا بـعـدَ الـسـهـر
سـلي شـجـونَـكِ بـالـنـجـوم عَـقَـدنَ عـرسـاً لـلـقـمَـر
سـلي قـلـيـلاً واهـدئـي أَأُضَـيِّـعُ في الـدمـعِ الـعُـمُـر
يـا بـدرُ قـل لي بـعـدَ بـؤسِـك كـيـفَ صـافـاكَ الـقـدر
لـحْ في سـمـائِـكَ لـلـعـيـونِ أو اخـتـبـئ بـيـن الشـجـر
أنـا لا أبـالي بـالضـيـاءِ عـلى جـوانـبـكِ انـتـشـر
يـمـتـدُّ في الآفـاقِ أويـثـوي عـلى وجـه الـغُـدُر

***

قـل لي وأنـتَ خـزانـةٌ في طـيِّـهـا الـغـيـبُ اسـتـتـر
قـل لي لـعـلَّـكَ مـنـجـدُ ألـديـكَ عـنْ لـيـلىَ خـبـرْ؟
لـيـلَـى! لـقـد زارَ الـبـلى قـلـبـي وطـيـفُـكِ لم يَـزُر
عصـفـت ريـاحُ الـهـجـر منكِ وأنـتِ أقسـى مَـن هَـجَـر
وهـواكِ حـول كـيـانـه لـهـبٌ يـقـيـه مـن الـغِـيَـر
لـهـبٌ تُضـاعِـفُـه الـريـاحُ فـكـلـمـا بِـنـتِ اسـتـعـر

نشرت في أبريل ١٩٢٢م

الختام

ليلى! أَبعدُكِ أم جفاؤكِ أفدحُ   والموتُ فيكِ أم الجنونُ الأربح
عجباً لقلبٍ هيضَ فيك جناحُه   وثوى به نَصلُ الندامةِ يذبحُ
ومضَى الحِمام يدبُّ فيه فإن جَرَت   ذكراكِ طارَ إليكِ وَهوَ مجنَّحُ
لهفي على الناقوسِ بين جوانحي   وعلى بقيةِ هيكلٍ لا تصلحُ
لا فرقَ بين أنينِه ورنينه   وصداه في وادي المنيَّةِ أوضحُ

***

يا قلبُ صهباءُ الهوى وبساطُه   وكؤوسُه المتجاوباتُ الصُدَّحُ
وقفٌ على متنقلينَ على الهوى   يبغون من لذَّاتِه ما يسنحُ
متبدلينَ موائداً وأحبةً   ما خابَ مِن حبٍّ فآخرُ يفلحُ
فالحب آسيه وراءَ عليله   فيهم وبلسمُه على ما يجرحُ

***

يا قلبُ ويحَ ثباتِنا ماذا جنى   أترى شعاعاً في الدجنَّة يلمَحُ
يا أيها الحبُّ المقدَّسُ هيكلاً   ذاقَ الردى من عابديك مُسَبِّحُ
كثرت ضحاياه وطال قيامُه   وصيامه فمتى رضاءَك تَمنحُ؟!
يا دوحةَ الأرواحِ يُحمَدُ عندها   فيءٌ ويعبد زهرُهَا المتفتحُ

***

أينالُ ظلَّكِ والرعاية عابثٌ   بجلالكِ البادي وآخرُ يمزحُ
ويبيتُ يُحرَمهُ قتيلُ صبابةٍ   قَضَّى الحياةَ إلى ظلالِكَ يطمحُ
ليلى حبيبُتكِ كالحياةِ وذقت في   ناديكِ كأساً بالأماني تطفحُ
فتكسرت قدحُ المنى ورجعتُ مِن   سقمِ الهوى وهزالِه أترنَّحُ
نزل الستارُ على الروايةِ وانقضت   تلك الفصولُ وفُضَّ ذاك المسرحُ

فالآنَ يا ليلى سلامَ مودِّعِ بانٍ خيالُكِ ليسَ عنه يبرحُ
يجزيكِ عن قلبٍ ذوى نبتُ المنى فيه وفارقه الربيعُ المفرحُ
عمراً سيلبثُ رهنَ حبِّكِ كله يُمسي على ذكراكِ فيه ويُصبحُ

نشرت في نوفمبر ١٩٢٢م



الصورة

رَســـمَ الــحــبــيــبِ الأوَّلِ دعــنــي لــحســـنِـكَ أجــتــلي

بـــنـــواظـــرٍ مـــقـــروحـــةٍ بـــالـــنـوم لم تـــتـــكـــحَّـــلِ

دعـــهـــا تـــعـــبٌّ ســـنـــاكَ فـــهـــيَ شـــقـــيـــةٌ لم تـــنـــهـــلِ

بـــالصـــبـــر بـــالآلامِ هـــل حـمـــلـــتـــكَ إلا أنـــمـــلي؟

إني أغـــارُ مـــن الـــظـــلامِ وأنـــتـــمـــا في مـــعـــزلِ

وأقـول كُـن بـيـنَ الضـلـوعِ وفي الـجـوانـح فـانـزلِ

فـهـنـاكَ قـلـبٌ لم يـخـن عـهـداً ولم يـتـبـدلِ

يـلـقَـى ضـيـاءَك بـالسـجـودِ كـعـابـدٍ في هـيـكـلِ

***

يا رسمُ من أعطَى الهوى مفتاح قلبي المقفلِ
في حبه فَنِيَ الصِّبا وشبابُ أيامي جَلِي
يا ويحَ ما ضيَّعتُ فيهِ من قليلِ مخجلِ
ماضيَّ ضاعَ ولو قدرتُ لجدتُ بالمستقبلِ

***

يا رسمُ كم مِن ليلةٍ أبكي وأستبكيك لي
قل هل تركتُك مرةً بالدمعِ غير مبلّلِ؟
حتى رجعتَ مخادِعاً ومضيتَ جدَّ مضلَّلِ
أرنو لدمعي بادياً في وجهِكَ المتهللِ
فأخال عينَكَ هزَّها شكوى الغريبِ المهمَلِ
فبكت وتلكَ دموعها هذي تسيلُ وذي تلي
يا رسم كم معنى حملتَ لناظرِ المتأملِ
تلك الشفاهُ الحانياتُ على أرَقِّ مقبّلِ
عمَّ ابتسمنَ إذ انفرجنَ أعَن عتابٍ مرسلِ
أم عن قساوةِ هاجرٍ في الناعِمينَ مدلّلِ
تلك العيونُ الرامياتُ سهامَهُنَّ بمقتلي
كم هِجنَ أشجانَ الشجيِّ ونلنَ من قلبِ الخلي

نشرت في أغسطس ١٩٢٣م

صخرة الملتقى(*)

سألتك يا صخرةَ الملتقى ... متى يجمع الدهرُ ما فرَّقا

فيا كعبةً شهدت هائمَين ... أفاءا إلى حسنها المنتقَى

إذا الدهرُ لَجَّ بأقداره ... أخذنا على ظهرِهَا الموثقَا

أرقّ الهوى عندها مجهداً ... وأنَّ النسيمُ بها مرهقَا

***

رَمى البحرُ نحوكِ أمواجَه ... فعاندتِ تيارَه الأزرقَا

وصدت نواحيكِ هدارةً ... كما أغضبت أسداً موثقا

قرأنا عليكِ كتابَ الحياة ... وفض الهوى سرَّها المغلَقا

نرى الشمسَ ذائبةً في المحيط ... وننتظر البدرَ في المرتقَى

إذا نشر الغربُ أثوابَه ... فأطلقَ في النفس ما أطلقَا

نقول هل الشمسُ قد خضّبته ... وخلَّت به دمَهَا المهرقَا

أم الغربُ كالقلب دامي الجراح ... له طلبةٌ عزَّ أن تلحقَا

فيا مهجةً خلف هذا الغمام ... بكت نضرةً وصباً رَيِّقَا

ويا صورة في نواحي السحاب ... رأينا بها همَّنَا المغرقَا

لنا الله من صورةٍ في الضميرِ ... يراها الفتى كلَّما أطرقَا

يرى صورةَ الجرح طيَّ الفؤادِ ... ما زال ملتهباً محرقَا

فيأبى الوفاءُ عليه اندمالا ... ويأبى التذكُر أن يشفقَا

(*) السياسة الأسبوعية: ٦ أغسطس ١٩٢٧.

***

و يا صــخرةَ العهدِ جاشَ العباب ولاقــاك مــحــتــدمــاً مــحــنــقَــا

وجــاورك الــقــفــر يــعــيــي الــظــنــونَ إذا الــفــكــر في كــنــهِــه حــقَّــقَــا

أرى في الــعــبــابِ كــفــاحَ الــحــيــاة وتــيــارهــا الــجــارفَ الأحمــقَــا

وألــمــح فــيــهــا عــراكَ الــرجــال إذا لاحَــقَ الــزورقُ الــزورقَــا

وكــيــف عــلى رُحــبِ هــذا الــمــجــال نــنــزلُــهــا مــنــزلاً ضــيِّــقَــا

***

و قفتُ على اليمِّ أســألُ نفســي بــعــيــدَ الــهــواجــسِ مســتــغــرقَــا

هــل الله مــن قــبــلِ خــلــقِ الــحــيــاة أراد عــلى الــمــوج أن تــخــلــقَــا؟

ومــثَّــلَ في الــقــفــر لــغــزَ الــحِــمــام لم نــكــتــشــف ســره الأعــمــقَــا

أرى في ابيضــاضِ الرمالِ المشــيب والــكــفــن الشــاحــب الــمــقــلــقَــا

أرى في الســرابِ غــرورَ الــنــفــوس والأمــلَ الــخــائــبَ الــمــخــفــقَــا

وقــد جــعــل الله ذا الصــخــرَ بــيــن الــحــيــاةِ وبــيــن الــبــلى مــوبــقَــا

ومــثَّــلَ فــيــه عــتــوَّ الــدهــور لــن تســتــبــاح ولــن تــخــلــقَــا

تــريــد الــحــيــاةُ لــقــاءَ الــمــمــاتِ ولا يــأذن اللهُ بــالــمــلــتــقَــى

ويــا صــخــرةَ الــعــهــد أُبــتُ إلــيــكِ وقــد مَــزَّقَ الشــمــلَ مــا مــزقَــا

أريــكِ مشــيــبَ الــفــؤادِ الشــهــيــدِ والشــيــبُ مــا كــلَّــلَ الــمــفــرقَــا

شــكــا أســره في حــبــالِ الــهــوى وودَّ عــلى الله أن يُــعــتــقَــا

فلما قضــى اللحظُّ فكَّ الإســار حــنَّ إلى أســره مــطــلــقَــا

***

لـمـن زيَّـنَ الله هـذي السـمـاء	أو جمَّـلَ الـكـونَ أو نسَّـقَـا؟
لـمـن يـطـلـعُ الـفـجـرُ في أفقـهـا	فـيـبـدو بها ضـاحـيـاً مـونـقَـا؟
لمن مسَّ هذا النسـيمُ الغمامَ	فـرقـرقَ مـنـه الـذي رقـرقَـا؟
إذا ذكـرتـهُ الـحـمـائـمُ أنَّ	وإن ضـاحـكـتـه الرُّبى صـفَّـقَـا
ألِلطائرِ المفردِ الروحِ يمضي	يـرودُ الـمـواردَ عـن مسـتـقَى
وربّـكَ لـيـس لـهـذا ولـكـن	لـروحـيـنِ في أفـقٍ حـلَّـقَـا

المنصورة -١٩٢٧

اللقاء(*)

عادت لطائرها الذي غنَّاهَا ... وشدا فهاجَ حنينَها وشجاهَا

أيُّ الحظوظِ أعادَهَا لوفيِّها ... ونجيِّ وحدتها وإلفِ صباهَا

مشبوبةَ التحنانِ تكتم نارَها ... عبثاً وتأبَى أن يَبينَ لظاهَا

***

يا إلفيَ المنشود سِرُّكَ ذائعٌ ... نارُ الحنينِ دفينُهَا أفشاهَا

فيم السؤالُ أما يدلكَ جارفٌ ... من صبوتي جازَ المدى وتناهى

ودموعُ أشعارٍ أثرتَ نواحها ... وجمالُكَ الوحي الذي أملاهَا

ما يصنعُ الرقباءُ في حبٍّ طغى ... وصبابةٍ جُنَّت وضاعَ حِجاهَا

مدَّ الخريفُ على الرياضِ رواقه ... ومضى الربيعُ الطلقُ ما يغشاهَا

ما بالرياض كآبةٌ في أرضِها ... وسحابةٌ تغشَى صفاءَ سماهَا

جمدت حمائمُ أيكها وأنا الذي ... شاكيتُها فاغرورقت عيناهَا

***

لهفي عليها أينَ أناتُ الصبا ... وتناوحُ الغدرانِ بين رباهَا

أجرى عليها الصمتُ حتى لم يعد ... إلا مخيَّبَ صرختي وصداهَا؟

ماذا لقينا من لقاءٍ خاطفٍ ... وعشيةٍ كالبرقِ حانَ ضحاهَا

يا ويح هاتيكَ الثواني لم تقف ... حتى نُسيغَ هناءةً ذقناهَا

حتى يمتِّع باليقين مكذبٌ ... عينيه في رؤيا يضلُّ سناهَا

تمضي لها الأبصارُ والهةَ الهوى ... وتحولُ عنها ما تطيقُ لقاهَا

عادَ الزمانُ لها بسرِّ دموعها ... وخيالِ يقظتها وحلمِ كراهَا

(*) السياسة الأسبوعية: ١٢ نوفمبر ١٩٢٧.

***

تخبو العواطفُ في الصـــدورِ وتنتهي ويـجـفُّ في زهـر الـقـلـوب نَـداهَـا

وأنـا أحـسُّ الـيـومَ بـدءَ عـلاقـةٍ وعـنـيـفَ ثـورتـهـا وحـزَّ مُـداهَـا

وأحس طغيانَ الهيامِ لكوكبي ومـنـارِ أيـامـي وفـجـرِ هـواهَـا

لم تُـروَ مـنـكَ نـواظـري وخـواطـري ورجعتُ أزكي مهجةً وشـفاهَا

***

ما حيلةُ القربِ الوشـيك بمهجةٍ الـدهـرُ أجمـعُ مـا يـبـلُّ صـــداهَـا

مـا حـيـلـةُ الآمـالِ في مـعـبـودةٍ قـرَّحـتُ أجـفـاني عـلى مـغـنـاهَـا

إلا الـتـذكُّـر وهـو زادٌ مـنـهِـكٌ مـاذا تـقـوتُ خـواطـري ذكـراهَـا

قضَّـيتُ أحلامي أضـمُّ خيالها وأضـعـتُ أيـامـي أقـولُ عسـاهَـا

المنصورة

وداع المريض(*)

فيم الغدوُّ غداً وأين رواحي ... ويحَ الصباحِ لقد مضَى بصباحي
عصفت علينا غيرَ منذرةٍ لنا ... يا فرقةَ الآلافِ أيُّ رياحِ
طلعت علينا بالسقامِ وبالنوى ... وهوت هويّ الغادرِ المجتاحِ
عبثت بمعبودِ العيون وصيَّرَت ... كالورسِ لوناً توأمَ التفَّاحِ
ذهبوا به كالوردِ جافاه الندى ... ومضوا به شبحاً من الأشباحِ

***

يا هاتفاً باسمي فُدِيتَ منادياً ... ردَّ النداءَ عليه حَرُّ نُواحي
يا آسيَ الأسِيِّ لممتَ جراحتي ... وأسلتَ عند نواكَ أيَّ جراحِ
طأطأتُ للبين المشتِّتِ هامتي ... وخفضتُ للقدَرِ المغيرِ جناحي
ذَهبَ الوفيُّ فلا ابتسامٌ مشرقٌ ... لي حيثُ كنت ولا نهارٌ ضاحي
عاد الشقيُّ إلى قديم شقائه ... ومحَا من الدنيا السعادةَ ماحي
ويحَ المآبِ إلى مكانٍ موحش ... متجهمِ العرصاتِ مقفرِ ساحِ
في كل ناحيةٍ خيالٌ هاتفٌ ... ومُذكِّرٌ بجبينِكَ الوضاحِ
وموسَّدٌ كالطيفِ صاحِ ليله ... أمسيتُ أرعاه بجفنٍ صاحِ
أمضي أمازحه لأنسيه الضنى ... وأقولُ في تهليلةِ الأفراحِ

(*) السياسة الأسبوعية : ٣١ مارس ١٩٢٨.

***

لا تجزعنَّ لعلةٍ رهنَ الدجى ... ستزول عند تبلُّج الإصباحِ

أخفي المخاوفَ عنه وَهيَ جليلةٌ ... مرسومةٌ في ناظري الفضَّاحِ

متكشفٌ بتجلدي متكشفٌ ... بتستري، متكشفٌ بمزاحي

عاصيتُ فيه الداء وهو مغالِب ... عاصٍ على الهادينَ والنُصَّاحِ

أيُّ الليالي العاتياتِ سهرتُها ... في أيِّ آلامٍ وأيِّ كفاحِ

هَدَمَ الضنى العادي قَوِيَّ شكيمتي ... وثنى معاندتي وردَّ جماحي

والصبرُ هاوٍ والغيوبُ خفيةٌ ... وشفاؤه في قبضةِ المنَّاح

وطغى على المَلَكِ الموسَّدِ بيننا ... في ضعفِ زنبقَة ولطفِ أقاحِ

***

يا من مضيتَ خلال أناتِ الصبا ... وذهبتَ بين تناوحِ الأدواحِ

يمضي بك البرقُ المقلُّ فيختفي ... عجلانَ بينَ رُبىَ وبينَ بطاحِ

ويحَ الحياةِ اليومَ أين جمالُهَا ... وعلامَ إخفاقي بها ونجاحي

أنتَ الذي وَهبَ الحياةَ لميتٍ ... في الأرضِ منفردٍ بغيرِ طِمَاحِ

أشرقتَ في ظلمائها وغمامها ... وطلعتَ مثل البارقِ اللمَّاحِ

فارجع إليَّ فقد تركتَ مشرداً ... مستغرقاً في الدمعِ والأتراحِ

المنصورة

الشك(*)

بي ما تحس وفي فؤادكَ ما بي ... فتعالَ نبكي يا نجيَّ شبابي

تجري الدموعُ وأنت دانٍ واصلٌ ... كمسيلهنَّ وأنتَ في الغُيَّابِ

أنكرتَ بي ناري عشيةَ لامست ... شفتاي منك أناملَ العنابِ

ومشت يميني في غزيرٍ حالكٍ ... مسترسلٍ كالجدولِ المنسابِ

وسألت: ما صمتي وما إطراقتي ... وعلامَ ظلَّت حيرةُ المرتابِ

أقبل! أذقني ما اليقينُ وهاته ... خلواً من الآلامِ غيرَ مُشَابِ

***

أقبل لأقسمَ في حياتي مرةً ... إنَّ الذي أسقاه ليسَ بصابِ

لهفي على هذا اليقينِ وطعمه ... بفمي وتكذيبي شهيَّ شرابي

من أنتَ من أي العوالمِ ساحرٌ ... مستأثر بأعنَّةِ الألبابِ

مهلاً سليلَ النور ما هذي الدنى ... أبداً مكان جلالكَ الخلابِ

حدثتُ نفسي إذ رأيتك بادياً ... وأطَلت تسآلي بغيرِ جوابِ

ما يصنع المَلَكُ الطهورُ بعالمٍ ... فانٍ وأيامٍ كلمع سرابِ

ما يصنعُ الأبرارُ في الأرض التي ... ساوت من الأبرارِ والأوشابِ

***

دوارةً أبدَ السنينِ كعهدها ... من ليلِ آثامٍ لصبحِ مَتَابِ

تغلو الحياة بها إلى أن تنتهي ... عندَ الترابِ رخيصةً كترابِ

أغفر خليلي الشكَّ في الرؤيا التي ... ملكت عليَّ مَشاعِري وصَوابي

(*) السياسة الأسبوعية: ١٩ مايو ١٩٢٨م.

يا طالما ضجَّ الفؤادُ من المنى وشَكا التماعَ سرابِها الكذَّابِ
يا هَيكل الحسنِ المباركِ ركُنه الساحرَ النورِ الطهورَ رحابِ

***

لا صِدقَ إلا في لهيبِكَ وحده وجلاله الباقي على الأحقابِ
قدمتُ قرباني إليه بقيةً من مهجةٍ تَلفت على الأحبابِ
فإذا سمحت دفعت فيه دماءها ورجعتُ أحمدُ من ذراكَ مآبي
وأذبتُ جوهرها فداءَ نواظرٍ علويةٍ قدسيةِ المحرابِ

المنصورة

خواطر الغروب(*)

قلتُ للبحرِ إذ وقفتُ مساء ... كم أطلتُ الوقوفَ والإصغاءَ
وجعلتُ النسيمَ زاداً لروحي ... وشربتُ الظلالَ والأضواءَ
وكأنَّ الأضواءَ مختلفاتٍ ... جعلت منكَ روضةً غنَّاءَ
مرَّ بي عطرُها فأسكرَ نفسي ... وسرى في جوانحي كيفَ شاءَ
فاطَّرحتُ الهمومَ والأعباءَ ... ونسيتُ العذابَ والبرحاءَ

***

وكأني أرى بعين خيالي ... ساهرَ المقلتين يغضي حياءَ
وكأن الوجودَ لم يحوِ إلا ... حُسنَه والطبيعةَ الحسناءَ
نشوة لم تطل صحا القلبُ منها ... مثلَ ما كانَ أو أشدّ عناءَ
إنما يفهم الشبيهُ شبيهاً ... أيها البحر نحنُ لسنَا سواءَ
أنتَ باقٍ ونحن حَرب الليالي ... مزقتنا وصيرتنا هَباءَ
أنت عاتٍ ونحنُ كالزَّبدِ الذاهبِ ... يعلو حينا ويمضي جفاءَ
وعجيبٌ إليكَ يمَّمتُ وجهي ... إذ مللتُ الحياةَ والأحياءَ
أبتغي عندك التأسي وما تملكُ ... ردًّا ولا تجيبُ نداءَ

***

كل يوم تساؤلٌ ليت شعري ... مَن ينبِّي فيحسنُ الأنباءَ
ما تقولُ الأمواجُ ما آلم الشمسَ ... فولَّت حزينةً صفراءَ
تركتنا وخَلَّفَت ليلَ شكٍّ ... أبَدِيٍّ والظلمةَ الخرساءَ

(*) السياسة الأسبوعية: ٢٢ نوفمبر ١٩٣٠.

يا لهذا الجلالِ والأبدِ المجهولِ يزدادُ حيرةً وخفاءَ
روعتني ضآلةُ الناسِ فيه فبكيتُ الحياةَ والأحياءَ
وبكيتُ الغرورَ والأملَ الواسعَ والسخطَ والرضا والرياءَ
ما تُرجِّيه ريشةٌ في مهب الريحِ تَلقى الإعصارَ والأنواءَ
ما يرجيه ذلك القبسُ الخابي وشيكاً كأنه ما أضاءَ
والخَيالُ الذي تراءى وولّى غيرَ وانٍ كأنه ما تراءى
نحن ألعوبةُ القضاءِ ومن يملك أمراً ومن يردُّ القضاءَ
ولعلَّ القضاء يسخر مني حين أبكي وما عرفتُ البكاءَ

***

فليدعني القضاءُ أبكي لأشفى لم تَدَع ذلةُ الهوى كبرياءَ
لاح خلفَ الدموعِ وجهُ حبيبٍ لا أرى غيرَه لقلبي عزاءَ
قلتُ للقلبِ جاءَ ريك فانهل كم ظمئنا فما وجدنَا الماءَ
لم تُثِبنَا الحياةُ إلا بهذا حسبنا وجُهه الجميل جزاءَ

السآمة(*)

بين الضنى والملالِ طالت عليَّ الليالي
وغربةُ الروحِ طالت في الأسر والأغلالِ
ولهفةُ القلب طالت رَهنَ القيودِ الثقالِ
يا أيها القلبُ أقصر وكُفَّ عن تسآلي

***

فيم الجدالُ وسرُّ الحياةِ فوق الجدالِ
عبء حملنَا وناءت كواهلٌ من كلالِ
من يحمل العبءَ يصبر له على كلِّ حالِ
إنِ لم تُطِقه فدعه أو قم به كالرجالِ

***

أكل يومٍ بكاءٌ على رجاءٍ محالِ
وكل يومٍ حنينٌ إلى بعيدِ المنالِ
وكل يومٍ نزوعٌ إلى قصيٍّ غالِ
وكل يومٍ هيامٌ بكلِّ معنىً عالِ
بين الكواكبِ حيناً وفي سماءِ الخيالِ
تعلو وتصفو وباقي القلوب في الأوحالِ
وفي السحائبِ تشدو كالطائرِ الجوالِ
فليتَ أنّا ضَمَّنا الخلودَ في الأجيالِ

(*) السياسة الأسبوعية: ٢٤ يناير ١٩٣١.

وليتَ أنّا أصبنا   سعادةَ الجُهَّالِ

وليتَ أنّا عرفنا   يوماً هدوءَ البالِ

لكن رجعنا وظلُّ الشبابِ   في اضمحلالِ

مشكاته بين عصف النكباءِ   والأهوالِ

زيته في نضوبٍ   ونارهُ في اعتلالِ

فما عنادُ الأماني   وما صراعُ الذبالِ

تكشفت بعدَ لأيٍ   خوادعُ الآمالِ

عن مقفرٍ ليس فيه   غيرُ التماعِ الآلَ

***

يا قلبِيَ الباكي اغنم   من قبلِ شدِّ الرحالِ

ليسَ الصِّبا بمعادٍ   ولا العهودُ الخوالي

وآخرُ العمر يوماً   جوف الثرى المنهالِ

سيلتقي القبحُ فيه   بدميةٍ من جمالِ

وعاجزُ الرأيِ وفيه   بمستتم الكمالِ

يا قلبيَ الباكي اضحك   ضِحك الطروبِ السالي

أمَا تصباكَ يوماً   حسنُ الربيعِ الحالي

ورحلةُ العمر بينَ   البكور والآصالِ

وصدحةُ الطيرِ تهفو   للجدولِ المختالِ

أين الحبيبُ المفدَّى   بين الصَّبا والدلالِ

في فتنةٍ لا تبالي   ومبسمٍ قَتَّالِ

يا جنتي وعذابي وطلبتي وسؤالي

أما سمعتِ نداءَ القلبِ الجريحِ تعالي

الإسكندرية

ظلام ونور(*)

نزل الظلامُ فلات حين مقامي ... لم يبقِ غيرَ مدامعي وسلامي

هبط العقابُ على الديار فلفّني ... في جنحه وأظلني بقتام

والسيل قد غمر المدائنَ والقرى ... وطغى كما يطغى العبابُ الطامي

نفسي تحدثني بأنيَ مغرقٌ ... لا حولَ لي في لُجِّه المترامي

فلأيِّ أرضٍ بعد أنقل متعباً ... قدمي وأحملُ هيكلي وحطامي

***

ضاقت عليَّ الأرضُ وَهيَ مفازةٌ ... فوق امتداد الظن والأوهامِ

سكنت سكونَ القبرِ ثم تناوحت ... فيها الرياحُ كساهرٍ بسقامِ

ثكلى إذا أنَّت أُحِسُّ كأنها ... راحت تدَوِّي في صميمِ عظامي

كفّاك أومئتا إليَّ وقالتا ... مَن للرميَّة يقتفيها الرامي

فنفضتُ عني الموتَ وَهوَ ملازمي ... حيث التفتُ فما أراكِ أمامي

***

أجتاز أيَّ كتائبٍ مرصوصةٍ ... وأشقُّ نحو حماكِ أيَّ زحامِ

سدّ من الدنيا ومن أغلالها ... وعواثر الألبابِ والأفهامِ

فإذا خلونا عاوَدتنا ساعةٌ ... رقد الهوى في ظلها البسَّامِ

(*) أبوللو: أبريل ١٩٣٣.

هلَّت على أفق الحياة ونوَّرت   وتألقت في خاطرِ الأيامِ

كم من رؤى عزت عليَّ تكشفت   فرأيتها بنواظرِ الإلهامِ

وسعادةٍ شردت وعز منالُهَا   فقنصتُها في نشوةِ الأحلامِ

وعرفتُ ما طعم الهدوءِ أنا الذي   لم أَلقَ ساعةَ راحةٍ وسلامِ

عاصفة روح(*)

أين شطُّ الرجاء   يا عبابَ الهموم

ليلتي أنواء   ونهاري غيوم

أعولي يا جراح   أَسمعي الديَّان

لا يهم الرياح   زورقٌ غضبان

البلَى والشقوب   في صميم الشراع

والضنَى والشحوب   وخيالُ الوداع

في احتدامِ النار   واصطخابِ الأنين

***

تضحكُ الأقدار   ترقصُ السكين

كل يومٍ يروح   في احمرارِ الجروح

كل صبحٍ يلوح   فجرُه مذبوح

اسخري يا حيَاة   قهقهي بالرعود

الصبا لن أراه   والهوَى لن يعود

الأماني غرور   في لَظَى البركان

***

والدجى مخمور   والردَى سكران

وخليعُ العباب   موجُه العربيد

دارَ بالأكواب   ويلَ هذا العيد

راحَتِ الأيام   بابتسامِ الثغور

(*) مجلتي : سبتمبر ١٩٣٥.

وتــــقَضَّـــــى الـــظـــلام   في عـــنـــاق الصـــــخـــور
كـــانَ رؤيـــا مـــنـــام   كـــأسُـــكِ الـــمســـحـــور
يـــا ضـــفـــافَ الســـلام   تـــحـــتَ عـــرشِ الـــنـــور

***

اطـــحـــنـــي يـــا ســـنـــيـــن   مـــزقـــي يـــا حـــراب
كـــلّ بـــرقٍ يـــبـــيـــن   كـــــــــــــــــــــــذاب
اســـخـــري يـــا حـــيـــاه   قـــهـــقـــهـــي يـــا غـــيـــوب
الصـــــبَـــا لـــن أراه   والـــهـــوىَ لـــن يـــؤوب

نشرت في أول سبتمبر ١٩٣٥

المساء(*)

يـا غـلَّـة الـمـتـلـهـف الصــادي   يـا آيـتـي وقَصِــيـدَتِـي الـكـبْـرَى
زادي لــقــاؤك: طــاب مــن زاد   وإذا نــأيْــتِ أعــيِــشُ بــالــذكـرَى

***

يــلْـقـي خَـيَـالَـكِ كـيـفـمـا بـاتـا   صـــبٌ لـه لـفَـتَـاتُ مســـحـوُرِ
يــرْوَي ويشـــبَـع مـنـكِ هـيـهـاتـا   لا يــرتــوي بصـــر مــن الــنــور

***

بـــعــد الأوَارِ في الـــغـــرس   لاَ يــرْتــوِي عــودٌ مــن الـطـلّ
ومن احْتســى من لفحة الشــمس   لا يــرتــوي أبــداً مــن الـظَّـلَّ

***

ذقْـتُ الـمـنـايـا عـدّ أنْـفَـاســي   والـبـعـثُ كـانَ شــبـابَـكِ الـزاهـي
زمـن ارْتـوى مـن ســخَـط الـنـاس   لم يــرْوِه غـــيــر رضـــا اللهّ!

***

يـا لـلـمســـاء الـعـبـقـريّ ومـا   مَـنَـحَـتْ مـن الـنّـفَـحَـات عـيـنـاكِ
أو كــان رؤيــا واهــم حــلــمــا   مــا كــان أقــدسَـــهُ وأســـنــاكِ

***

يـا لـلـنســائـم مـن مُسَـبّـحـةٍ   خَشـــعـت بهـيـكـل ذلـك الـوادي
فـحـفـيـفـهـا همســاتُ أجـنـحـة   ورفـيـفُـهـا صـــلـواتُ عـبّـاد

(*) الرسالة: سبتمبر ١٩٣٥.

***

نـمشـــى وقـد طـال الـطّـريـق بـنـا　　ونــودّ لــو نــمشـــي إلى الأبــدِ
ونـود لـو خـلَـتِ الـحـيـاُة لـنـا　　كـطـريـقـنـا وغـدتْ بـلاَ أحـدِ

***

نَـبْـنـي عـلى أنـقْـاَضِ مـاضــيـنـا　　قصـــراً مِـن الأوهـامِ عِـمْـلاقـاً
ونـظـلَّ نـنشـــد مِـنَ أمـانـيـنـا　　وشـــيـاً مــن الأحــلامِ بـرَّاقـاً

***

وأظـل أســـقـيـهـا وتـمـلأ لي　　مـن مـنـبـع فـوق الـظَّـنـون خَـفِـي
حـتـى إذا ســـكِـرَت مـن الأمـل　　وتـرنّـحـتْ مـاَلـتْ عـلى كـتـفِـي

***

حَـلَـفـتْ بـأنّـي أغْـتـدي مـعـهـا　　حـيـث اغـتـدت وهـواي في دمـهـا
فَـمســحْـتُ بـالـقُـبـلاتِ أدمـعـهـا　　وطـبْـعـتُ أقْســامِي عـلى فَـمِـهـا

***

إنّـا لـقـومٌ أنـكَـروا الـجَسَـــدا　　فاعجب لمفترِقين ماافترقاَ
أو مـا تـرى روحـيـهـمـا اتـحّـدا　　أو مـا تـرى ظـلـيْـهـمـا اعـتـنـقـا

نشرت في ١٦ سبتمبر ١٩٣٥م

الأطلال - الضائعة(*)

يا لمنفيين ضلا في الوعور ... دميا بالشوك فيها والصخور
طردا من ذلك الحلم الكبير ... للحظوظِ السود والليل الضرير
كلما تقسو الليالي عرفا ... روعة الآلام في المنفى الطهور
يخلقان النورَ من قلبيهما ... في دُجاها كلما ضَنَّتْ بنورِ

***

كلَّما تقسو الليالي أنبتا ... نادياتِ الوردِ من صخر الطريقِ
كم بسطْنَا الخُلدَ في القصرِ السحيقِ ... ونشرَنا الأفق رحبًا من مضيق
وخلقنا عالمًا من عدمٍ ... يا حبيبي ونجيي وصديقي

***

إن يكنْ ذاكَ الهوى حلمًا كذوبا ... إن يكن طيفًا تولَّى لن يؤوبا
فلقد كنتِ لقلبي أملًا ... أطأُ الدهرَ إليه والخطوبَا
أعبرُ الدنيا إليهِ ساخرًا ... وألاقِي الكربَ باسمًا طروبَا
ألمحُ الأمرَ بعيني مُلْهَمٍ ... فكأنيَّ بكِ أبصرتُ الغيوبَا

نشرت في يوليو ١٩٣٧م

(*) مجلة الحديث (حلب) يوليو ١٩٣٧، وناجي قصائد مجهولة.

الشاطئ الخالي[*]

يا ليالي غرامِها يا ليالي ... جنبيني ذكراكِ إني سالي
وهبيني التفتُ خلفي إلى عهدكِ ... إني لطامعٌ في محالِ
لا أمامي غدٌ ولا عن يميني ... أملٌ ضاحكٌ ولا عن شمالي
يا هواها بالله بعد انحدار ... الشمس ماذا تعلُّقي بالظلال

***

قطع النسرُ شوطه بين همين ... ترضيكِ وانتهاب المعالي
شهد الله ما أسفَّ جناحاه ... ولا حلَّقَا على أوحالِ
وهبي المجد دارُه القممُ الشماء ... فالمجدُ موحشٌ في الأعالي
خطرتْ تحتها بأعراسها الدنيا ... ومرتْ مواكبًا لا تبالي

***

ما مقامي بها شقيًّا غريبًا ... بعدتْ شقتي وطال اغترابي
يا هباءَ الهباء يا زبدَ البحر ... وذراتِ مستطارِ الرمالِ
إن بعضَ الهدوء ضربٌ من الرعبِ ... وبعضَ الثواءِ كالترحالِ
أين مرسايَ والسفينةُ ظلتْ ... في صراعِ وشاطئ قبلُ خالي

نشرت في ١٢ سبتمبر ١٩٣٩م

(*) الثقافة: ١٢ سبتمبر ١٩٣٩.

أنوار (*)

(مهداة إلى الأستاذ خليل شيبوب)

طابتْ بكِ الأيام وافرحتاه ... أنتِ الأماني والغنى والحياه

قد وَجَدَ الضليلُ نورَ الهُدَى ... يا حلمةَ يا نجمةَ يا سناه

فليذهب الليل غفرنا له ... ما دام هذا الصبح عقبى دجاه

جمالُكِ الطاهرُ عندي له ... إيمانُ قلبٍ في خشوعِ الصلاه

***

ولي إلى ذاك الجمال اتجاه ... ولي بسلطانك عز وجاه

قد طرق الباب فتى متعب ... طال به السير وكلَّت خطاه

نقَّل في الأيام أقدامه ... يبغي خيالاً ماثلاً في مُناه

عندك قد حطّ رحال المنى ... وفي حمى حسنك ألقى عصاه

***

أين شقاءٌ صاخبٌ في دمي ... جَرَّعني الضنكُ إلى منتهاه

له إذا دوَّى به ساخرًا ... ضِحْكُ التَشَفِّي وجنون الطغاه

شكرًا لذات هبطتْ من عَلٍ ... تحدَّتِ النحس فشُلَّتْ يداه

بأيِّ كف طعنت قلبه ... فماتَ في قلبي حتَّى صداه

(*) الرسالة : ٤ ديسمبر ١٩٣٩.

***

قـد هـدَأَ الـلـيـلُ وران الـكـرى　　إلا أخَـا سـهـدٍ يـغـنـيِّ شـجـاه

نـاداك من أقصــى الرُّبى فاسـمعي　　لِـمَـنْ عـلى طـولِ الـلـيـالي نـداهْ

نـادى ألـيـفـاً نـام عـن شـجـوه　　عـذبٌ تـجـنـيـه عـزيـزٌ جـنـاه

أحـبّـكِ الـحـب وغـنـى بـه　　عـفَّ الأمـاني والـهـوى والشـفـاه

وإنـمـا الـحـب حـديـث الـعـلى　　أنشـودة الـخـلـد ونـحـن الـرواه

أحلام سوداء(*)

رُبَّ ليلٍ قد صفا الأفقُ بهِ ... وبما قد أبدعَ اللهُ ازدهرْ
قد سرى فيه نسيمٌ عَبِقٌ ... فكأنَّ الليلَ بُسْتَانٌ عَطِرْ
قلتُ يا ربِّ لمن جمَّلته ... ولمن هذي الثريات الغرزْ
فخليٌّ نائمٌ عنه القدر ... نام لم يسعدْ بهاتيك الصور
وشجيُّ القلبِ يشدو للذكر ... دامي الألحانِ مجروح الوتر

***

كلُّ شيءٍ مأتمٌ في عينه ... لا الكرى طاب ولا طابَ السهر
غام وجهُ الأفق واربدَّتْ به ... سُحُبٌ حامتْ على وجهِ القمر
كلما تقرب تمتد لهُ ... كأكفٍّ شرهاتٍ تنتظر
قاتماتٍ كذئابٍ حُوَّمٍ ... جائعاتٍ مثل غربانِ الشجر
صحتُ بالبدر تنبَّهْ للنذرْ ... أدْركِ الهالةَ حُفَّتْ بالخطرْ
لا تبحْ مائدة النور لهم ... لا تبحْها لسوادٍ معتكرْ
قهقه الرعدُ ودوَّى ساخراً ... فكأنَّ الرعدَ عربيدٌ سكرْ
قمتُ مذعوراً وهمت قبضتي ... ثم مُدَّت ثم رُدَّتْ من قصر

***

لهفُ القلبِ على الدنيا إذا ... عَجَزَ القادرُ والباعُ خور
لهفُ القلبِ على الحسن إذا ... قهقه الغربانُ والذِّئبُ سخرْ
تحتمي الوردةُ بالشوكِ فإن ... كَثُرَ القُطَّافُ لم تُغْنِ الإبرْ
آهِ من غصنٍ غنيٍّ بالجنى ... ومِن الطامع في ذاك الثمرْ

(*) الرسالة: ١١ ديسمبر ١٩٣٩.

آه مـن شــكٍّ ومـن حـبٍّ ومـن　　هـاجسـاتٍ وظـنـونٍ وحـذرْ
كسـت الأفـقَ سـواداً لم يـكـن　　غـيـرَ غـيـمٍ جـاثـمٍ فـوق الـفـكـرْ

***

طالـمـا قـلـت لـقـلـبـي كـلـمـا　　أنَّ في جنبي أنينَ المحتضرْ
إن تـكـن خـانـتْ وعـقَّـت حـبَّـنـا　　فـأضِـفْـهـا لـلـجـراحـاتِ الأخـرْ
كـان طـيـفًـا مـن ظـنـونٍ لم يـدمْ　　وسحابًا من جنونٍ ... وعَبر

نشرت في ١١ ديسمبر ١٩٣٩م



اثنان في سيارة

من أي أكوانٍ وأي زمانِ   يا ساعةً بسطت ظلال أمان؟

هل كنتِ حين هبطت غير ثواني   ومداك فوق الظنِّ والحسبانِ

العمر أكثره سُدى وأقله   صفوٌ يتاحُ كأنه عمرانِ

كم لحظةٍ قصرتْ ومدت ظلها   بعد المغيبِ كدوحةِ البستانِ

ويمر في الذكرى خيال شبابها   فكأن يقظتَها شبابٌ ثانِ

***

مَنْ ذلك الطيف الرقيق بجانبي   كَفَّاه في كَفيَّ هاجعتانِ

إني التفتُّ إلى مكانكِ بعدما   أخليتهِ فبكيتُ سوءَ مكاني

لكأننا والأرضُ تُطوى تحتنا   نجمان في الظلماء منفردانِ

لكأننا والريحُ دونَ مسارنا   خَطَّانِ في الأقدار منطلقانِ

هل كان ذاكَ القربُ إلا صيحةً   همت بها شفتانِ ترتجفانِ

هل كان ذاكَ القربُ إلا لوعةً   ونداءَ مسغبةٍ إلى حرمان

والناس مُسْتَبِقونَ كلٌّ يبتغي   غرضًا يكافحُ دونه ويعاني

حُمىَّ مقدرة على الإنسانِ   تبقى بقاءَ الأرضِ في الدورانِ

وكأنما هذي الحياةُ بضوئها   وضجيجها ضربٌ من الهذيانِ

نشرت في ٢٦ فبراير ١٩٤٠م

صخرة المكس(*)

تعالَ نزفُّ للثغرِ السلامَا	ألستَ تَرَى على الثغرِ ابتساَما
ألم تشعر كأن يَدَي عزيزٍ	مَسَحنَ لك المواجعَ والسقاما
كأن خُطى العبابِ خطى حبيبٍ	كأنَّ الموجَ أفئدةٌ تَرامى
سلاماً يا عروسَ الماء إني	أحبُّكِ لا أملُّ بكِ المقاما
أسيرُ إلى لقائكِ نِضوَ شوقٍ	وأرجعُ عن ربوعكِ مستهاما
أراكِ فتنتشي روحي وقلبي	كأني قد سُقِيتُ بك المدَاما
وإن طُوِيَ البساطُ فنصبَ عيني	عليكِ خيالُ أحبابي القدامى
وإن طاحَ الزمانُ بكأس حبي	فلا الساقي نسيتُ ولا الندامى

***

فؤادي قم بنا نذكر شجانا	لصخرٍ في جوارِ المكسِ قاما
تعالَ ولا تقل هذا جمادٌ	وكيفَ ترومُ بالصخرِ اعتصاما؟
فكم في الحيِّ من قلبٍ أصمّ	تَنَكَّرَ أو تَجَاهَلَ أو تعامى
وكم صخرٍ أحسَّ بما عنانا	وما عَرَفَ الحديثَ ولا الكلاما
وكم في الناسِ من رجلٍ قويٍّ	شديدِ البأسِ يقتحمُ اقتحاما
تَعرَّضَ للحوادث لا يبالي	تَلقَّاها نصالاً أم سهاما!
فإن عَرضت له الذكرُ الخوالي	رأيتَ الكونَ في عينيه غاما
عرته الرجفةُ الكبرى وراحت	جيوشُ الصبرِ تنهزمُ انهزاما

(*) الرسالة : ٢٩ أبريل ١٩٤٠.

***

بــربــكِ أيــهــا الأنــوارُ مــاذا   صنعتِ بساهرٍ أَلِفَ الظلاما

بــربــك أيــهــا الأمــواجُ ظــلَّــت   على الشطئانِ ترتطمُ ارتطاما

أتــيــتُــكِ أبــتــغــي مــنــك الــتــأسِّــي   وأَنشــدُ في نــواحــيــك الســلامــا

أراكِ فــتــحــتِ لي شــجــنــاً جــديــداً   وكنتُ أرومُ للماضي التئاما

وَهَــيــتُ وخــانــنــي جَــلَــدِي وإلا   فــهــذي الــدمــعــةُ الــحــرَّى عــلامــا

***

أيــا بــلــدَ الــتــأســي كــيــف أنسَــى   زمــانــي فــيــكِ كــهــلاً أو غــلامــا

ويــومَ أتــيــتُ مــكــتــئــبــاً عــلــيــلاً   أحــسُّ الــبَــيــنَ يــدنــو والــحِــمــامــا

أجــرجــرُ فــيــكِ أقــدامــاً ثــقــالاً   وأجمعُ مِــن عــزيــمــتــيَ الــحــطــامــا

وعــلاتي وأدوائــي كــبــارٌ   شــربــنَ دمــي وأبــلَــيــنَ الــعــظــامــا

أراكِ فــلا أبــالي بــالــمــنــايــا   وأَحمدُ عــنــد شــاطــئــكِ الــخــتــامــا

وكــم طــافَ الــرفــاقُ وغــادروني   كَــعُــوَّادٍ ومــروا بــي كــرامــا

تــمــرُّ بــيَ الــحــيــاةُ ولســتُ أدري   أيــومٌ مــرَّ أم قضَّــيــتُ عــامــا

عــرفــتــك والشــتــاءُ يــمــدُّ ظــلا   ويــنــشــر في جــوانــبــكِ الــغــمــامــا

عرفتكِ والمصيفُ عليكِ زاهٍ   وقرنُ الشــمــسِ يضــطــرمُ اضطراما

عرفتكِ والعواصفُ فيك غضبى   نشــرنَ عــلى مُــحَــيَّــاكِ الــقــتــامــا

***

عــرفــتــك والــفــلائــكُ فــيــك بــيــضٌ   مــجــنــحــةٌ يــحــاكــيــنَ الــحَــمــامــا

عــرفــتــكِ هــادئــاً والــفــجــر غــافٍ   كــأَنَّ الــبــحــر وَسَّــدَه فــنــامــا

عــرفــتــك كــالصــديــقِ بــكــلِّ حــالٍ   وكنتِ شرابَ روحي والطعاما

ومــلــحُــكِ في دمــي وشــذاكِ بــاقٍ   وهــذا الصــوتُ أســمــعُــه دوامــا

تعالي صخرةَ الماضي أجيبي وقوفُكِ وانتظارُكِ ذا إلاما
لقيتِ من العبابِ كما لقينا من الأيَّام قرعاً واصطداما
كأنكِ للورى هدفٌ وهذي جموعٌ تبتغي أمراً جساما
إذا ما أخفقوا رجعوا فُرَادَى وإن هَمُّوا وجدتهُمُ زحاما

***

فؤادي إن تغيرتِ الليالي فمثلكَ مَن رَعَى فيها الذماما
بلغنَا كعبةَ الآمالِ فاخشع ودعنا في مناسِكهَا قياما
ُخذِ السلوانَ من حجرٍ صموتٍ فما أحراكَ بالحجرِ استلاما

***

بربكَ أينَ أحلامٌ غَوالٍ وعمرٌ قد قطعناهُ نياما
ونسقاه أماني أو خيالًا ونطعمه قصيدًا أو غراما
وعهدٌ كانَ فيك ربيع وردٍ كهذا اليومِ حُسْناً وانسجاما!

ليلة من ليالي القاهرة[*]

قالتْ تعالَ فقلتُ لبيكِ ... هيهاتَ أعصي أمر عينيكِ
أنا يا حبيبةُ طائرُ الأيكِ ... لِمَ لا أغنِّي في ذراعيكِ

***

أنا يا حبيبةُ جئتُ أنتظرُ ... إني امرؤ بهواكِ مؤتَمنُ
مهما يكنْ في حبِّكِ القدرُ ... مهما يطلْ في وعدكِ الزمنُ

***

ظُلَمٌ على ظلمٍ على ظلمِ ... وفتى غريبُ القلبِ منفردُ
غشى السكون فليس من قدمِ ... وخلا المكانُ فما هنا أحدُ

***

وطغى الهوى في صدر مختنقِ ... في ليلةٍ صيفيةِ الريحِ
يرنو بناظره إلى طُرق ... عمياءَ زرقاء المصابيحِ

***

أصغي لصوتِ خطاكِ في وهمي ... مستيقنًا حينًا ومفترضا
مستغرقًا في نشوة الحلم ... فيردُّ صوتُ القلب معترضا

***

يا عينُ هذا مدلجٌ ساري ... فمن الملمُّ كأنه شبحُ
الليلُ غلَّفَه بأسرارِ ... يا ليته يدنو فيتضحُ

(*) الثقافة : ٢٢ أبريل ١٩٤١.

***

يا أذنُ تلك خطى أتقتربُ؟ لا بل خطى تنأى وتبتعدُ

إني على الحالَيْن مرتقبُ لو يصدقُ الميعاد مَن يعدُ

***

وإذا بمقبلةٍ على جزع بسطت إليَّ يمينَ مرتجفِ

وإذا ارتعاشةُ طائرٍ فزع أحسستُها إذ لامستْ كتفي

***

وكأنَّ ألسنةَ السماءَ لها لغةٌ إذا اقتربتْ كواشفُها

همستْ : تأمل فالتفتُّ لها فإذا بها شحبتْ مراشفُها

***

شحَبتْ كلون المغربِ الباكي وتألقتْ كالنجمِ عيناها

وتلفتتْ كحبيسِ أشراكِ وحكا اضطرابَ الموجِ نهداها

***

راجعتُ نُبْلي واتهمتُ دمي وسألتُ قلبي أين حجتُه

فوجدته خلوًا من التهم وتحدَّتِ الشبهاتِ عفتُه

***

قلت اهدئي لم سورةُ الندم كفَّاكِ ترتجفان يا أملي

وأخذتُ أدفئ بردَهَا بفمي لو تنفعنَّ حرارةُ القُبلِ

***

وجذبتها بذراعِها نمشي نمشي وما ندري لنا غرضَا

إلفانِ قد فَرَّا من العشِّ يتبادلان سعادةً ورضا

***

وحـديـقـة نـامـت بـلا شـــجـنٍ		وغـفـتْ عـلى أمـنٍ أزاهُـرهـا

لم لا وقـد ســكـنـتْ إلى غُصُـــنٍ		وغـدًا لـهـا طـل يـبـاكـرهـا

***

كـم أبصـــرت قـبـلي ومـرَّ بهـا		مـثـلي ومـثـل حـبـيـبـتـي اثـنـانِ

وهـنـيـهـة مـا كـانَ أعـذبهـا		إذ يـلـتـقـي في الـحـبِّ قـلـبـانِ

***

يـا لـحـظـةً مـا كـان أســعـدهـا		وهـنـاءةً مـا كـان أعـظـمـهـا

مـر الـغـريـبُ فـبـاعـدتْ يـدَهـا		وخـلا الـطـريـقُ فـقـربـت فـمـهـا

***

مـرت بـنـا ســيـارةٌ ومضـــتْ		خـطـافـة فضـاحـة الـنـور

كشـــفت لعـينينا و قد وَمَضَـــتْ		ظـلَّـيْـنَ مـعـتـنـقـيـن في الســورِ

***

ضـــحكتْ لظلينا و قد عجبت		مـمـا يصـــوِّرُ قـلـبُ مـذعـور

وكـأن ضـــحـكـتـهـا وقـد طـربـتْ		قـطـراتُ مـاءٍ فـوق بـلّـور

***

لم تـدر هـاتـيـك الـحـبـيـبـةُ مـا		كـان الـهـوى في خـاطـري يـوحـي

مـا نـقَّـلَـتْ في جـانـبـي قـدَمَـا		إلا خَـطَـتْ تـمشـي عـلى روحـي

***

عـوذتُـهـا مـن شـرِّ أمســيـةٍ		تـعـيـا بهـا وتضـلُ أبصـارُ

وكـواكـبٌ لـيـســت بـمـجـديـةٍ		ظـلـمٌ مـكـدســةٌ وأحـجـارُ

***

عـثـرتْ بهـا فـرفـعـتُـهـا بـيـدي		حُسْـنًا يكاد يشفُّ في الظُلَمِ

ويـرف مـثـل الـزهـر وهـو نـدي		ويـخـفُّ مـثـل عـرائـسِ الـحُـلُـمِ

***

وكـأنـنـي مـمـا يســـوءُ خَـلِـي   وحيـاتَـي انـجـابـتْ حـوالـكُـهـا

أرمـي الـطـريـق بـنـاظـري رجـل   وأنـا لـهـا طـفـل يضــاحـكـهـا

***

مَـلَّـكـتُـهـا الـدنـيـا بـمـا وســعـتْ   وأنـا أهـامسُـــهـا بـأســـراري

وأُســـرُّهـا بـحـكـايـةٍ وقـعـتْ   وروايـةٍ مـن نســج أفـكـاري

***

وإذا الـطـريـق يســـير مـنـعـطـفًـا   وإذا ريـاح تضـــربُ الســـدفَـا

وكـأنَّ مـنـهـا مـنـذرًا هـتـفـا   بـلـغَ الـمســير نهـايـة فـقـفـا

***

يـا تـوأمًـا مـن صـــدري انـتـزعـا   يـا مـن دعـا قـلـبـي لـه فســعـى

لم أيـهـا الـداعـي هـواكَ دَعَـا   والـدهـر يـأبـى أن نـظـلَّ مـعَـا

***

انـظـر ذراعـيَّ الـلـذيـن همـا   قـد طـوقـاكَ مـخـافـةَ الـبـيـنِ

أقســـمْ بـأنـك عـائـدٌ لـهـمـا   إني لـمـمـدودُ الـذراعـيـن

الميعاد الضائع(*)

يا مَن طواها الليلُ في ظلمائه   روحا مفزعةً على بيدائِهِ
تتلفتينَ إليَّ في أنحائه   لهف الفؤادِ على الشريدِ التائِهِ

***

إن تظمئي ليَ كم ظمئتُ إليك   جَمَعَ الوفاءُ شقيةً وشقيَّا
يا مُنيتي قَستِ الحياةُ عليكِ   وجرت مقادرُها الجسامُ عليَّا

***

إني التفتُّ إلى مكانِكِ والمنى   شُلَّت وقلبي لا يطيقُ حراكا
فصرختُ يا أسفاً لقد كانت هنا   لِمَ عاقني القدرُ الخؤونُ هناكا

***

عَبَسَت وسودتِ السماءُ ظلالَها   فكأنَّ عقباناً تحطُّ رحالَها
وكأنَّ أطوادَ السحابِ حيالَها   أَرسَت على الكتفِ الصغيرِ ثقالَها

***

تستصرخينَ لكِ السماءَ وقد خبت   وطوت بشاشةَ كلِّ نجمٍ مشرقِ
إن خلتِها استمعت إليكِ وقاربت   ألفيتَها صارت كلحدٍ ضيِّقِ

***

يا مَن هربتِ من القضاء وصرفهِ   عجباً لهاربةٍ تلوذ بهاربِ
إمّا هَوى نجمٌ ومالَ لضعفهِ   أبصرتِ حظَّكِ في الشعاعِ الغاربِ

(*) الرسالة : ٢٨ يوليو ١٩٤١.

***

أســـفاً عـلـيـك وأنـتِ روحٌ حـائـرُ   والكون أســرارٌ يضــيقُ بها الحِجَى
تـجـتـازُ عـابـرةٌ ويســـرعُ عـابـر   وتـمـرُّ أشـــبـاحٌ يـواريـهـا الـدُّجَـى

***

في وجـنـتـيـكِ تـوهـجٌ وضـــرامُ   وبـمـقـلـتـيـكِ مـدامـعٌ وذهـولُ
وكـذا تـمـرُّ بـمـثـلـكِ الأيـامُ   مـجـهـولـةً وعـذابُـهَـا مـجـهـولُ

***

وَلَّـيـت قـبـلَ لـقـائـنـا يـا جـنـتـي   لم تـطـفـري مـنـي بـقـولٍ مســـعـدِ
وكـعـادةِ الـحـظِ الشـــقـيّ وعـادتي   أقلبتُ بعد ذهاب نجمي الأوحدِ

***

تـتـعـاقـبُ الأقـدارُ وَهـيَ مســـيـئـةٌ   كـم عـقـنـا لـيـلٌ وخـانَ نهـارُ
وكـأنـمـا هـذا الـقـضـــاءُ خـطـيـئـةٌ   وكأنَّ همسَ نســـيمِه اســـتغفارُ

***

وكـــأنَّـــه أحـــزانُ قـــومٍ ســـاروا   هـذي مـآتـمُـهـم وَثـم ظـلالُـهَـا
عَفَتِ القصـــورُ وظَّلتِ الأســـوارُ   كَـمَـنَـاحَـةٍ جمـدت وذا تـمـثـالُـهَـا

***

غـامَ الســـوادُ عـلى وجـوه الـدورِ   وَســـرى إليَّ نـحـيـبُـهـا والأدمـعُ
وكـأنـنـي في شـــاطـئٍ مـهـجـور   قـد فـارقـتـهُ ســـفـيـنـةٌ لا تـرجـعُ

***

حملت لنا أملاً فلما ودَّعَت   لم يَبقَ بعدَ رحيلِهَا للناظرِ

إلا خيالُ سعادةٍ قد أقلعت   ووداعُ أحباب ودمعُ مسافرِ

نشرت في ٢٨ يوليو ١٩٤١م

الكأس(*)

لا تبكها ذهبتْ ومات هواها   في القلبِ متسعٌ غدًا لسواها
أحببتُها وطويتُ صفحتها وكمْ   قرأ الحبيبُ صحيفةً وطواها
يا شاطئَ الأحزانِ كم مِنْ موجةٍ   هَبْها ارتطامةَ موجةٍ وصداها
تلك الوليدةُ لم تَطُلْ بُشْرَاها   لـمَّا تَكَدْ تطأ الثرى قدماها
زفَّ الصباحُ إلى الرمال نداءَها   وسرى النسيمُ عشيةً فنعاها

***

هاتِ اسقني واشربْ على سرِّ الأسى   وعلى صبابةِ مهجةٍ وجواها
مهلًا نديمي كيفَ ينسى حبَّها   من ينشدُ السلوى على ذكراها
ما زلت تسقيني لتنسيني الجوى   حتى نسيتُ فما ادكرتُ سواها
كانت لنا كأسٌ وكانت قصةٌ   هذا الحبابُ أعادها ورواها

***

كأسي وشمس هوايَ والساقي الذي   عَصَرَ الشعاعَ لمهجتي وسقاها
الآنَ غَشَّاها الضبابُ وها أنا   خلفَ المدامعِ والهمومِ أراها
غالَ الفناءُ حبابَها وضبابَها   وتبخرت أحلامُهَا ورؤاها

نشرت في ١٨ أغسطس ١٩٤١م

(*) الرسالة: ١٨ أغسطس ١٩٤١.

خائن (*)

اللـيـالي يـا مَـا أَمـرّ الـلـيـالي   غيبت وجهكَ الجميلَ الحبيبَا
أنـتَ قـاسٍ مـعـذِّبٌ لـيـتَ أني   أستطيعُ الهجرانَ والتعذيبَا
إن حبي إليكَ بالصفحِ سَـبَّاقٌ   وقلبي إلَيكَ مهما أُصيبَا
يـا حبيبي كانَ اللقاءُ غريباً   وافترقنَا فباتَ كلٌّ غريبَا

***

غير أني أستنجدُ الدمعَ لا   ألقَى مكانَ الدموعِ إلا لهيباً
آه لو ترجعُ الدموعُ لعيني   جفَّ دمعي فلستُ أبكي حبيبَا
أنتَ مَن بدَّلَ الوجودَ لعيني   أنت صيرتَهُ جمالاً وطيبا
أنتَ من بدَّلَ السماء لعيني   أنتَ صيرتها ابتساماً رحيبا

***

أنتَ يا رقةً تذيبُ القلوبَا   وتذيبُ الصخرَ الأصمَّ المذيبَا
غير أني إليكَ جئتُ من الليلِ   وقد حانَ للدجى أن أؤوبَا

(*) الرسالة : ٨ سبتمبر ١٩٤١.

بين الشاعر والريح(*)

الشاعر:

لست أنسى أبداً   ساعة في العمر
تحت ريح صفقت   لارتقاص المطر
نوّحت للذكر   وشكت للقمر
وإذا ما طربت   عربدت في الشجر

***

هاك ما قد صبت الريح   بأذن الشاعر
وهي تُغري القلب إغراء   النصيح الفاجر
أيها الشاعر تغفو   تذكر العهد وتصحو
وإذا ما التام جرح   جد بالتذكار جرح

الريح:

أو كل الحب في رأيك   غفرانٌ وصفح
أيها الشاعر تغفو   تذكرُ العهدَ وتصحو
وإذا ما التامَ جرحٌ   جَدَّ بالتذكارِ جرحُ
فتعلم كيف تنسى   وتعلمُ كيف تمحو

***

هاك فانظر عدد الرمل   قلوبا ونساء
فتخير ما تشاء   ذهب العمر هباء

(*) الرسالة: ١٣ أكتوبر ١٩٤١.

***

ضل في الأرض الذي ينشد أبناء السماء
أي روحانية تعصرُ من طين وماء

الشاعر:

أيها الريح أجل لكنما هي حبي وتعلاتي ويأسي
هي في الغيب لقلبي خلقت أشرقت لي قبل أن تشرق شمسي
وعلى موعدها أطبقت عيني وعلى تذكارها وَسَّدتُ رأسي

***

يا لها من صيحة ما بعثت عنده غير أليم الذكر
أرقت في جنبه فاستيقظت كبقايا خنجر منكسر
لمع النهر وناداه له فمضى منحدراً للنهر
ناضب الزاد وما من سفر دون زادٍ غير هذا السفر

الشاعر:

يا حبيبي كلُّ شيء بقضاء ما بأيدينا خلقنا تعساء
ربما تجمعنا أقدارنا ذات يوم بعد ما عز اللقاء
فإذا أنكر خل خله وتلاقينا لقاء الغرباء
ومشى كلٌّ إلى غايته لا تقل شيئاً و قل لي الحظ شاء

ليالي القاهرة(*)

أليلايَ ما أبقَى الهوى فيَّ من رُشـــدِ ... فردِّي على المشــتاقِ مهجتَه ردِّي

أيُنسَـــى تلاقينا وأنتِ حزينةٌ ... ورأسُـــك كابٍ من عياءٍ ومن ســهدِ؟

أقولُ وقد وسـدتُه راحتي كما ... تَوسَّـــدَ طفلٌ متعبٌ راحةَ المهدِ

تعالي إلى صــدرٍ رحيبٍ وســاعدٍ ... حبيبٍ وركنٍ في الهوى غير منهَدّ

بنفســيَ هذا الشّــعرُ والخُصَــلُ التي ... تهاوت على نحر من العاج منقدِّ

ترامت كما شــاءت وشــاءَ لها الهوى ... تميل على خدٍّ وتصــدفُ عن خدِّ

وتلك الكرومُ الدانياتُ لقاطفٍ ... بياضُ الأماني من عناقيدِها الربدِ

فيا لكَ عندي من ظلامٍ محبَّب ... تَأَلَّقَ فيه الفرق كالزمنِ الرغدِ

***

ألا كلُّ حســـنٍ في البريةِ خادمٌ ... لســلطانَةِ العينينِ والجيدِ والقدِّ

وكلُّ جمالٍ في الوجودِ حيالَه ... به ذلةُ الشــاكي ومرحمةُ العبدِ

وما راعَ قلبي منك إلا فراشــةٌ ... من الدمعِ حامت فوق عرشٍ من الوردِ

مجنحة صــيغت من النورِ والندَى ... ترف على روضٍ وتغفو إلى وردِ

بها مثل ما بي يا حبيبي وســيِّدِي ... من الشــجنِ القتَّالِ والظمأ المردِي

لقد أقفرَ المحرابُ من صــلواته ... فليسَ به من شــاعرٍ ســاهرٍ بعدي

***

وقفنا وقد حانَ النوى أيَّ موقفٍ ... نحاولُ فيه الصــبرَ والصــبرُ لا يُجدي

كأنَّ طيوفَ الرعبِ والبين موشــكٌ ... ومزدحم الآلامِ والوجدِ في حَشــدِ

(*) الرسالة: ١٤ ديسمبر ١٩٤٢.

ومضطرم الأنفاسِ والضيق جاثمٌ ... ومشتبك النجوى ومعتنق الأيدي
مواكب خرس في جحيمٍ مؤبدٍ ... بغير رجاءٍ في سلامٍ ولا بَردِ
فيا أيكةً مدَّ الهوى من ظلالها ... ربيعاً على قلبي وروضاً من السعد
تقلصتِ إلا طيفَ حبٍّ محيَّرٍ ... على دَرَجٍ خابي الجوانبِ مُسوَدِّ
تَردَّدَ واستأنى لوعدٍ وموثقٍ ... وأدبرَ مخنوقاً وقد غُصَّ بالوعدِ
وأسلمني لليلِ كالقبرِ بارداً ... يهبُّ على وجهي به نَفَسُ اللحدِ
وأسلمني للكونِ كالوحشِ راقداً ... تمزقني أنيابُه في الدجى وحدي

***

كأنَّ على مصرَ ظلامينِ أَعكَرٌ ... بآخرَ من خابي المقاديرِ مربَدِّ
ركودٌ وإبهامٌ وصمتٌ ووحشةٌ ... وقد ضمها الغيبُ المحجَّبُ في بُردِ
كأن سماءَ النيلِ لم تَلقَ حادثاً ... ولا قصفت فيها القواصفُ بالرعدِ
أحقاً تولَّى ذلك الهولُ وامَّحت ... خواطرُ ذاكَ الويل والرعب والحقدِ
فيا للقلوبِ الصابراتِ وقد غفت ... على نعمةِ الإيمانِ والشكرِ والحمدِ
ويا للقلوبِ المؤمناتِ وأمنها ... وضجعتها في رحمةِ الصَّمَدِ الفردِ
أهذا الربيعُ الفخمُ والجنةُ التي ... أكاد بها أستافُ رائحةَ الخلدِ
تصيرُ إذا جُنَّ الظلامُ ولفَّها ... بجنحٍ من الأحلامِ والصمتِ ممتَدِّ
مباءةَ خمارٍ وحانوتَ بائعٍ ... شقيّ الأماني يشتري الرزق بالسهدِ
وقد وَقَفَ المصباحُ وقفةَ حارسٍ ... رقيبٍ على الأسرار داعٍ إلى الجِدِّ
كأنَّ تقيّا غارقاً في عبادةٍ ... يصومُ الدجى أو يقطعُ الليلَ في الزهدِ
فيا حارسَ الأخلاقِ في الحيِّ نائم ... قضى يومَه في حومةِ البؤسِ يستجدي
وسادَتُه الأحجارُ والمضجعُ الثرى ... ويفترشُ الإفريزَ في الحرِّ والبردِ
وسيارة تمضي لأمرٍ محجَّبٍ ... محجبةَ الأستارِ خافيةَ القصدِ

إلى الهدفِ المجهولِ تنتهبُ الدجى   وتومض وَمضَ البرقِ يلمع عن بعدِ
متى ينجلي هذا الضنَى عن مسالكٍ   مرنقةٍ بالجوع والصبرِ والكَّدِ
ينقِّب كلبٌ في الحطامِ وربما   رَعَى الليلَ هِرٌّ ساهرٌ وغفا الجندي

***

أيا مصرُ ما فيكِ العشيةَ سامرُ   ولا فيكِ من مصغ لشاعرِك الفردِ
أهاجرتي طالَ النوى فارحمي الذي   تركتِ بديدَ الشملِ منتثر العقدِ
فقدتُكِ فقدانَ الربيعِ وطيبه   وعدتُ إلى الإعياء والسقمِ والوجدِ
وليسَ الذي ضيَّعتُ فيكِ بهيِّن   ولا أنتِ في الغُيَّاب هينةُ الفقدِ

***

بعينكِ أستهدي فكيفَ تركتِني   بهذا الظلامِ المطبق الجهمِ أستهدي
أتيتُكِ أستسقي فكيف تركتِني   لهذي الفيافي الصمِّ والكثب الجردِ
أتيتُكِ أستعدي فكيف تركتِني   إلى هذه الدنيا وأحداثِها اللدِّ
بحبِّكِ أَستشفي فكيفَ تركتِني   ولم يبقَ غيرُ العظمِ والروحِ والجِلدِ

***

وَهذي المنايا الحمر ترقصُ في دمي   وهذي المنايا البيض تختالُ في فَودِي
وكنتِ إذا شاكيتُ خففتِ محملي   فهان الذي ألقاه في العيشِ من جهد
وكنتِ إذا انهارَ البناءُ رفعتِهِ   فلم تكنِ الأيامُ تقوىَ على هَدِّي
وكنتِ إذا ناديتُ لَبَّيتِ صرختي   فواحَرَباً كَم بينَنا اليومَ من سدِّ
وقد كانَ لي للعطفِ والحبِّ مسلكٌ   فأغلَقتِه دوني فبتُّ بلا ردِّ

***

سلامٌ على عينيكِ ماذا أجنَّتا   من اللطفِ والتحنان والعطفِ والودِّ
إذا كانَ في لحظيكِ سيفٌ ومصرعٌ   فمنكِ الذي يُحيي ومنك الذي يُردي
إذا جُرِّدَا لم يفتكا عَن تعمدٍ   وإن أُغمدَا فالفَتكُ أروع في الغمدِ

هنيئاً لقلبي ما صنعتِ ومرحباً وأهلاً به إن كانَ فتكُكِ عن عَمدِ

فإني إذا جُنَّ الظلامُ وعادني هواكِ فأبديتُ الذي لم أكن أبدي

وملتُ برأسي كابياً أو مواسياً وعندي من الأشجانِ والشوقِ ما عندي

أقَبِّلُ في قلبي مكاناً حللتِهِ وجرحاً أناجيه على القرب والبعدِ

***

ويا دارَ من أهوى عليكِ تحيةٌ على أكرمِ الذكرى على أشرفِ العهدِ

على الأمسياتِ الساحراتِ ومجلسٍ كريم الهوى عفِّ المآربِ والقصدِ

تنادِمُنَا فيه تباريحُ شاعرٍ على الدمِ والأشواكِ يمشي إلى الخلدِ

فبودليرُ محزونٌ وفرلين بائسٌ وميسيه مجروحُ الهوى عاثرُ الجَدِّ

وللمتنبي غضبةٌ مُضَرِيَّةٌ وثورةُ مظلومٍ وصيحةُ مستعدي

دموعٌ يذوبُ الصخرُ منها فإن مضوا فقد نقشوا الأسماءَ في الحَجَر الصلدِ

وماذا عليهم إن بكوا أو تعذبوا فإنَّ دموعَ البؤسِ من ثَمَنِ المجدِ

قلق[*]

عبثًا أبتغي لقلبي السكينة ... والليالي بها عليَّ ضنينه
هاكِ ما قد أبقيته يا حياتي ... من حياتي فداكِ ما تبقينه
فظلالٌ من الغروب دوامٍ ... وبقايا من المغيب طعينه
يا غريب الفؤاد قلبي غريبٌ ... وسجينَ العذاب نفسي سجينه

***

أيها الشاطئُ الذي غاب عن عيني ... أما حانَ أن تؤوبَ السفينه
واحنيني للمحةٍ منه إنيَّ ... جسدٌ ذائبٌ وروحٌ حزينه
كيف خانتْ مدامعي فيك قلبًا ... لم تكن قبل عودت أن تخونه

***

سبقته إليك يوم التلاقي ... وأبتْ في وداعنا أن تعينه
قد عرفتُ الهوى كما تعرفينه ... وارتقبتُ الغد الذي ترقبينه
وأنا في انتظارِ يومٍ بعيدٍ ... ما ارتيابي وقد ضمنتُ يقينه
بعدما صَوَّحَ الشبابُ ووَلَّى ... وطوى حُلْمه وأفنى سنينه

(*) مجلة الحديث (حلب) يناير ١٩٤٣ والأعمال الشعرية : حسن توفيق .

أنا والقمر(*)

ذات مســـاء صـــفـا الـمســـاء ولـيـسَ في خـاطـري صـــفـاء

يــخــيّــمُ الــلــيــلُ في فــؤادي والــبــدرُ في قــبــة الســـمــاء

والسُــحبُ لـما انتشــرنَ بيضــاً أثــوابُ عــرسٍ عــلى الـفضــاء

يــلــبســـهــا غــيــمــةً فــأخــرى يــخــتــارُ مــنــهــا الــذي يشــاء

أو يــخــلُــع الــغــيــمَ ثــم يــبــدو طــفــلاً مصــوغــاً مــن الضــيــاء

***

مــا يــبــرحُ الــكــونُ في صـــبــاه مــجــدَّدَ الــحســـنِ والــرواء

مــا يــبــرح الــكــونُ غــيــرَ أني قــد دبَّ في نــفســي الــفــنــاء

فــمـــن عَـــيـــاءٍ إلى كـــلالٍ ومـــن كـــلالٍ إلى عـــيـــاء

كـم احـتـمَـلـنـا وكـم صــبـرنَـا والــعــيــشُ صـــبــرٌ وكــبــريــاء

وكـم نسـيـنَـا وكـم مـحَـونَـا وكــم غــفــرنَـا لــمــن أســاء

ومــا عــتــبــنَــا عــلى حــبــيــبٍ لــكــن عــتــبــنَــا عــلى الــقضــاء

(*) الأعمال الشعرية (حسن توفيق) عن مجلة الحديث (حلب) عدد فبراير ١٩٤٣.

غيوم (*)

إن تجد يا قلبُ قلباً قد لَهَا عن حبيبٍ مات فيه وَلَها
رُبَّ شمسٍ منحتنَا ظلَّهَا وتخلَّت غفرَ الله لَهَا

***

ذنبُ من يهواكَ أو ذنبُ السنين ذلكَ الهجرُ ولا لومَ عليك
أذنَبَت ساعة نجوى وحنين وسدت راحتَهُ في راحتيك

***

آهِ لو تعرفُ يوماً ألمي مستطاراً تأكلُ النارُ ضلوعي
أو شريداً يلفحُ القَفرُ دمي أو طريداً تشربُ الريحُ دموعي

***

يا حبيبي غامَتِ اليومَ السماء وعلى الأُفقِ جهامٌ من بعيد
كلّما أطمعُ في يومِ صفاء عَصَفَ العاصفُ عندي من جديد

(*) الأعمال الشعرية الكاملة عن مجلة الحديث (حلب) عدد مارس ١٩٤٣.

السراب(*)

لا القوم راحوا بأخبارٍ ولا جاؤوا ... ولا لقلبِكَ عن ليلاكَ أنباءُ
جفا الربيع ليالينَا وغادرها ... وأقفرَ الروضُ لا ظلٌّ ولا ماءُ
يا شافيَ الداءِ قد أودى بيَ الداءُ ... أما لهذا الظما القتَّالِ إرواءُ
ولا لطائرِ قلبٍ أن يقَرَّ ولا ... لموكبٍ فَزِعٍ في الشطِّ إرساءُ

***

عندي سماءُ شتاءٍ غيرُ ممطرةٍ ... سوداءُ في جنَبَاتِ النفسِ جرداء
هوجاءُ آونةً خرساءُ آونةً ... وليس تخدعُ ظنّي وَهيَ خرساء
فكم سجا الليلُ إلا هامسٌ قَلِقٌ ... كأنه نَفَسٌ في الليلِ مَشَّاءُ
أأنتِ ناديتِ أم صوتٌ يُخَيَّلُ لي ... فلي إليك بأُذنِ الوهمِ إصغاءُ

***

لبيكِ لو عندَ روحي ما تطيرُ به ... وكيفَ ينهضُ بالمجروحِ إعياءُ
لِمَن قيامي وبعثي هذه صورٌ ... لا تصطبي وتماثيلُ وأزياءُ
ومعرضُ أجوف المعنى وأسماءٌ ... مذ آذنتنا بهذا البينِ أسماءُ
يا ليلُ كلُّ نهارٍ ميِّتٌ فإذا ... ناديت قامَ كما للبعثِ إحياءُ

***

وليس يبلى نهارٌ في هواكِ مضى ... هيهاتَ ينسيه إصباحٌ وإمساءُ
طابَ اللقاء به لاثنينِ فانفرَدَا ... فتىً به سقمٌ بادٍ وحسناءُ
جمالُهَا توبةُ الدنيا وعزتُهَا ... كفارةٌ عن ذنوبِ الدهرِ بيضاءُ

(*) الرسالة : ٢٧ أغسطس ١٩٤٥.

وشـعرُهَا الفحمُ انســابت جَدَاوِلُه		تكادُ تسـطعُ حُسـناً وَهي سـوداءُ
نامت به خصـلٌ واسـترسـلت خُصَـلٌ		لَهَا وللعاجِ خلفَ الليلِ إغراءُ

***

توهجت شمسُ ذاك اليومِ واضطرمت		كـأنهـا شُـعَـلٌ في الأفـقِ حمـراءُ
تَفَرّقَ الناسُ حول الشـطِّ واجتمعوا		لهم به صـخبٌ عالٍ وضـوضـاءُ
وآخـرونَ كسـالى في أمـاكـنـهـم		كـأنهـم في رمـالِ الشـطِّ أنضـاءُ
تحللوا من قيودِ العيشِ وانطلقوا		لا هُـم أُسَـارى ولا فـيـهـم أرِقَّـاءُ

***

تَنَزَّلَ الدهرُ يوماً عن مشـيئته		وحكمِه فَلَهُم في الدهرِ ما شـاءوا
هُمُ الورى قبلَ إفسـادِ الزمانِ لهم		وقبلَ أن تتحدَّى الحبَّ بغضـاءُ
لَم يُخلقوا وبهم من نفسـهم عِلَلٌ		لـكـن حضـارةُ هـذا الـعـالمِ الـداءُ
ضـاقت نفوسٌ بأحقادٍ ولو سـلمت		فـإنهـا كسـمـاءِ الـبـحـرِ روحـاءُ

***

مالي بهم أنتِ لي الدنيا بأجمعهَا		وما وعت ولقلبي منكِ إغناءُ
لـو كـان لي أبـدٌ مـا زادَ عـن سـنَـةٍ		ومدةُ الحلمِ بالجفنينِ إغفاءُ
أرنـو إلـيـكِ وبـي خـوفُ يسـاورني		وأَنـثَـنـي ولـطـرفي عـنـكِ إغضـاءُ
إذا نطقتُ فما بالقولِ منتفعُ		وإن سـكتُّ فإنَّ الصـمتَ إفشـاءُ
أَحَبَّكِ القلبُ حباً ما هتكتُ له		سـرّا ولا مسـتطـاعٌ فيـه إخـفـاءُ

وأيما خطرةٌ فالريحُ ناقلةٌ والشطُّ حاكٍ لها والأفقُ أصداءُ
يا ليل من عَلَّمَ الأطيارَ قصتَنا وكيفَ تدري الصَّبَا أَنَّا أَحباءُ

***

لمَّا أفقنَا رأينَا الشمسَ مائلةً إلى الوداعِ وما للبينِ إرجاءُ
شابت ذوائبُ وانحلَّت غدائرُها شهباءُ في ساعةِ التوديعِ صفراءُ
مَشَى لها شفقٌ دامٍ فخضَّبها كأنه في ذيولِ الشعرِ حِنَّاءُ
يا من تَنَفَّسَ حَرَّ الوجدِ في عُنُقي كما تَنَفَّسُ في الأقداحِ صهباءُ
ومَن تنفستُ حرَّ الوجدِ في فمه فما ارتويتُ وهذا الريُّ إظماءُ
ما أنتَ عن خاطري بالبعد مبتعد ولن تواريكَ عن عينيَّ ظلماءُ

مصر والخلد(*)

اليوم يومك في الرجال فنادِ — في ساحةٍ مجموعة الأشهادِ
حفلت بأقطاب العلا وتنظمتْ — عقدين بين حواضرٍ وبوادي
يا شادي الوادي وغريد الرُّبى — اسكبْ لحونك أيهذا الشادي
اسكبه في أرض المفاخر إنها — كانت مهادَ الدهر في الآبادِ

***

يا مصر ! يا مصر الحبيبة إن يرم — مني الفداء دمي لحبك فادي
تالله لو في الخلدِ كنتُ بموضع — أو في المجرة مصبحي ومهادي
لرنت لشطيك النواظر من علٍ — وهفا إليك من الجنانِ فؤادي
يا مصر اشتقتك اختلافات الهوى — وجنى عليك تناحر الأضداد

***

قل للبناة المصلحين ألا اصنعوا — شمَّ الذرى ورواسخ الأطوادِ
جيلا من النشء القوي إذا مشوا — رفعوا الرؤوس بعزة وعنادِ
اليوم يومكمو وذلك جيلكم — ماذا بكم من عدةٍ وعتادِ
غذوهمو مصرية مشبوبة — تسري من الأبناء للأحفادِ

***

فإذا رأى نور الوجود صغيرهم — شفتاه أول ما تقولُ بلادي
يسقون حب الواديين أجنةً — وتكون مصر صرخة الميلادِ
أبكت عيونكم الضعيف يصير في — ناب القوى فريسة استعباد
فتبينوا أمر الحقيقة واعلموا — أن الطبيعة هكذا من عادِ

(*) الأعمال الكاملة : المجلس الأعلى للثقافة، ص٧٧٥ .

الجو ملك النسر يغشاه على ... ما يشتهي والغاب للآسادِ

خير الوثائق ما كتبتَ سطوره ... بدم الضحا يا المحض لا بمدادِ

تمليه إملاء القوى محطما ... يديك أنت مذلة الأصفادِ

صونوا البلاد وأدركوا سودانكم ... أن العيون إليه بالمرصاد

***

إني وقلبي كله مصرية ... أجد العروبة كعبة القصَّادِ

ضموا الصفوف ووحدوا آمالكم ... تجدوا لواء الله في الأجنادِ

ألقيت عام ١٩٤٧م

أمل(*)

حبيبة قلبي حياتي الفدا وإن كان في مقليتك الردى
إذا مر يومي بلا ملتقى أقول لقلبي انتظرها غدا
رويدك أن غدا فدفد خفي الدروب بعيد المدى
إذا لم نجد لفحة في الرمال فإن الهوى مضجع من مدى

***

لعينيك أطوى الحياة اصطبارا شقيا بها عانيا مفردا
هبيني لأجلك ضيعتها فو الله لم أقض عمري سدى
فأنت الوجود وأنت الخلود وأنت النداء وأنت الصدى
وكيف بغيرك تحلو الحياة ويعذب موردها مورداً
وأنت النعيم وأنت العذاب وأنت مواردها والصدا
وأنت أحب المحبين فيها وأنت كذاك أحب العدا

***

تنادينني.. أن قلبي إليك غدا هاتفا وسرى منشدا
وأنت اللهيب وأنى الفراش فهاتى على نارك الموعدا
تظنينني ناعما بالرقاد وأنى الذي خاصم المرقدا
سأسهر عمري حتى أراك وأجعل من حبنا معبدا

(*) الأعمال الكاملة عن مجلة العالم العربي : عدد ١٠ يناير ١٩٤٩.

الجمال الناعس(*)

نقل عيونك في الجمال الناعسِ ... وارتعْ بلحظك في القوام المائسِ
واهبط هبوط الوحي في همساته ... وانقل خطاك على دُمى وعرائسِ
هذا هو المحراب فادفع بابه ... وانفذ لهيكله بغير منافسِ
إن الجمال هو المتاع ففز به ... ما بين أعلاقٍ وبين نفائسِ

***

إن لم تفز يومًا بميدان الهوى ... فارجع فلستَ على الجمال بفارسِ
أودَعْه في حفظ المهيمن وحده ... كرمتْ يد الحاني وعين الحارس
لمن الربيع النضر ينطق حسنه ... ما بين إفصاح لديه وهامسِ
تمشي إليه العين نُحو حقيقة ... فتنام منه على خيالٍ وساوسِ

***

وتكاد من فن لديه معجز ... ترتاب فيه يد المحس اللامسِ
وتكاد تقتبس من سناه ونوره ... ما يستعز به خيال القابسِ
متجانس أحلى بهاه شذوذه ... وشذوذه يطغى على المتجانسِ
ما كان منه عاريًا فجماله ... أن الزهور غدت له كقلانسِ

(*) مجلة الاستوديو : عدد ١٨ مايو ١٩٤٩.

عاصفة غضب(*)

في لـيـلـةٍ عـاتـيـةٍ صـــاخـبـة ثـارتْ عـليَّ الـفـتـنـةُ الـغـاضـــبـة
وفي اشـــتـبـاكـات الـهـوى والـقـلى ومـن سِـــنَـانِ الـكـلـم الـواثـبـة
ذاقَ فـؤادي طـعـنـةً طـعـنـةً مـرارةُ الـمـوتِ بهـا ذائـبـة
أطـبـقـتُ عـيـني وخـيـالُ الـردى يـحـوم في وجـنـتـي الشـاحـبـة
وأطـبـقَ الـلـيـلُ ســوى بـقـعـةٍ حمـراءَ مـن دمـعـتـي الســاكـبـة
وطـافـيـاتٍ مـن حـطـام الـمـنـى عـلى مـتـون الـرقـمِ الـراســبـة
وحـائـمـاتٍ مـن فـلـول الـقـوى ومـن بـقـايـا الـهـمـمِ الـغـاربـة
مســتنقذات من جحيم الجوى تـزحـفُ خـلـفَ الـجـنـة الـهـاربـة

(*) قصائد مجهولة : عن مجلة الحديث (حلب) عدد فبراير ١٩٥٣، قبل رحيل ناجي بشهر واحد .

صولة الحسن(*)

إيه إنعامُ والمحاسنُ كُثرُ ... ما لمن لم يقم بوصفِكِ عذرُ

خلق الله ذلك الحسنَ لكن ... للذي يخلقُ المفاتنَ سرُّ

سرَّه أنَّ كلَّ حسن له الشعرُ ... تبيع فالمجدُ حسنٌ وشعرُ

وأنا الشاعرُ الذي قد تصباه ... فريدٌ من المباهجِ نَضرُ

أينما وَجَّهَ المشاهدُ عينيه ... فسحرٌ يتلوه سحرٌ فسحرُ

فمن الخدِّ للجبينِ إلى العينينِ ... للثغرِ من معانيكِ سِفرُ

***

يقرأ الناظرونَ فيه عجيباً ... إن تولَّى سطر تتابَعَ سطرُ

ما على الحسنِ إن تمرّ حياةٌ ... في تجليه أو يضيع عمرُ

رُب حسنٍ من الوداعة يبدو ... فيه عطفٌ وفي حناياه بِرُّ

ولقد تحسب الوداعة ضعفاً ... ولها دولة ونهي وأمرُ

فَمُرِينَا إِنعام من غيرِ أمرٍ ... نحن أسراكِ ما بأسراكِ حرُّ

ومُرِي الدهرَ يُصبح الدهرُ عبداً ... واضحكي في فم المنى يفتَرُ

***

ومري الروضَ يصبح الروضُ في ... نانَ وينمو وردٌ ويورقُ زهرُ

ومري الطيرَ يسجع الطيرُ جذلانَ ... ويشدُو غصنٌ ويطربُ وَكرُ

(*) قصائد مجهولة ص٨١٥.

ومري القلبَ يخفق القلبُ فرحانَ وتحنو روحٌ ويطربُ صدرُ
ومري الجمرَ يصبحِ الجمرُ كالماء وتعنو نارٌ ويخضعُ جمرُ
ومري البحرَ يهدأ البحر أمواجاً ويعنو موجٌ ويهجعُ بحرُ

***

إيه إنعام هذه صولة الحسنِ التي تَحطِمُ القويَّ وتذرو

كتبت في فبراير سنة ١٩٥٣

المؤلف محمد رضوان

– ولد محمد محمود رضوان بمدينة الجمالية محافظة الدقهلية بمصر في ١٥ سبتمبر ١٩٤٨ .

– حصل على ليسانس كلية دار العلوم جامعة القاهرة عام ١٩٧١م ، وعمل كاتبًا صحفيًا بمجلة الهلال عام ١٩٧٣ .

– عضو نقابة الصحفيين .

– عضو اتحاد كتاب مصر جوال : ٠١٠٠٦٧٥٩٢٢٤ ، مصر .

– من الأدباء والنقاد الذين تناولوا مؤلفاته بالدراسة والنقد والتحليل : « صالح جودت ، أنيس منصور ، أحمد عبد المجيد ، عبد العليم القباني ، د. مقداد يالجن ، كمال نشأت ، فاروق شوشة ، محمد إبراهيم أبو سنة ، حسن فتح الباب ، د. ماهر شفيق فريد ، د. يوسف نوفل» .

– له خبرة في الصحافة الأدبية والسياسة ، حيث عمل في سلطنة عمان رئيسًا لتحرير مجلة السراج الأدبية (١٩٧٦ ـ ١٩٧٧) ، (١٩٩٢ ـ ١٩٩٤) ، ومديرًا لتحرير مجلة النهضة السياسية (١٩٨٢ ـ ١٩٩٣) .

– ابتدع لنفسه منهجًا أدبيًا في كتابة السير سماه «المنهج الوجداني» يجمع بين الموضوعية والعاطفية ، بين التحليل الأدبي النفسي وذاتية الكاتب وذوقه الأدبي ، ولعل بداياته القصصية هي التي ساعدته في تأصيل هذا المنهج ، فوصفه السفير الشاعر أحمد عبد المجيد «حين يتولى محمد رضوان كتابة سيرة لشاعر من الشعراء نراه يدلف إلى روحه ويتسرب إلى حياته وما اضطرب فيها من حال إلى حال ، ويتشح برداء عصره الذي عاشه ، ويتنسم ما كان يستنشقه ، فتجيء ترجمته كظل الغصن أو رجع الصدى» .

– له أكثر من عشرين كتابًا في أدب السير منها : صفحات مجهولة من حياة زكي مبارك ، فيلسوف الصعاليك : عبد الحميد الديب ، اعترافات شاعر الكرنك أحمد فتحي ، الملاح التائه علي محمود طه ، شاعر النيل والتخيل : صالح جودت ، عندما يحب الشعراء ، شاعر الروابي الخضر : أحمد خميس ، شاعر الهمسات أحمد عبد المجيد ، اعترافات السندباد المصري .

قام بجمع تحيق ودراسة :

١ - ديوان شاعر البؤس عبد الحميد الديب «المجلس الأعلى للثقافة» ، القاهرة ٢٠٠٠ .

٢- ديوان شاعر الكرنك أحمد فتحي «منشورات سندباد الشعر»، القاهرة ٢٠٠٧ .

٣- ديوان شاعر الجندول علي محمود طه «هيئة قصور الثقافة» ، القاهرة ٢٠١٠ .

٤- ديوان شاعر الحب والحرية ، صالح جودت ، القاهرة ٢٠١٢ .

٥- ديوان شاعر الحب الضائع عبد الرحمن صدقي ، القاهرة ٢٠١٧ .

المراجع

١ – ديوان ناجي جمع وتحقيق : أحمد رامي ، صــالح جودت ، أحمد هيكل ، محمد ناجي: وزارة الثقافة – القاهرة – ١٩٦١ .

٢ – إبراهيم ناجي: وراء الغمام – ليالي القاهرة – الطائر الجريح ، تحقيق بشير عياد : الهيئة العامة للكتاب القاهرة , ٢٠١٠

٣– إبراهيم ناجي (الأعمال الشعرية الكاملة) تحقيق ودراسة : حسن توفيق المجلس الأعلى للثقافة – القاهرة ١٩٩٦.

٤ – إبراهيم ناجي : قصائد مجهولة : جمع وتحقيق حسن توفيق ، مكتبة مدبولي – القاهرة ١٩٧٨م.

٥– ناجي، حياته وشعره بقلم صالح جودت – المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب – القاهرة ١٩٦٠، تقديم عباس محمود العقاد .

٦– ناجي ، شاعر الأطلال بقلم : محمد رضوان – كتاب الهلال القاهرة – أغسطس ٢٠١٧ تقديم كمال نشأت .

٧– مجلات: الهلال – الصباح – الرسالة – الثقافة – مسامرات الجيب – العالم العربي – أبوللو – الأديب (بيروت) – الحديث (حلب) – السياسة الأسبوعية – مجلتي - الاستديو.

فهرس

بطاقة فهرسة ٢
لماذا «شاعر الأطلال» ؟ ٤
مقدمة ٧
مع شاعر الأطلال ١٠
سيرته وثقافته ١٥
ناجي شاعر الحب الضائع ٣٤
المختار من شعر ناجي ٣٦
المختار من ديوان وراء الغمام (١٩٣٤) ٣٧
المآب ٣٨
ساعة لقاء ٤٠
العودة ٤٢
الحنين ٤٤
الناي المحترق ٤٥
المنسي ٤٦
تحليل قبلة ٤٧
الحياة ٤٨
قلب راقصة(*) ٥١
الميعاد ٥٦
الميت الحي ٥٧
الوداع ٥٩
الزائر ٦١
الليالي ٦٢
الجمال الضنين ٦٧
ليالي الأرق ٦٨
صخرة الملتقى(*) ٧٠

الشك........ ٧١
خواطر الغروب ٧٣
مناجاة الهاجر ٧٤
الصورة........ ٧٥
رجوع الغريب ٧٦
قميص النوم ٧٨
الغد ٧٩
الانتظار........ ٨١
صلاة الحب........ ٨٣
مصافحة اللقاء ٨٦
مصافحة الوداع ٨٧
أغنية في هيكل الحب........ ٨٨
وداع المريض........ ٨٩
فرحة جديدة ٩١
استقبال القمر........ ٩٢
نفرتيتي الجديدة (*) ٩٤
الفراشة........ ٩٦
نداء للشباب........ ٩٩
في يوم الشباب ١٠٠
الأجنحة المحترقة (*) ١٠٢
عتاب........ ١٠٣
أصوات الوحدة ١٠٤
الختام........ ١٠٥
المختار من ديوان ليالي القاهرة ١٠٦
(١٩٥٠) ١٠٦
ليالي القاهرة ١٠٧
(١) في الظلام........ ١٠٧

(٢) أنوار ١١١
(٣) أحلام سوداء ١١٢
(٤) الميعاد الضائع ١١٣
(٥) اثنان في سيارة ١١٥
(٦) لقاء في الليل ١١٦
(٧) ختام الليالي ١١٨
الأطلال ١١٩
ذات مساء ١٢٨
رواية ١٢٩
يأس على كأس ١٣٠
عاصفة روح ١٣٢
كبرياء ١٣٤
اذكري ١٣٦
رسائل محترقة ١٣٧
الغريب ١٣٨
بعد الفراق ١٣٩
المآب ١٤٠
في الأوتوجراف (من ن إلى هـ) ١٤١
شكوى الزمن ١٤٢
كل الورى ١٤٣
راقصة ١٤٥
الصنم الجميل ١٤٦
الليل في فينيسيا(*) ١٤٧
شكوك ١٤٨
النسيان ١٤٩
المساء ١٥٠
عذاب ١٥١

ملحمة السراب ١٥٢
١.السراب في الصحراء........ ١٥٢
٢.السراب على البحر........ ١٥٦
٣.السراب في السجن ١٥٨
آمال كاذبة........ ١٦٠
البعث........ ١٦١
المنصورة........ ١٦٢
وقفة على دار........ ١٦٣
الراهبة الباكية........ ١٦٤
من ن إلى ع ١٦٥
أغنية أنت ١٦٧
مصر ١٦٨
حب على الصحراء........ ١٦٩
القافلة الصغيرة........ ١٧٠
عاصفة ١٧١
عينان........ ١٧٢
إيمان........ ١٧٤
إليها ١٧٥
بعد الحب ١٧٦
أنوار المدينة........ ١٧٧
خمر الرضا ١٧٨
في حفلة تكريم الدكتور ناجي صاحب الديوان سان جيمس ١٩٣٤ .... ١٧٩
الخريف ١٨١
العائد ١٨٨
المختار من ديوان الطائر الجريح (١٩٥٧) ١٨٩
زازا........ ١٩٠
بقايا حلم()........ ١٩٢

في ظلال الصمت.. ١٩٤
نأى عني.. ١٩٨
قصة حب.. ١٩٩
بقية القصة() ٢٠٢
خاطرة ٢٠٧
ظلام ٢٠٨
وحيد.. ٢١٤
أطلال ٢١٦
ذنبي ٢١٧
الطائر الجريح ٢١٩
القمة.. ٢٢٣
أيها الغائب.. ٢٢٥
شك ٢٢٦
ليلة ٢٢٧
في الباخرة.. ٢٢٨
سر بي.. ٢٢٩
الفراق.. ٢٣٠
ليلة العيد.. ٢٣٢
كذب السراب ٢٣٣
أنت.. ٢٣٤
قيثارة الألم.. ٢٣٥
حلم الغرام ٢٣٦
ثلاث سنين ٢٣٧
عدنا وعدت ٢٣٨
المقعد الخالي.. ٢٣٩
رحلة.. ٢٤٠
شعرة.. ٢٤٢

يوم الجمعة ٢٤٣
تعلة ٢٤٤
من لي ؟........ ٢٤٥
في لبنان........ ٢٤٦
في شم النسيم ٢٤٧
في العيد ٢٤٨
خطاب ٢٤٩
آه........ ٢٥٠
في ليلة غارة ٢٥١
سمراء المحفل........ ٢٥٢
روض الحسن ٢٥٣
قلبي الثاني........ ٢٥٤
ما أضيع الصبر........ ٢٥٥
ما حيلتي........ ٢٥٦
يا نسيم البحر ٢٥٧
ذات ليلة........ ٢٥٨
إلى هند........ ٢٥٩
يا دار هند........ ٢٦٠
شفاعة ٢٦١
قسوة........ ٢٦٢
محنة ٢٦٣
الحب والربيع ٢٦٤
إلى ابنتي ضوحية ٢٦٥
غيوم ٢٦٦
ذهب العمر........ ٢٦٨
رباعيات........ ٢٦٩
المختار من قصائده المجهولة........ ٢٨٠

القصائد المجهولة ٢٨١
مناجاة الهاجر ٢٨٣
الذكرى (*) «إلى حبيب مريض» ٢٨٤
إلى القمر ٢٨٦
الختام ٢٨٧
الصورة ٢٨٩
صخرة الملتقى(*) ٢٩١
اللقاء(*) ٢٩٤
وداع المريض(*) ٢٩٦
الشك(*) ٢٩٨
خواطر الغروب(*) ٣٠٠
السآمة(*) ٣٠٢
ظلام ونور(*) ٣٠٥
عاصفة روح(*) ٣٠٧
المساء(*) ٣٠٩
الأطلال - الضائعة(*) ٣١١
الشاطئ الخالي(*) ٣١٢
أنوار (*) ٣١٣
أحلام سوداء(*) ٣١٥
اثنان في سيارة ٣١٧
صخرة المكس(*) ٣١٨
ليلة من ليالي القاهرة(*) ٣٢١
الميعاد الضائع(*) ٣٢٥
الكأس(*) ٣٢٨
خائن (*) ٣٢٩
بين الشاعر والريح(*) ٣٣٠
ليالي القاهرة(*) ٣٣٢

قلق(*) ٣٣٦
أنا والقمر(*)... ٣٣٧
غيوم(*)... ٣٣٨
السراب(*)... ٣٣٩
مصر والخلد(*) ٣٤٢
أمل(*).. ٣٤٤
الجمال الناعس(*) ٣٤٥
عاصفة غضب(*)... ٣٤٦
صولة الحسن(*).. ٣٤٧
المؤلف محمد رضوان.. ٣٤٩
المراجع ٣٥١
فهرس ٣٥٢

